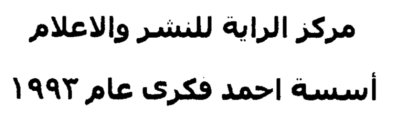
أباطرة التاريخ

كيف سقطوا..........؟

الجزء الثانى

بكر محمد ابراهيم

مركز الراية للنشر والاعلام



مركز الراية للنشر والاعلام

أسسة احمد فكرى عام ١٩٩٣

٣٠ميدان الحسين – السوق التجارى-مكتبة فكرى –
تليفون ٥٩٣٦٢١٩

اسم الكتاب /اباطرة التاريخ ..كيف سقطوا؟
الجزء الثانى

اسم المؤلف / بكر محمد ابراهيم

تصميم الغلاف / EVENT ADVERTISING

م . محمد لبيب ٠١٠١٥٠٧٢٧٠

الطبعه الاولى / يونيو ٢٠٠٣

رقم الايداع / ١١٢٩٥ / ٢٠٠٣

الترقيم الدولى / I.S.B.N. : 977 - 354 - 026 - X

مقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على من لا نبى بعده . أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله وصفيه وخليله.

وبعـــد ...

فهذا هو الجزء الثانى من كتاب أباطرة الشيوعية يتضمن عرض فصول عن الحزب والقوات المسلحة السوفياتية ، والقادة والأجهزة السياسية والتنظيمات الحزبية، ورفع المنتدى الفكرى النظرى للضباط ودور العمل السياسى الحزبى، وبداية الصرا ع والشيوعية، والدين والشيوعية والحريات، والأحوال الاقتصادية فى ظل الشيوعية والمسلمون فى الاتحاد السوفيتى.

وهذا الفصل يختتم بالرد على الشيوعية وبيان مثاليها وخطاياها وموقف الدين الإسلامى من الشيوعية والرد على الشبهات التى يثيرها من يدافع عن الشيوعية دفاعاً مستديماً بالباطل، ومن يزعم أن الشيوعية تتفق مع الإسلام.

والكتاب يتضمن الحديث بتفصيل عن كافة المسائل التى أثارتها الشيوعية وأنصارها ومبادئهم وييشير إلى مؤلفات قادتهم وزعمائهم وخطب لينين وغيره من الزعماء .

وهذا الكتاب فى جزئيه يشكل موسوعة عن الشيوعية وزعمائها وأباطرتها وقادتها وأعضاء الأحزاب الشيوعية وموقف الإسلام من الشيوعية كمذهب سياسى واقتصادى وعقائدى .

والله ولى التوفيق ،،،

المـؤلــف

الحزب الشيوعى
والقوات المسلحة السوفياتية

١) قيادة الحزب هى فى أساس قوة الجيش :

يعتبر الحزب الشيوعى السوفياتى الذى أسسه لينين ، القوة التى تقود المجتمع السوفياتى وتوجهه. والحزب هو طليعة الشعب التى تعبر عن مصالحه الجذرية وتتمتع بثقته الكاملة . وتقوم القوات المسلحة السوفياتية ، بقيادة الحزب الشيوعى السوفياتى ، بحماية مكاسب الشعب الثورية.

إن مصادر قوة الجيش السوفياتى تكمن أولا فى طبيعة النظام السوفياتى الذى يتسم بالملكية الاجتماعية لوسائل الانتاج، وفى طبيعة الدولة حيث السلطة كلها موجودة فى يد الشعب السوفياتى ومتمثلة فى سوفياتات نواب الشغيلة (السوفياتات).

ثم أن هذه القوة هى أيضا وليدة الصداقة التى تجمع فيما بين شعوب الاتحاد السوفياتى، ونابعة من الاقتصاد الاشتراكى المتقدم، ومن وحدة الجيش والشعب ومن الماركسية – اللينينية.

لقد جاء فى برنامج الحزب الشيوعى السوفياتى أن :

"قيادة الحزب الشيوعى للقوات المسلحة، وتعزيز دور التنظيمات الحزبية، وزيادة تأثيرها فى الجيش والاسطول، هى أساس كل البناء العسكرى"(١)

(١) مواد المؤتمر الثانى والعشرين للحزب الشيوعى السوفياتى دار الادب السياسى للنشر ، موسكو ١٩٧١ ،ص٤٠٥ (الطبعة الروسية)

وتحتم على الدولة السوفياتية، خلال وجودها، صد هجمات المعتدين الامبرياليين اكثر من مرة. وكان الحزب دوما منظم الدفاع عن البلاد. ففى سنوات الحرب حول البلاد بأجمعها إلى معسكر حربى واحد، وكان ملهم الشعب السوفياتى ومنظمه للدفاع عن الوطن دفاع الابطال، وقاد الجبهة والمؤخرة كأحسن ما تكون القيادة، وفى سنوات البناء المسلمى يولئ الحزب اهتماما دؤوبا لتدعيم القوات المسلحة، ولزيادة مقدرة البلاد الدفاعية. فهو الذى صاغ السياسة العسكرية للدولة السوفياتية، ووضع مبادئ البناء العسكرى، وسعى فى سبيل تنفيذها، وتقوم اللجنة المركزية للحزب الشيوعى السوفياتى بتعيين المبادىء القيادية الموجهة فى ميدان العلوم والفنون العسكرية ، كما أنها تشرف على الاستعداد القتالى للقوات المسلحة، وتعمل على دعم ارتباط هذه القوات بالشعب وعلى زيادة يقظة الأفراد وانضباطهم وتضافر جهودهم .

وتحدد اللجنة المركزية الاتجاه العام الواجب اتباعه لمصنع المعدات الحربية ولتطويرها، وتشرف على الامدادات التكنيكية والمادية للجيش والاسطول، ونتيجة لذلك نرى أن لدى القوات السوفياتية أحدث الأسلحة وأرقى المعدات الحربية .

كما تهتم اللجنة المركزية أيضا بأعداد كوادر القادة والكوادر السياسية، والهندسية، والفنية الخاصة بالجيش والاسطول، وتقوم باختيار وتوزيع قياداتها. ولدى القوات المسلحة السوقياتية،

فى الوقت الراهن كوادر عسكرية على أرفع مستويات الاعداد، وما يقرب من نصف الضباط السوفيات هم من المهندسين ومن الفنيين المتخصصين .

وهناك اهتمام عظيم لعنصرية البناء التنظيمى لكل من الجيش والاسطول. أما القوات المسلحة السوفياتية فهى مقسمة إلى أنواع وفروع. وأنواع القوات المسلحة فى الاتحاد السوفياتى هى: قوات الصواريخ الاستراتيجية، القوات البرية، قوات الدفاع الجوى، القوات الجوية، والقوات البحرية.

وكل نوع من هذه الأنواع ينقسم بدورة إلى فروع، فتضم القوات البرية مثلا : المشاة الميكانيكية والمدرعات، والمدفعية، وهكذا. ثم أن كل أراضى الاتحاد السوفياتى مقسمة، من وجهة النظر العسكرية الادارية، إلى مناطق عسكرية ، والأساطيل فى الاتحاد السوفياتى موزعة على البحار التى تحيطه .

وتشغل عملية تنسيق القضايا المشتركة المتعلقة بالسياسة العسكرية للاتحاد السوفياتى والبلدان الاشتراكية الأخرى الاعضاء فى معاهدة وأرسو، مكانا هاما فى نشاط اللجنة المركزية للحزب. كما أن هناك اهتماما دائما غايته ضمان وحدة الجهود العسكرية للأسرة الاشتراكية بأجمعها .

وفى داخل الجيش، يقود الحزب الشيوعى السوفياتى العمل السياسى الحزبى. وتضم القوات المسلحة السوفياتية شبكة من الاجهزة السياسية والتنظيمات الحزبية والكومسومولية، تعمل بالاتصال الوثيق بالقادة الذين يتمتعون بسلطة القيادة الفردية . ولقد أشار لينين فى السنوات الاولى لوجود الدولة السوفياتية قائلا :

" لا يمكن أن يكون هنالك مجال للتهاون فى داخل الجيش ، وفى كل مكان تتبع فيه سياسة الحزب مع شئ كبير من الدقة... ليس للتهاون أيضا

مكان حيث يجرى العمل السياسى بين القوات مع شئ كبير من الاهتمام، ففى مثل هذه الأمكنة نجد ان النظام على صورة احسن وأنال الروح على شكل أفضل ، كما أن الانتصارات تكن أكثر.

ويعتبر العمل السياسى الحزبى فى صفوف القوات المسلحة عاملا حاسما لتدعيم الروح المعنوية عند هذه القوات، ويزيد من قدراتها القتالية، وهو بالإضافة إلى ذلك شرط حتمى من شروط الانتصار على العدو ودحره.

٢) جوهر العمل السياسى الحزبى وهدفه فى القوات المسلحة السوفياتية

إن العمل السياسى الحزبى هو ما يقوم به الحزب الشيوعى السوفياتى من نشاط بين جماهير العسكريين فى مجالات تطبيق سياسة الحزب. وتربية الأفراد على أسس الماركسية – اللينينية ومفاهيمها ، وتعبئة الجنود لتنفيذ المهام الموضوعة أمام الجيش والأسطول .

إن وعى جماهير الشعب وروحها المعنوية، لهما دور حاسم خلال النضال المسلح من أجل تحقيق النصر. وقد أشار لينين فى حينه إلى أن : "النصر فى أيه حرب كانت مرهون، فى نهاية المطاف، بالروح المعنوية لدى الجماهير التى تضحى بدمائها فى ساحة الوغى [١]"

وأستناد إلى ذلك فالانسان هو القوة الرئيسية فى القتال ، أما النجاح فى المعركة فيعتمد بدرجة كبيرة على ماهية معتقدات الإنسان الفكرية والخلقية وعلى آرائه وفكره وإرادته.

---

(١) لينين المؤلفات الكاملة جـ ٣٩ ص ٥٦

إن نمط حياة الانسان السوفياتى ، والخدمة التى يؤديها فى المجموع العسكرى ، يشكلان تربة مؤاتية تصلح لتربية وعى رفيع الشأن لى الجنود السوفيات . غير أن هذا لا يعنى قطعا أن تكون الوعى العالى لدى المقاتلين يمكن أن يأتى من تلقاء ذاته أو أنه يتم بصورة عفوية .

أن تكون الوعى الاشتراكى أمر يستحيل إدراكه بمعزل عن نشاط ايديولوجى يمارسه الحزب بين صفوف العسكريين .

لقد جاء فى رسالة اللجنة المركزية عام ١٩١٩ ، بعنوان " حول العمل الحزبى " ما يلى :

" لكى يكون الجيش الاحمر جيشا اشتراكيا حقا ينبغى أن لا يكون، من حيث قوامه، جيشا طبقيا فحسب، بل ومن الواجب أن يكون أفرادة قد استوعبوا بوضوح، وبصوره سليمة، مصالحهم الطبقية، وفى ذلك ما يحتم القيام بالعمل الحزبى فى صفوف افراده " (١).

من المعروف أن الحرب تعتبر أصعب اختيار لقوى الانسان المعنوية، والذهنية، والجسمانية. ويتغلب الجنود والضباط أثناء الحرب على صعوبات جمة يصعب تصديقها، صعوبات تتطلب منهم مجهودا ضخما، ورباطة جأش ، وتمالك أعصاب ، وتستهدف العمل السياسى الحزبى تكوين الوعى الاشتراكى عند أفراد الجيش والاسطول، ورفع روحهم المعنويه عاليا، وجعلهم على أتم استعداد لتنفيذ الواجب العسكرى بكل تفان واخلاص .

وإذا يشيد الحزب الشيوعى السوفياتى بالعامل المعنوى آخذاً بالحسبان التجربة التاريخية ، فهو يشير فى الوقت نفسة إلى أن الحماس

(١) لينين المؤلفات الكاملة جـ ٤١ ص ١٢١

وحده غير كاف لإحراز النصر وتحقيقه على عدو قوى مسلح كأحسن ما يكون التسليح .

يقول لينين : "أن افضل الجيوش ، وأكثر الرجال ولاء لقضية الثورة ، يبيدهم فورا إن لم يكونوا على درجة كافية من التسليح، وإذا كانت تنقصهم أيضا المواد الغذائية ، ويعوزهم التدريب " (١) .

والحزب الشيوعى السوفياتى لا يقابل بين العوامل المادية والعوامل المعنوية، بل انه ينظر إليها فى وحدتها وفى تفاعلها المتبادل. فالإمدادات التكنيكية التى تزود بها القوات المسلحة، ومستوى تدريب هذه القوات، لا يعملان فقط على زيادة قوة الجيش، بل أن فى هذين الأمرين ما يرفع من روح الجيش المعنوية وما يزيده ثقة فى تحقيق النصر على العدو .

ولذلك نرى أن مهام العمل السياسى الحزبى تشتمل على تعبئة الجنود والضباط حتى يكونوا على درجة من المقدرة تمكنهم من استيعاب السلاح ، والمعدات الحربية استيعابا عميقا .

وكما هو معروف فان رسالة كل من الجيش السوفياتى ، وجيوش الدول الاشتراكية الشقيقة ، هى خوض الحروب العادلة فقط والتى تستهدف حماية الشعوب وحرياتها والدفاع عن استقلالها وعن انجازاتها الاشتراكية. ويشير لينين بحق إلى أن :

"وعى الجماهير لاهداف الحرب ولأسبابها له الاهمية الكبرى، وهو كفيل بضمان النصر".

---

(١) الحزب الشيوعى السوفياتى ، حول القوات المسلحة للاتحاد السوفياتى، موسكو ، دار النشر العسكرى ١٩٦٩ ص ١٠٦ لينين ، المؤلفات الكاملة جـ ٣٥ ، ص ٤٠٨

وإذا كان الجندى على إيمان بأنه يخوض حربا من اجل قضية عادلة، فانه لا يعمل حينها على تأدية واجبه بصورة شكلية، بل تراه عندئذ يفعل ذلك بحماس، ولا يسعى للتهرب من القتال، بل يعمل بحثا عن العدو لمقارعته. لذلك فان من بين أهم واجبات العمل السياسى الحزبى فى القوات السوفياتية هو توضيح الطابق العادل للحرب من جانب الدول الاشتراكية والبلدان التى اتخذت لنفسها طريق التطور المستقل، وإبراز الطابع العدوانى للحرب من جانب الدول الامبريالية .

يتحدد العمل الحزبى السياسى. من حيث محتواه التطبيقى، بالمهام العسكرية والسياسية التى يطرحها الحزب الشيوعى والحكومة السوفياتية أمام الجيش والاسطول . فخلال الحرب الأهلية، وفى أثناء التدخل الاجنبى المسلح كان الشعار الرئيسى الذى حدد مضمون العمل السياسى فى الجيش هو شعار الدفاع عن مكتسبات السلطة السوفياتية، وحماية الآراضى والمصانع وغيرها من وسائل الانتاج من تخريب الثورة المضادة فى الداخل وفى الخارج .

وكانت المهمة الرئيسية إبان الحرب الوطنية العظمى تتلخص فى تعبئة المقاتلين للدفاع عن الوطن الاشتراكى وسحق الفاشية الألمانية ، وتقديم المساعدة الأممية للشعوب المستعبدة .

ويتسم العصر الحالى بتدعيم التحالف النضالى للقوى الثورية الرئيسية (المنظومة الاشتراكيه، والحركة العمالية العالمية، حركة التحرر الوطنى) وفى الوقت ذاته يعزز الإمبراليون احلافهم العسكرية، وينزعون نحو المغامرات العسكرية والتعدى على الدول المتحررة .

ولقد أشار المؤتمر الرابع والعشرون للحزب الشيوعى السوفياتى الذى

أنعقد فى آذار - نيسان عام ١٩٧١ إلى ضرورة استمرار مواجهة سياسة الحرب والعدوان التى تمارسها الامبرالية. ورسالة كل من الجيش السوفياتى وجيوش دول الأسرة الاشتراكية الأخرى، تقتصر، فى الظروف الراهنة، على حماية سلام وأمن شعوبها، والبقاء فى حالة استعداد دائم لسحق أى هجوم يقوم به العدو، إن كل ذلك يعمل فى الوقت الحالى على تحديد دول العمل السياسى الحزبى ومركزه فى صفوف الجيش والاسطول.

أما المضمون الرئيسى للنشاط السياسى فى داخل القوات المسلحة فيتلخص بما يلى :

العمل على جعل القوات المسلحة فى درجة قصوى من الاستعداد القتالى، والنضال ضد الايديولوجية البوجوازية، وتربية الأفراد على روح الوطنية السوفياتية والأهمية الاشتراكية، وبث المقت فى نفوسهم حيال الامبريالية، وجعلهم يدركون هذا الارتباط العضوى الكائن بين حياة البلاد من جهة وبين مهام القوات المسلحة من جهة اخرى .

ويمارس العمل الحزبى والسياسى داخل الجيش والاسطول كل من القادة، والاجهزة السياسية، والجهاز السياسى للوحدات والسفن، والتنظيمات الحزبية والكومسومولية .

القادة والاجهزة السياسية
والتنظيمات الحزبية

١) القادة ، وفردية القيادة :

يمارس القادة فى القوات المسلحة السوفياتية وظائفهم على أساس مبدأ فردية القيادة، وتتركز فى ايديهم كل قيادة القوات، والقادة مسؤولون عن الاستعداد القتالى الدائم للقوات الموكول لهم قيادتها، وعن الانضباط العسكرى والحالة المعنوية والسياسية للأفراد، وهم مسؤولون أيضا عن حالة التسليح وعن المعدات القتالية والنقل ، وعن الامدادات المادية المعيشية والطبية التى يحتاجها الجنود.

وفردية القيادة من أهم مبادئ بناء القوات المسلحة السوفياتية . فهى تضمن وحدة إرادة الافراد ونشاطهم، وتتيح المرونة والسرعة فى قيادة الوحدات والتشكيلات فى مختلف الاحوال وتحت كل الظرف .

أن مهمة القادة (الرؤساء) وهم حملة مبادئ الحزب الشيوعى السوفياتى وتقاليدة، هى ايصال سياسة الحزب إلى داخل صفوف الجيش ووحدات الأسطول، ويسترشد القادة فى نشاطهم بقرارات الحزب والحكومة وينطلقون من المصالح الحزبية ومن مصالح الدولة، أما واجبهم فهو الإهتمام المستمر بالأفراد ورعايتهم.

وهم ليسوا من المتخصصين العسكريين فحسب ، بل ومن منظمى عملية تدريب الأفراد وتربيتهم أيضا.

ويعتمد القائد السوفياتى ، الذى يتمتع بسلطة القيادة الفردية ، فى كل نشاطاته على التنظيمات الحزبية والكومسولية. وكلما كان ارتباطه بهذه

التنيمات أوثق وأعمق، كلما بلغت قيادته للقوات القدر الأكبر من النجاح، ويتشاور القائد دوما مع أعضاء الحزب فى أهم المسائل المتعلقة بتدريب الأفراد وتربيتهم، ويساعدهم حتى يصبحوا طليعيين فى أداء واجبات الخدمة، ثم أنه يقوم أيضا بكشف ونقد النقائض الموجودة فى مجالى تدريب وتربية الأفراد ويتخذ الاجراءات التى من شأنها القضاء على مثل هذه النقائص .

وليس للقادة سلطة إصدار الأوامر للتنظيمات الحزبية ، أنهم يتبعون قواعد الحياة الحزبية التنظيمات الحزبية لا تحل بدورها محل القادة فى عملهم . فيقوم كل أعضاء الحزب، القادة مثلهم فى ذلك مثل المرؤسين، بتقرير المهام تقريرا جماعيا. ويقدم القادة التقارير فى الاجتماعات الحزبية، وفى اجتماعات لجان ومكاتب الحزب، كما إنهم يدلون بآرائهم حول الاجراءات الواجب اتخاذها لتقرير المهام الملقاة على عاتق الوحدات، وتعتبر التنظيمات الحزبية أن من واجبها المساعدة فى تنفيذ أوامر وتعليمات القادة بشتى الوسائل وبمختلف الطرق .

٢) الهيئات السياسية، والجهاز السياسى للفوج (السفينة)

تشكل الهيئات السياسية فى الجيش وفى الاسطول السوفياتى الاجهزة القيادية الحزبية فى القوات المسلحة وتتكون هذة الهيئات فى كافة وحدات القوات المسلحة، وفى المناطق العسكرية وتجمعات القوات والاساطيل والتشكيلات وكذلك فى المعاهد العسكرية ومؤسسات البحث العلمى، وفى هيئات الاركان والادارات الكبيرة. وتسترشد الهيئات السياسية فى نشاطها برنامج وميثاق الحزب الشيوعى السوفياتى، وبقرارات مؤتمرات الحزب واللجنة المركزية والحكومة السوفياتية.

تبنى الهيئات السياسية نشاطها العملى على أساس قانون الاجهزة السياسية الذى أقرته اللجنة المركزية للحزب، وفقا لأوامر وتوجيهات وزير الدفاع ورئيس الإدارة السياسية المركزية للجيش والاسطول السوفياتى.

لقد نشأت الاجهزة السياسية، وكذلك الجهاز السياسى الحزبى للقوات المسلحة السوفياتية) وتطورت مع نمو كل من الجيش والاسطول السوفياتيين، واحتل تنظيم المفوضين العسكريين، الذى تم التصديق عليه فى نيسان عام ١٩١٨، مكنا خاصا فى الجهاز السياسى الحزبى. أما المفوضون العسكريون فقد تم تعيينهم فى كل وحدة وتشكيل فكانوا هم ممثلو الحزب والدولة فى القوات المسلحة وراحو يبثون فى داخل الأفواج والفرق روح الانضباط ويقيمون فيها النظام الثورى، ويربيون لدى الجنود والقادة شعور المسئولية تجاه مصير الثورة، واليقظة حيال دسائس الامبرياليين والقوى المضادة، كما أنهم غرسوا فى قلوب الجند محبة الوطن ومقت الأعداء، وعلموهم على الجسارة والبسالة .

وفى هذه الفترة لم تكن الجمهورية السوفياتية الفنية لتملك بعد العدد الكافى من القادة المدربين والمعدين من بين العمال والفلاحين، فكانت الضرورة تحثها وتفرض عليها إستخدام العمال والفلاحين، فكانت الضرورة تحثها وتفرض عليها استخدام الاخصائيين العسكريين القدماء الذين كانوا يتمتعون بالخبرة الضرورية ويمتلكون المعارف الأزمة. إلا أن جزءا من هؤلاء المتخصصين القدماء كان يكن العداء لسلطة السوفيات ، فاحتاج نشاطهم، بالتالى إلى مراقبة دائمة ومستمرة تمت بنجاح من خلال تنظيم المفوضين العسكزيين والتنظيمات الحزبية .

ولقد ساهم المفوضون مساهمة فعالة فى قيادة القوات المسلحه،

واشرفوا على مجرى العمل السياسى الحزبى وعلى نشاطه فى داخلها، وأولوا اهتماما بامدادات القوات وتموينها، وبمعيشة الجند واحتياجاتهم، ثم أنهم ضربوا أروع أمثلة البطولة والشجاعة فى ساحات المعارك ، وغرسوا فى الجيش، بقدوتهم الشخصية، الوعى الثورى وعلموة على الانضباط والصمود. وأكد لينين فى هذا الصدد قائلا :

"لولا المفوض العسكرى لما كان للجيش الاحمر من وجود"

اتخذت الأجهزة السياسية فى الجيش الأحمر شكلها النهائى قبيل خريف عام ١٩١٨ . فلقد تم حينها انشاء الأقسام السياسية فى الجبهات والجيوش وفى داخل الفرق والألوية، وكانت التنظيمات الحزبية قد اتخذت لها وجودا ، فى هذا الوقت، فى الوحدات العسكرية، وتطلب الأمر أن يكون للتنظيمات الحزبية، ولمجمل العمل السياسى الحزبى بين القوات، قيادة فعالة ماهرة، فأثبت الوقائع، كما دلت الخبرة على أن الاجهزة السياسية هى أنجح اشكال هذه القيادة، أما عن الأجهزة المذكورة، فهى تجمع فى نشاطها ما بين وظائف الأجهزة الحزبية ووظائف الأجهزة الادارية .

إن الأجهزة السياسية للقوات المسلحة السوفياتية قد مزت بطريق تطور طويل . فمنذ انشاء الجيش الاحمر عام ١٩١٨ قامت هذه الأجهزة بتوضيح الأفكار الثورية وشرحها للمقاتلين ، وسعت لتربية الوعى السياسى فيهم، ثم أنها قادت التنظيمات الحزبية والكومسومولية.

وكانت الأجهزة السياسية فى سنوات الحرب تلهم الأفراد وتدفعهم لسحق العدو، وتبثث فى المقاتلين الشجاعة والجسارة، وتعمل على دعم الانضباط وتنظيم مؤخرة الجيش، وتقوم بالدعاية السياسية بين صفوف قوات العدو وفى وسط سكانه ولقد أولت هذه الاجهزة ، فى سنوات البناء

السلمى قدراً كبيراً من الاهتمام فى سبيل تدريب أفراد القوات المسلحة السوفياتية وتربيتهم، وعملت جاهدة كى تحتفظ هذه القوات بأرفع مستويات الاستعداد القتالى حتى تكون تم تأهب لمواجهة أى اعتداء محتمل.

ويزداد دور الأجهزة السياسية فى الظروف الراهنة، وتتعاظم مسؤوليتها فى مجالى التدريب العسكرى والتربية السياسية، ثم أن مهماتها تتلخص فى المساهمة مع التنظيمات الحزبية، ومع القادة، لتربية الأفراد بث روح الماركسية - اللينينية فيهم ، والولاء للواجب الوطنى والأممى، كما أنها تعزز عندهم الاستعداد القتالى وتدعمه تدعيما .

إن أعلى جهاز سياسى فى القوات المسلحة السوفياتية هو الإدارة السياسية المركزية للجيش والأسطول. وتمارس اللجنة المركزية للحزب الشيوعى السوفياتى قيادتها للعمل السياسى الحزبى فى القوات المسلحة من خلال تلك الإدارة .

والإدارات السياسية تتحمل مسؤوليات العمل السياسى الحزبى، وتنظمه، فى كل فروع القوات المسلحة، وفى جميع المناطق العسكرية، وكذلك فى مراكز تجمعات القوات والأساطيل ، أما فى داخل التشكيلات والمعاهد الدراسية العسكرية فتقوم بهذه النشاطات الاقسام السياسية التى تتولى أمر تنظيم هذا العمل، مباشرة، فى الوحدات.

ومن بين أهم واجبات الأجهزة السياسية : قيادة عمل التنظيمات الحزبية والكومسومولية الأساسية وتغطى الأجهزة وتزودهم احتياجات الوحدة من الجرائد، والادبيات، وتزودهم بالوسائل الفنية للدعاية. ويتكون القسم السياسى فى التشكيل من رئيس، ونائب رئيس، ومساعد لشؤون الكومسومول، وموجهين ، أما رئيس القسم السياسى فهو فى الوقت نفسة

نائب قائد التشكيل للشؤون السياسية.

وفى داخل الأجهزة السياسية يتم تشكيل لجان حزبية عن طريق الانتخاب فى المؤتمرات. وتتولى هذه اللّجان النظر فى مسائل القبول فى عضوية الحزب. وتقف على الأخطاء التى يرتكبها الحزب والمرشحين لعضويته، ثم إنها تبت فى تظلمات الشوعيين ، وعليها أيضا إن ترفع تقارير عن نشاطها الى المتمرات الحزبية .

وهناك جهاز سياسى فى الوحدات والسفن يقوم بتنظيم العمل السياسى ويراقب ممارساته وسريانه بين الأفراد .

وتضم الهيئة : نائب القائد للشؤون السياسية والمسؤول عن الدعاية ، ورئيس النادى .

ويوجد فى الوحدة علاوة على ذلك سكرتير متفرغ للجنة الحزبية (المكتب)، للجنة الكومسومول فى الفوج (أو على السفينة) يتم انتخابه طبقا للنظام الداخلى وفى الكتائب والفرق والأسراب، وكذلك فى السرايا والبطاريات ، هناك نواب للقادة يعنون بالشؤون السياسية .

يخضع نائب القائد للشؤون السياسية لقائد الفوج (السفينة) ولرئيس القسم السياسى فى التشكيل ، أما مهامه، فواسعة متانوعة : فهو يشارك فى وضع خطة الإعداد القتالى والسياسى، ويقوم بالاجراءات الدعائية وينظمها ويشرف على الدروس السياسية للجنود ولضباط الصف، يعمل على توسيع أفق الضباط الماركسى اللينينى ورفع مستواه، كما أنه يقوم بتنظيم المباراة الاشتراكية.

ويشرف نائب القائد للشؤون السياسية على النشاط الذى يمارسه التنظيم الحزبى الأساسى، وعلى نشاط التنظيمات الحزبية الفرعية فى

الوحدات، ويقوم بتدريب الاعضاء العاملين فى الحزب ويعنى بتربيتهم، ثمانه ينظم مع مكتب الحزب ومع سكرتير التنظيم الحزبى كيفية تنفيذ القرارات والمهام الحزبية، وله أيضا حق الاشراف على التنظيم الكومسومولى .

ويهتم نائب القائد للشؤون السياسية بامداد الأفراد بالغداء، ويوكل اليهم المهمات، ويتولى عملية تنظيم العمل التزبوى مع أسر العسكُريين، وهو دوما على ارتباط بالأجهزة الحزبية المدنية. إنه والقائد يتحملان مسؤولية تنفيذ المهام الملقاة على الأفراد، وهما يسألان معا عن حالتى الانضباط العسكرى والاستعداد القتالى للفوج (السفينة) أما الموجهون السياسيون الاخرون فهم يعملون تحت إشراف نائب القائد للشؤون السياسية .

ومسؤول الدعاية يعنى بحالة العمل الدعائى ويهتم بأمر الدعوة . فتراة يلقى المحاضرات على الجند، وعلى الضباط وضباط الصف أيضا، ويساعدهم على التعمق فى دراسة النظرية الماركسية – اللينينة، كما أنه يشرف على تنظيم الدروس السياسية ويراقب تطبيقها، ويقم مسؤول الدعاية، بالاشتراك مع نائب القائد للشؤون السياسية، مع سكرتير التنظيمات الحزبية، بأختيار الدعاة وإنتقائهم من بين الجنود الطليعيين فى الفضائل والأطقم ، ويلقنهم اسلوب تنظيم العمل الدعائى، وهو يساعد ايضا فى عملية اختيار موضوعات الأحاديث والمقالات من الصحف والمجلات بغية تنظيم المطالعة .

أما رئيس النادى فمسئول عن نشاط مركز العمل الثقافى والتربوى فى الوحدة. ويقع على عاتقه تنظيم أوقات فراغ الجنود بحيث تكون هذه الأوقات مثمرة من الناحية الثقافية. وفى سبيل ذلك تراه يشرف على اختيار الأفلام السينمائية لعرضها فى مثل هذه الأوقات، كما أنه يقوم أيضا

بتنظيم معارض الهواة، وينسق عمل مختلف الحلقات، ويرتب سير الأمور فى قاعة المطالعة .

وتمارس الهيئة السياسية للفوج الجزء الأكبر من نشاطها، مباشرة، فى الوحدات الفرعية، فتساعد مثلا قائد الوحدة الفرعية ونائبه للشئون السياسية على تنظيم العمل السياسى الرامى إلى تنفيذ مهام الاعداد القتالى، وتتشاور مع ضباط الصف ومع المسؤولين عن الدعوة، وتشرف على نشاط التنظيم الكومسومولى ... إلخ، وأثناء زياراتهم للوحدات الفرعية، يطلع العاملون فى الهيئة السياسية على الصعوبات التى تواجه الوحدات الفرعية، والموجهون السياسيون فيها، خلال قيامهم بنشاطهم العملى، فيقدمون لهم المساعدة، ويوضحون لهم كيفية العمل لزيادة المعارف النظرية وطريقة تنظيم تدريب المرؤوسين واعدادهم .

وبالاضافة إلى ذلك يجرى العاملون فى الهيئة السياسية أحاديث "ودردشات" مع الجنود وضباط الصف، فيدرسون بذلك أمزجتهم ويقفون على مطالبهم ورغباتهم، ويمدون يد المساعدة لبعض الجنود فيعينوهم فى التغلب على مصاعب التدريب العسكرى، ويشجعون مبادرات العسكريين، كما أن الموجهين السياسيين يقومون دوريا بالقاء المحاضرات فى الأفراد أيضا.

فعلى الموجه السياسى أن يكون أولا، وقبل كل شئ متمتعا لدى جماهير الجنود بهيبة لا تشوبها شائبة. ولقد أشار لينين أكثر من مرة إلى نجاح القيادة لا تكلفه قوة السلطة وحدها، بل وتدعمه أيضا هيبة قوية. وفى الواقع فان الموجه السياسى يكتسب لنفسه الهيبة عن طريق المعارف الواسعة التى يختزنها، وبفضل مقدرته فى استعمال هذه المعارف

واستخدامها، ثم لكونه يتحلى بصفات شخصية عالية، فينبغي علية أن يكون على دراية تامة وممتازة بالنظرية الماركسية – اللينينية، وأن يدرك بالتفصيل ما يجرى من أحداث وتطورات على الصعيد الدولى وفى داخل البلاد. وعلى هذا الأساس وحده، يستطيع الموجه السياسى الخوض فى أى موضوع بطلاقة، ويكون حينها فى مقدره إعطاء الإجابات الصحيحة على تساؤلات العسكريين.

وعلى الموجه السياسى السوفياتى أن يتقن أيضا العمل العسكرى وتكون له فيه المعرفة الدقيقة. ومما يقدر ذكرة بشكل خاص هو أن الموجه السياسى لايتابع باهتمام تطور العلوم والتقنية العسكرية فحسب، بل ويتقدم على الضباط الاخرين من حيث قدرته على استيعاب كافة أنواع السلاح ومعدات القتال.

وهناك أيضا شرط هام من الواجب توافره فى شخصية الموجه السياسى، وقد عنينا أن يكوم الموجه قدوة فى إتباعه قواعد الأخلاقيات الاشتراكية. فمن المعروف جيدا ان المربى يؤثر على من يربيهم لا عن طريق إعطائهم معلومات معينة فحسب، بل كذلك عن طريق سلوكه الشخصى، ونمط حياته وموقفه تجاه ما يتعاطاه من أعمال. إن الموجه السياسى فى القوات السوفياتية ملزم، أثناء ثيامه بعمله، بالتمسك بمبادئ الشيوعية، وبالروح الحزبية، ويجب أن تكون عنده القدرة على تذليل مصاعب العمل وإنهاء ما قد بدأه، وعليه أن يكون ملما بكل جديد وطليعى، كما ينبغى له دوما الاختلاط بجماهير الجنود. أما عن التعاون معه فمن الواجب أن تسوده السهولة، وأما عن شخصيه فيفترض فيه التواضع المقرون بالشهامة والحزم.

٣) التنظيمات الحزبية والكومسومولية .

لقد بدأ انشاء التنظيمات الحزبية فى أفواج الجيش الأحمر فى ربيع عام ١٩٨١، وبعد هذا التاريخ أخذ عدد التنظيمات يتزايد بشكل مستمر. وكانت هذه التنظيمات تضم حوالى ٣٠٠ الف شيوعى[١].

ولقد وقف إعضاء الحزب، إبان الحرب الأهليه، وفى فترة التدخل الأجنبى المسلح، على الدوام فى المواقع الأمامية. ولم يكن هؤلاء ليبخلوا بأرواحهم فى المعارك، بل كانوا، ببطولاتهم النادرة ، يشكلون قدوة تلهم المقاتلين وتدفعهم على القيام بالمآثر .

وكان عضو الحزب وهو يتوجه إلى الجبهة يتسلم من التنظيم الحزبى ارشادات تتضمن ما علية من واجبات. أما الإرشادات فكانت تنتهى بالكلمات التالية :

"إن لقب شيوعى يفرض الكثير من الواجبات، لكن لهذا اللقب ميزة واحدة وهى أن يكون الشيوعى دوما فى مقدمة المحاربين من أجل الثورة"

ولقد نفذ اعضاء الحزب هذا الواجب المقدس احسن تنفيذ، واستشهد منهم الكثير فى تلك السنوات (حوالى ٢٠٠ الف شيوعى) استشهاد الابطال ، كل ذلك من اجل حماية الثورة [٢].

لم يكن فى بادئ الأمر لدى التنظيمات الحزبية فى الوحدات العسكرية السوفياتية الفتية أشكال تنظيمية محددة تحديدا دقيقا، أو أساليب عمل مستمدة من الخبرة ووليدة الممارسة.

---

(١) كتاب دليل الضابط ، موسكو دار النشر العسكرية ١٩٧١ ص ٣٢٠

(٢) أ. يبشيف ، اقوى اسلحة الحزب ، الدار العسكرية للنشر ١٩٧٣ ص ٣

وفى كانون الثانى ١٩١٩ ، أصدرت اللجنة المركزية للحزب تعليمات إلى الخلايا الحزبية فى الوحدات العسكرية فى الجبهة وفى المؤخرة، حددت فيها بوضوح مهام وواجبات التنظيمات الحزبية. وكانت أهم هذه الواجبات تركز على تربية الجنود بالروح الاشتراكية، وعلى توضيح سياسة الحزب، ثم على تدعيم الانضباط العسكرى وتعزيزه .

وظل الحزب فى السنوات التالية يولى إهتماما دائما للتوجيه الفكرى والتنظيمى الخاص بالتنظيمات الحزبية، ويسعى فى سبيل تنشيط عملها.

وفى الحرب الوطنية العظمى التى خاضها الشعب السوفياتى (١٩٤١ - ١٩٤٥) وصل إلى الجبهة فى الأشهر الأولى من الحرب ١,٦٨٧,٠٠٠ شيوعى بمن فيهم ٥٠ ألف مسؤول حزبى. وخلال الحرب أيضا قبلت التنظيمات الحزبية، فى الجيش والاسطول، فى صفوفها حوالى ٤ ملايين مقاتل. وقبيل نهاية الحرب كان فى الجيش والأسطول ٣,٢٢٥,٠٠٠ شيوعى أى حوالى ٦٠٪ من مجموع أفراد الحزب (١).

كان الشيوعيون يكتلون الجنود ويقودونهم ، ولقد أبدوا الشجاعة والبسالة فى خضم المعارك. ومن بين الـ١١ ألف مقاتل الذين منحوا خلال سنوات الحرب لقب بطل الإتحاد السوفياتى، هناك حوالى ٨ آلاف شيوعى، كما حصل ٢,٤٤٠,٠٠٠ عضو ومرشح لعضوية الحزب على أوسمة ونياشين الاتحاد السوفياتى(٢). والتنظيمات الحزبية فى الجيش والأسطول السوفياتيين هى، فى الوقت الحالى، الطليعة النضالية القوية للحزب الشيوعى السوفياتى، وتضم بين صفوفها شيوعيين يشكلون ما يفوق ٢٠٪

(١) البناء الحربى ، دار الادب السياسى للنشر ، ١٩٧١ ص ٢٣٢

(٢) المرجع السابق.

من أفراد القوات المسلحة[1].

وفى ممارستها لنشاط، تسترشد التنظيمات ببرنامج الحزب الشيوعى السوفياتى وبنظامه الداخلى، كما أنها تعمل وفقا للتعليمات التى تصدق عليها اللجنة المركزية للحزب.

وفى الإتحاد السوفياتى يجرى تكوين التنظيمات الحزبية الأساسية (الفرق) فى المصانع والمعامل ومشاريع البناء والمعاهد وهكذا... أما فى الورش المختلفة فهناك تنظيمات حزبية تتمتع بحقوق مماثلة لحقوق تنظيمات الأقسام. والتنظيمات الحزبية فى الجيش والأسطول تكون طبقا لهيكل الجيش التنظيمى، وتجمعها الأقسام السياسية للتشكيلات التى هى التنظيمات الحزبية الأساسية فى الأفواج، وفى الوحدات المختلفة والسفن، وفى هيئات أركان التشكيلات وفى المعاهد والمؤسسات العسكرية، شرط أن تضم ما لا يقل عن ثلاثة أعضاء من الحزب الشيوعى فيها الـ ١٠٠ ، وذلك مع منح التنظيمات الحزبية فى الوحدات الفرعية (الأقسام أو الإدارات أو الفرق الدراسية) حقوق التنظيمات الحزبية الأساسية. وتنتخب اللجان الحزبية هناك لمدة عامين أو ثلاثة .

وتشكل فى التنظيمات الحزبية فى الأفواج وفى سفن الأسطول التى تضم أكثر من ٧٥ عضوا ومرشحا لعضوية الحزب، لجان حزبية لمدة عام واحد. أما فيما يتعلق بالتنظيمات الحزبية للوحدات الفرعية (الكتائب، والأسراب...) فتمنح حق التنظيم الحزبى الأساسى. وفى السرايا أو الوحدات المساوية لها. تتكون تنظيمات حزبية لها حقوق تنظيمات أقسام المصانع .

---

(١) أ . يبشيف : اقوى اسلحة الحزب ... ص ١٣٦

وتتشكل داخل التنظيمات الحزبية للوحدات الفرعية وكذلك داخل التنظيم الحزبى الأساسى، جماعات حزبية فى السرايا وحلقات الطيران وفى الفصائل والأطقم. ويجرى إقتراع الإنتخاب منظم الجماعة الحزبية، وذلك فى اجتماع تعقدة الجمالعة التى لا يقل عدد أعضائها عن الثلاثة. اما فى الجماعات الحزبية حيث عدد الأعضاء يقل عن ثلاثة أعضاء وعدة مرشحين لعضوية الحزب الشيوعى. فمنظم الجماعة الحزبية يتم تعيينه بقرار من اللجنة الحزبية (المكتب الحزبى) اللاحزبيين، فتجعلهم على أحسن تدريب، متأهبين دوما لتنفيذ الواجب العسكرى، متمسكين أبداً بالإنضباط.

وفى القوات المسلحة يتميز نشاط الجماعة الحزبية بالسرعة والفعالية، وتراها تقوم بتنظيم الاجتماعات كلما اقتضت الضرورة ذلك من أجل مناقشة مختلف المسائل. وتتولى التنظيمات الحزبية الأساسية فى الجيش والأسطول السوفياتى، تنظيم دراسة النظرية الماركسية - اللينينية لكل من أعضاء الحزب والمرشحين لعضويته، وتربى الأفراد كلهم على روح الولاء للحزب ولمبادئ الشيوعية.

إن لهذه التنظيمات من الشأن ما يجعلها تضمن للشيوعيين الدور الطليعى فى أداء الخدمة العسكرية، وهى تدعم فردية القيادة، وتقدم المبادرات، وتنظم بالاشتراك مع القادة المسابقة الاشتراكية، كما أنها تعبئ الأفراد حتى يصلوا فى تنفيذ مهام الإعداد القتالى والسياسى إلى نجاح أكيد.

وتعمل التنظيمات الحزبية على تدعيم شعور الصداقة وروح الرفاقية عند جماعات الجنود، وتساعد فى جو يطغى علية الاحترام المتبادل بين أفراد الجماعة ويسوه الحزم تجاههم. وهى تعمل أيضا على إيجاد مناخ

رفاقى فيه ما يتيح لكل الجنود إظهار ما لديهم من قدرات. ثم أنها تشرف على التنظيمات الكومسومولية وتسعى لزيادة فعاليتها فى تنفيذ المهام المطروحة على الوحدات، وتربى شباب الجيش على تقاليد الحزب والشع والقوات المسلحة السوفياتية .

والتنظيمات الحزبية تخوض مجال التعليم خوضا عميقا مما يجعلها ذات تأثير ناشط على سير الاعداد القتالى، ومما يتيح لها التحسين من انضباط الأفراد ومن تربيتهم تربية شاملة. ثم أن التنظيمات الحزبية بممارستها النقد والنقد الذاتى تتوصل إلى الكشف بشجاعة عن التقصير الكامن فى عمليتى تدريب المقاتلين وتربيتهم، كما أنها تساهم أيضا فى تنشيط العمل السياسى الحزبى، وتشارك فى نشاط اللجان (المكاتب) الحزبية والأجهزة السياسية.

ويعتبر قبول الاعضاء الجدد فى الحزب، وكذلك عملية تربيتهم واعدادهم. من الوظائف الهامة التى يضطلع بها لإغناء صفوفها باستيعاب الجنود الطليعيين الأكثر نشاطا أما الاجتماع الحزبى العام فهو أعلى جهاز للتنظيم الحزبى الأساسى فى القوات المسلحة السوفياتية .

ويمكن فى الاجتماعات نقد اى عضو حزبى أو أى مرشح للعضوية . غير أن أوامر القادة وتعليمات الرؤساء لاتتعرض أبدًا للنقد ذلك إن المركزية، والانضباط ، وخضوع المجموع لازادة القائد. هى من الأمور السائدة فى الجيش السوفياتى . وأن مناقشة لأوامر القائد بإمكانها الحاق الضرر بأمن القوات المسلحة، ويمكنها فى أوقات الحرب أن تؤدى إلى الفشل فى تنفيذ المهمة القتالية .

وفى التنظيمات الحزبية الاساسية التى يبلغ عدد أعضائها ١٥ عضا

أو أكثر ، تقوم الأجهزة التنفيذية المنتخبة بأعمال اللجان والمكاتب الحزبية. ويحدد المؤتمر الحزبى للتنظيم عدد اعضاء المكتب أو اللجنة. وتنتخب اللجنة (أو المكتب) من بين أعضائها سكرتيرا ونائبا أو اثنين له. أما فى التنظيمات التى يكون الاعضاء فيها دون الـ ١٥ عضوا ، فيجرى فيها انتخاب سكرتير ونائب له فقط. وتعتبر اللجنة او المكتب جهازا للقيادة الجماعية. كما أن اللجنة تقوم بتنظيم تنفيذ كل المهام الموضوعة أمام التنظيم الحزبى وترفع تقارير عن نشاطها إلى الاجتماعات الحزبية .

وتساعد التنظيمات الكومسومولية القواد والتنظيمات الحزبية مساعدة فعالة. وتعتبر هذه التنظيمات الاجتماعية للشباب جزء من أتحاد الشبيبة الشيوعى (الكومسومول) إن هذا الإتحاد قد أنشئ فى أكتوبر عام ١٩١٨ أى فى فترة الحرب الأهلية فى روسيا. وقد قال لينين محددا مهام اتحاد الشبيبة الشيوعى :

"أن يكون المرء عضوا باتحاد الشبيبة فهذا يعنى بذل النشاط بطريقة يهب فيها المرء عمله وقواه فى سبيل القضية العامة "(١) .

وفى عام ١٩٢٤ أصبح اسم الكومسومول : اتحاد الشبيبة الشيوعى اللينينى.

وتشرف على تنظيمات الكومسومول فى الجيش والأسطول الإدارة السياسية المركزية وذلك من خلال الاجهزة السياسية المعنية ، والتنظيمات الحزبية، ونواب القادة للشؤون السياسية. وفى داخل الأجهزة السياسية هناك أقسام الكومسومول، كما يوجد لدى رؤساء الأجهزة السياسية مساعدون للعمل فى الكومسومول .

(١) لينين ، المؤلفات الكاملة جـ٤١ ص ٣٥١ - ٣١٦ .

وتكون التنظيمات الكومسومولية الأساسية فى القوات المسلحة السوفياتية فى الكتائب والأسراب والسرايا. ويماثل هيكلها بصورة جوهرية هيكل التنظيمات الحزبية .

إن التنظيمات الكومسومولية ترفع الوعى السياسى لدى الجنود الشبان، وتربى فيهم نزعة الولاء للحزب ولتقاليد الشعب السوفياتى الثورية، ثم تعمل على غرس التقاليد القتالية للجيش السوفياتى فى نفوسم. وتقدم هذه التنظيمات المساعدة للقادة وللتنظيمات الحزبية من أجل تحقيق المهام المساعدة للقادة وللتنظيمات الحزبية من أجل تحقيق المهام الموضوعة أمام الوحدات الفرعية. وتوجه التنظيمات الكومسومولية اهتماما خاصا حتى يكون اعضاؤها قدوة فى التعليم القتالى والانضباط ، وكى يمارسوا بنشاط الرياضة والتربية البدنية وينفذوا وصية لينين القائلة :

" ينبغى تعلم العمل العسكرى على أكمل وجه"

ويربى كل عضو فى اتحاد الشبيبة، فى القوات المسلحة، بروح الجماعية وبمنطق التعاون الرفاقى والأمانة، والمثابرة، وحب العمل وتعمل التنظيمات الكومسومولية دوما على زيادة صفوفها. وأغلب أفراد الجيش والأسطول هم الآن من بين اعضاء اتحاد الشبيبة الشيوعى اللينينى أما أفضل الكوموسمولين فينضمون إلى صفوف الحزب .

وتقام الاجتماعات فى التنظيمات الكومسومولية الاساسية ما لا يقل عن مرة كل شهر، تناقش خلالها شتى المسائل التى تهم الجنود الشبان. فتثار فى الاجتماعات على سبيل المثال قضايا مثل قضية "الكومسومول على ولائة لوصايا لينين" وقضية "العمل اثناء التدريبات كالعمل فى المعركة" وغيرها من المواضيع .

وينتخب التنظيم الكومسومولى الاساسى (عدد أعضائه ١٠ فاكثر)، عن طريق الإقتراع العلنى، مكتبا له يتولى لمدة عام واحد تصريف أعمال الكومسومول. وإذا كان التنظيم يضم أقل من عشرة أعضاء ينتخب له حينها سكرتيرا ونائبا. وعلى رأس التنظيم الكومسومولى فى الفوج يوجد مكت (لجنة) هو جهاز القيادة الجماعية. أما أعضاء المكتب (اللجنة) فيتركز عملهم بين شباب الجيش مباشرة .

ويأخذ المكتب (أو اللجنه) أو سكرتير التنظيم بعين الاعتبار الصفات الشخصية التى يتمتع بها أعضاء التنظيم ومستوى اعدادهم، ويأخذ فى الحسبان أيضا ميولهم وأهتماماتهم، وذلك أثناء تكليفهم القيام بمهام بهدف دمجهم فى العمل الاجتماعى .

وتمارس الأجهزة السياسية، كما يمارس نواب القادة للشؤون السياسية والتنظيمات الحزبية عملية اختيار العاملين القياديين الكومسومولين وتوزيعهم .

التربية السياسية الفكرية للجنود السوفيات :

١) مهام التربية السياسية الفكرية للأفراد :

من أعظم مهام التربية السياسية الفكرية للجنود السوفيات شأنا: تكوين العقيدة الماركسية – اللينينية العلمية لديهم . أن فى مثل هذة العقيدة ما يساعد العسكريين على إدراك آفاق التطور العالمى والوقوف على سيرة وقفة عميقة ، وما يجعلهم يتفهمون الأحداث التى تجرى داخل البلاد وفى المجال الدولى تفهما سليما، وما يدفعهم إلى أداء واجبهم الاجتماعى والعسكرى أداء واعيا. ويقوم القادة والموجهون السياسيون والتنظيمات الحزبية فى القوات المسلحة السوفياتية،

بتوضيح مبادئ الماركسية - اللينينية وشرح قوانين تطور الطبيعة والمجتمع للجنود. كما أنهم يجهدون كي يفهم الأفراد سياسة الحزب والحكومه والمهام التى تواجه الجيش والاسطول .

ومما يساعد فى ذلك: عملية التدريب القتالى المرتبطة بالتغلب على صعوبات حقيقية من جهة، والمتعلقة بتربية صفات معوية قتالية عالية لدى الجنود السوفيات من جهة أخرى. وتحتل مسائل التربية الأخلاقية مكانا بارزا فى مجال العمل الايديولوجى الذى يجرى على قدم وساق بين أفراد القوات المسلحة السوفياتية .

إن الأخلاقيات، كما هو معروف، مجموعة من القواعد والمبادئ والاعراف التى يعتمدها الناس فيسلوكهم، وهى تشكل أيضا واجباتهم تجاه بعضهم البعض وتجاة المجتمع وتتضمن الأخلاقيات الشيوعية مبادئ عديدة منها المبدأ القائل بأن على كل فرد فى المجتمع واجب المحافظة على الملكية العامة والعمل على تنميتها، ومبدأ التعاون الرفاقى والأمانة، والصدق والتضامن الأخوى مع كادحى جميع البلدان، وغير ذلك، وترتبط بهذه المبادئ ارتباطا وثيقا اصنول وقواعد سلوك العسكريين المميزة للجيش والتى صيغت فى القسم العسكرى وفى المواثيق العسكرية .

ويعمل القادة والموجهون السياسيون حتى تصبح هذة المبادئ قواعد وأصول مسلكية يتبعها كل جندى وتستخدم وسائل الأعلام ، المطبوعة منها والمسموعة ، لتربية الصفات المعنوية القتالية العالية عند الجنود، صفات كالشجاعة ورفقة السلاح، والمبادرة والأمانة وما إلى ذلك. ويستنكر العسكريون فى الوقت نفسه كل شخص يتهاون فى تنفيذ المهمة القتالية التعليمية ، أو يسمح لنفسة النيل من ثقة القائد والعمل على خداعة ، وهم

يستنكرون أيضا من يتعالى فى سلوكه ومن يعامل رفاقة على غير أساسى الأمانة والشرف .

ويتركز اهتمام كبير فى القوات المسلحة السوفياتية من أجل تربية الأفراد على روح الوطنية السوفياتية ، وصداقة شعوب الإتحاد السوفياتى ، الأممية الاشتراكية .

وعند الإتحاد السوفياتى كما عند الشعب السوفياتى وجيشه أيضا ، تقاليد ثورية ونضالية مجيدة يجرى الترويج لها على نطاق واسع فى الوحدات العسكرية. أما العسكريون فيسعون كى يكونوا على صورة الثوار اللينينيين فيتقتدون بمثل هؤلاء الأبطال حتى يصبحوا على أتم استعداد للصمود فى الدفاع عن مصالح الشعب .

وتكمن قوة الوطنية السوفياتية فى أنها تقوم على أساس الصداقة الكتينة التى تجمع فيما بين شعوب الإتحاد السوفياتى ، وفى إنها على ارتباط وثيق بالاممية الاشتراكية .

إن أكثر من ١٣٠ أمة وقومية تعيش وتعمل ضمن الأسرة الواحدة للشعوب السوفياتية. والخدمة العسكرية بجمعها أبناء مختلف القوميات، تربى أفراد الجيش والأسطول السوفياتى على روح صداقة وأخوة شعوب الإتحاد .

السوفياتى. أما مفهوم الوطنية بالنسبة لأبناء الشعب السوفياتى فهو يحمل طياته لا الولاء للوطن ولكل أسرة الدول الاشتراكية فحسب، بل أنه يحوى أيضا حب واحترام الشعوب الشقيقة وجيوشها. ويقوم الجيش السوفياتى وجيوش الدول الاشتراكية الشقيقه بمناورات مشتركة وتبادلون فيما بينهم الخبرة المكتسبة فى مجالى الاعداد القتالى السياسى. كما أنهم

يتبادلون أيضا المطبوعات التى يصدرونها ... إلخ .

ويغرس فى نفوس الجنود السوفيات كذلك شعور الصداقة والاحترام تجاه شعوب بلدان العالم وتجاه كل كادحى الأمم الصغيرة كانت أم كبيرة. وأفراد الجيش والأسطول يعرفون حق المعرفة إن الاتحاد السوفياتى يؤيد نضال الشعوب العادل الهادف إلى التحرر الوطنى، وأنه يقدم المساعدات الشاملة لبلدان آسيا وافريقيا وأمريكا اللاتينية، وينمى معها الروابط الاقتصادية والثقافية ويساهم فى إقامة الكثير من المشروعات الصناعية والزراعية فى أراضيها، ويسهم فى عملية إعداد الكوادر الوطنية المتخصصة فى هذه البلدان .

ومن بين المهام الرئيسية للعمل السياسى التربوى فى القوات السوفياتية : مكافحة الايديولوجية البورجوازية فمن المعروف أن الدول الامبريالية تشن حملات عقائدية ناشطة ضد الاتحاد السوفياتى، وهى بفعلها هذا إنما ترمى إلى تقويض الروح عند الجنود السوفيات .

ولذلك فان المولجين بأمور التربية السياسية فى القوات المسلحة السوفياتية يبذلون الجهد الضرورى لاسقاط القناع الذى تتخفى وراءه الايديولوجية البرجوازية ، فتراهم يحدثون الأفراد عن عيوب الامبريالية وعن أباطيل وكذب النظريات والدعاية البرجوازية، ويفصحون للعيان الأساليب المنمقة التى ينهجها مشوهو التاريخ من أبناء البورجوازية، وبتعبير أخر يمكننا القول بأن هذه الأحاديث إنما تستهدف كشف القناع جوهر الامبريالية العدوانى وعن سياستها المعادية لجميع الشعوب .

ومعروف عن الامبرياليين انهم لا يقتصرون على عمليات التخريب الايديولوجى فى صراعهم ضد النظام الاشتراكى العالمى. فبجانب فعلهم

هذا يرسلون الجواسيسوالمخربين ويدسونهم هنا وهناك بهدف الحصول على المعلومات وبغاية تفويض أمن جيوش الدول الاشتراكية. لذا يبذل فى الجيش السوفياتى كل ما هو ضرورى ولازم للحفاظ على أعلى مستيات اليقظة والاستعداد القتالى للقوات المسلحة .

٢) رفع المستوى الفكرى النظرى للضباط :

الدروس السياسية للجنود وضباط الصف :

إن الطريقة الرئيسية المتبة لرفع المستوى الفكرى النظرى لضباط الجيش والاسطول السوفياتى هى دراسة النظرية الماركسية – اللينينية دراسة مستقلة، وتكوين مجموعات الاعداد الماركسى – اللينينى لتنظيم الدروس للضباط، والدراسة فى هذه المجموعات إلزامية غير اختيار المجموعة طبقا لموضوع الدراسة أمر اختيارى .

ويمكن للضباط اختيار أى من المواد التالية : تاريخ الحزب، الفلسفة، الاقتصاد السياسى، الشيوعية العلمية، النظرية الماركسية – الينينية، حول الحزب والجيش، المسائل العسكرية النظرية، نظرية التربية العسكرية .

العسكرية وتطبيقها

وتخصص سنويا ٥٠ ساعة من وقت الخدمة للدراسة فى جماعات الضباط. وتكون الدراسة على شكل محاضرات أو ندوات ، يلقيها بصورة رئيسية القادة والموجهون السياسيون الأكثر معرفة والأشد إلماما من بين هيئة القيادة .

كما أنه تنظم مؤتمرات نظرية، وندوات، ومحاضرات تهدف إلى مساعدة الضباط وإعانتهم على دراسة النظرية الماركسية – اللينينية بشكل

أعمق. ويشرف كبار القادة والموجهون السياسيون على الدراسة المستقلة التى يتلقاها الضباط. وفى الوحدات هناك اماكن خاصه جمعت فيها المواد والكتب اللازمة للتعليم الذاتى للأفراد .

تعطى الدروس السياسية للجنود ولضباط الصف وقت الخدمة، وتستغرق فترة الدرس ساعتين وذلك مرتين فى الأسبوع، وتقوم الادارة السياسية المركزية باعداد المناهج التى بموجبها تعطى الدروس .

ويجرى خلال هذه الدروس توضيح أفكار لينين للجنود وشرح المبادئ الأساسية لبرنامج الحزب وقرارات المؤتمر الرابع والعشرين للحزب الشيوعى السوفياتى ، كما تعرض أيضا المشاكل الحيوية التى تعانى منها الحركة العمالية وحركة التحرر الوطنى العالمينين ، ثم تناقش الأمور المتعلقة بالتربية العسكرية وغيرها من المسائل .

إن كل جندى وكل ضابط صف ملزم بحضور هذه الدروس فى مجموعته. ويشرف على مثل هذة المجموعات قادة من الوحدات الفرعية، والموجهون السياسيون والضباط الأكثر إعدادا . ثم انه لدى المشرفين على المجموعات مساعدين يجرى اختيارهم من بين ضباط الصف والجنود والبحارة أعضاء الحزب والكومسومول النموذجيين فى الخدمة والذين يتمتعون بمستوى من المعرفة رفيع. إما وظيفة المساعد فهى تنظيم الدروس الاضافية وتقديم العون لمن يحتاجه من الدارسين .

وتنظم ندوات ومحاضرات وأحاديث تتناول موضوعات الخطط والمناهج التعليمية وتتطرق إلى المشاكل النظرية الأكثر تعقيدا بهدف رفع المستوى النظرى وتحسين أساليب التعليم التى يتبعها المشرفون على المجموعات. ثم يتبادل مشرفو المجموعات الخبرة فى شئون تنظيم الدروس

السياسية وممارسة تعليمها. ويقفون ايضا على نتائج ما قدموة من دراسة. كما يمنح المشرفون على المجموعات الوقت اللازم ، وتتاح لهم الظروف الضرورية والأماكن الازمة من أجل تحضير الدروس .

وتبدا دراسة الموضوع السياسى عادة بمحاضرة أو حديث يقدمه المشرفُ، وفى نهاية المحاضرة (أو الحديث) يجيب المشرف على كل الأسئلة ويعدد المراجع والمواد الواجب قراءتها والعودة إليها، ثم يقدم التوجيهات لمستمعيه ويشرح لهم كيفية الاستعداد للدوات، وبعد أن يعد المستمعون انفسهم فى مجموعات مختلفة، تنظم الندوات، ومن حيث الشكل، فالندوات هى عبارة عن مناقشة خلاقة لعناصر الموضوع الرئيسية. أما الاشتراك فى هذه المناقشة فهو اختيارى .

ويدرس القادة والموجهون السياسيون تجربة إعطاء الدروس فيشجعون أفضل مشرفى المجموعات واحسنهم. وإلى جانب نشاط مجموعات الأعداد الماركسى - اللينينى للضباط ، وبالإضافة إلى الدروس السياسية المعطاة للجنود ولضباط الصف، يوجد فى القوات المسلحة نظام التثقيف الحزبى، ويشتمل هذا النظام على جامعات مسائية للماركسية - اللينينية، ومدارس حزبية مسائية، وكذلك على ندوات دائمة، وحلقات، ومدارس سياسية للعمال والموظفين العاملين فى الجيش السوفياتى. وتشرف الأجهزة السياسية على هذا التثقيف الحزبى .

وتكون فى الجامعات المسائية للماركسية - اللينينة كليات للفلسفة والتاريخ وغيرها من الفروع، وذلك طبقا لرغبات المنتسبين من الضباط. كما أنه يعمل فى المدارس الحزبية المسائية على تدريس تاريخ الحزب، وأسس العلوم التربوية العسكرية، وعلم النفس، والتربية السياسية والعسكرية وغيرها من المواد .

ويتعلم عادة فى اطار لتثقيف الحزبى : القادة والموجهون السياسيون ، ورجال الدعاية، والمشرفون على الدروس السياسية، وممثلو العاملين الحزبيين والكومسومولين .

٣) الاشكال الرئيسية للدعاية والدعوة الجماهيرية :

من بين الاشكال الأكثر انتشارا للدعاية والدعوة الجماهيرية: الأحاديث الفردية والجماعية مع العسكريين، وكذلك المحاضرات، وفى الحقيقة نجد أن الأحاديث هى أكثر الاشكال مرنة فى تحقيق مرامى العمل فى مختلف الظروف : فى الثكنة العسكرية، فى ميدان التدريب، فى ساعات الراحة وفى المشاريع. ويتم تخطيط مسبق لبعض من هذه الاحاديث ، ثم أن هناك أحاديث أخرى تنظم طبقا لمتضيات الأمور ومع الأخذ بعين الاعتبار لكل من الموقف والمهام الموضوعة أمام الوحدة الفرعية.

فمن الممكن تنظيم الأحاديث مثلا بسبب التدريب المقبل على الرمى، أو بسبب الخروج إلى الميدان للتدريب أو لحراسة، أو لوصول فوج جديد، أو بسبب نجاحات حققها الجنود الطليعيون فى الاعداد القتالى والسياسى وهكذا. وتنتشر بصورة خاصه الأحاديث التى تدور حول التقاليد القتالية للجيش السوفياتى، وحول التقاليد القتالية للجيش السوفياتى، وحول الولاء للواجب العسكرى. ويقوم باجراء الاحاديث رجال الدعوة، والقادة، والموجهون السياسيون.

وتتكون مجموعات الدعاية فى الاقسام السياسية بالتشكيلات بغية مساعدة وتوجيه نشاط الدعاة الذين يلقون المحاضرات والذين يقع على عاتقهم نشر المعارف السياسية والعلمية وترويجها بين الأفراد .

وتتكون مجموعات المحاضرين فى الوحدات ، وتكون تابعة للجان (أو المكاتب) الحزبية. وتضم هذه المجموعات بين ١٠ و ١٥ فردا، هؤلاء الأفراد هم بصورة رئيسية من بين الضباط. ثم إن اللجان أو المكاتب الحزبية تبحث فى الموضعات التى ستتناولها مجموعة المحاضرين، وتعمل على إقرارها .

ويحتل الاعلام السياسى مكانا هاما فى الدعاية والدعوة ، وهدفه هو شرح قرارات الحزب والحكومة للجنود وضباط الصف فى الوقت المناسب ، وكذلك ايضاح ما يجرى من أحداث سياسية وتبيان المهام الملقاة على كاهل الوحدة. وتنظم مواعيد الاعلام السياسى للأفراد بحيث تكون مرتين فى الاسبوع تستغرق كل منهما ٣٠ دقيقة وذلك فى الأيام التى لا تعطى فيها الدروس السياسية. كما يحدد نائب القائد للشؤون السياسية موضوع المحاضرات فى مجال الاعلام السياسى كل أسبوع ، ويقوم بإلقائها قادة الوحدات الفرعية وقادة الوحدات ، والموجهون السياسيون .

وتستخدم اجتماعات ومؤتمرات العسكريين على نطاق واسع فى العمل السياسى التربوى فى القوات المسلحة السوفياتية ، وتقدم للمناقشة فى هذه الاجتماعات كل من المشاكل السياسية العامة ، والمسائل المتعلقة بتنفيذ مهام الاعداد القتالى والسياسى. ويمكن تنظيم اجتماعات عامة لأفراد الوحدات، كذلك اجتماعات على مستوى فئات العسكريين : للضباط، وضباط الصف، والمتخصصين، وذوى الامتياز فى الاعداد القتالى والسياسى وغير ذلك .

وفى بعض الحالات تقضى الضرورة بتنظيم المؤتمرات بسرعة فيبلغ الأفراد بما يجرى من احداث جديرة بالاهتمام فى الحياة الداخلية والدولية،

ثم تتم تعبئة الجنود لتنفيذ المهام العملية الهامة التى تجابهها الوحدة. أما المؤتمرات فيعلن عنها عادة برفع الراية القتالية للوحدة . وإلى جانب ذلك يتم بمبادرة من الشيوعيين والكومسومولين تنظيم حلقات المطالعات اللينينية فى القوات المسلحة السوفياتية .

ويرجع ذلك إلى اهتمام الجنود الشديد بالتراث الفكرى لمؤسس الحزب الشيوعى والدولة السوفياتية فلاديمير لينين .

ومن القراءات اللينينية الخاصة بأفراد الجيش والاسطول السوفياتى يمكننا ذكر موضوعات مثل : "لينين والدفاع عن الوطن الاشتراكى" و "وصايا لينين العسكرية" وغيرها من المواضيع .

وأثناء قراءة مؤلفات لينين ومؤلفات أخرى، يجرى توضيح مختلف المبادئ للعسكريين، وتقدم لهم الاستنتاجات العملية. وفى كثير من الأحيان تتمخض القراءات عن نقاش حيوى. فمع تعرفهم على المصادر الأساسية عن كثب، يطرح المستمعون اسئلة تدور حول الموضوع، ويبدون كذلك رأيهم الخاص. وتساعد الأفلام الخاصة بلينين ، والاسطوانات التى سجلت عليها خطبه، فى جعل القراءة أغنى من حيث المضمون ، وفى كثير من الأحيان تتم دعوة الذين شاركوا فى الثورة والذين إلتقوا بلينين ، أو الذين عملوا تحت قيادتة ، لحضور هذه القراءات اللينينية .

وتقام فى الوحدات امسيات الأسئلة والأجوبة لتوضيح المسائل السياسية والعملية والتكنيكية والقانونية والمعيشية وغيرها من المسائل التى تهم الجنود السوفيات. ويجرى الإعلان مسبقا عن موعد تنظيم هذه الأمسيات . ويمكن للعسكريين أن يتقدموا بالاسئلة التى يبغون إجابة عليها قبل موعد إنعقاد الامسيات . ثم تتم دعوة ذوى الاختصاص للإجابة عليها.

وللمناظرات دورها فى الجيش والاسطول السوفياتى أيضا، ففى خلالها يجرى تبادل واسع للرأى بين الجنود ، فيعبرون عن وجهات نظرهم فى مختلف المشاكل، ثم يبحثون لايجاد القرارات السليمة الخاصة بالمسائل موضوع النقاش .

وأثناء مناقشة الموضوع ، يبدى المشترك فى المناظرة رأيه ويدافع عن وجهة نظره ، وفى الختام يحاول المشرف على المناظرة تقديم أصح تفسير بخصوص المسائل التى إختلف فيها وجهات النظر إختلافا كبيرًا .

وتطبق فى القوات المسلحة السوفياتية طبقا لظروف الخدمة ولاحتياجات الجنود أشكال اخرى للدعاية والدعوة الجماهيرية، ويلعب الاعلام المرئى دور بارزا فى العمل السياسى التربوى .

ففى قاعات الثقافة ، والنوادى ، وفى مدن العسكريين السكنية ، تنظم معارض للصور واللوحات تدور حول موضوع معين. وفى الوحدات هناك لوحات للصور تلقى الضوء على المشاكل المهمة فى الحياة الداخلية والدولية. وتنظم لوحات الصور فى الوحدات الفرعية أيضا حيث تعرض النجاحات التى أحرزتها الجماعات والأطقم الطليعية، وحيث ينوه بنشاط الجنود فى مجالات الرمى والرياضة .

٤) المؤسسات التثقيفية والصحافة :

تمتلك القوات المسلحة السوفياتية شبكة عريضة من المؤسسات التثقيفية، ومن بين هذه المؤسسات : النادى المركزى للجيش السوفياتى، والمسرح المركزى للجيش السوفياتى، والمتحف المركزى للقوات المسلحة السوفياتية، وغيرها من المؤسسات، وتوجد نوادى للضباط فى المناطق العسكرية وفى الأساطيل والحاميات الكبيرة، وفى الوحدات توجد أيضا

نواد ومكتبات ، أما فى الوحدات الفرعية فهناك نواد تطلق عليها تسمية : قاعات الثقافة .

ويعتبر نادى الفوج مركز العمل التثقيفى فى الوحدة، فتقام فيه المحاضرات، وتجرى فيه الأحاديث والاستشارات فى مختلف المسائل السياسية والفنية والعسكرية والعلمية. كما تعرض فية كذلك الأفلام السينمائية والمسرحيات والحفلات، وتمارس فيه جماعات هواة الفنون نشاطها .

لقاعات الثقافة أهمية تربوية كبرى ، وهى عن طريق تصميمها الفنى الخاص، وبواسطة وسائل الدعوة المرئية الموجودة فيها تيسر للجنود فهم وصايا لينين مؤسس الحزب الشيوعى والدولة السوفياتية، وتساعد عملية التربية السياسية والعسكرية على إتمام مهامها بصورة أفضل.

أن هذه القاعات تزود بلوحات للصور تتحدث عن الحياة القتالية للوحدة وعن المآثر التى حققها الكومسومول فى المعارك والعمل، كما أنها تعطى فكرة عن الانجازات التى تمت فى مجال تنمية الاقتصاد الوطنى. وإلى جانب ذلك يوجد فى قاعات الثقافة مكتبة متنقلة تتضمن مؤلفات لينين، وهناك أيضا صحف ومجلات وألعاب تسلية مثل الشطرنج والدومينو وما إلى ذلك. وتقام فى مثل هذه القاعات الاجتماعات والمحاضرات والاحاديث التى تتناول مختلف المواضيع، كما تنظم فيها قراءة ومناقشة الكتب ومواد الصحف الدورية وتقام فيها كذلك أمسيات الصداقة القتالية ، كما تقدم جماعة هواة الفنون عروضها هنا.

ويوجد فى كل وحدة فرعية مجلس لإدارة قاعة الثقافة وينتخب المجلس اعضاءه (من ٥ إلى ٧ أعضاء) فى اجتماع عام للعسكريين فى الوحدة

الفرعية. وتوزع على أعضاء المجلس المهام، فمن بين الاعضاء من يتولى أمر لوحات الصور ، ومنهم من يعنى بإقامة المعارض وغير ذلك من أنواع الدعاية المرئية، ومن بينهم من يتكفل بتنظيم نشاط الأقسام الرياضية ويهتم برعاية نشاط حلقات هواة الفن.

وفى الوحدات، كما فى الوحدات الفرعية، هناك أقسام وفرق رياضية، ثم أن فيها من يعنى بشؤون التدريب الرياضى وتنظيم الاحتفالات، والمباريات الرياضية.

وتلعب الصحافة دورا كبيرا فى داخل القوات المسلحة السوفياتية، وهى، وهى وسيلة هامة من وسائل الدعاية والاعلام الجماهيرى، كما أنها أداة فعالة تسهم فى تربية الأفراد سياسيا وعسكريا.

ويصدر الجيش السوفياتى المجلات باعداد كبيرة مجلات مثل : "أخبار عسكرية" ، "الطيران والفضاء" . "أخبار الدفاع الجوى" "التكنيك والتسليح" وغيرها من المجلات. كما تصدر دار النشر العسكرية التابعة لوزارة الدفاع، كمية كبيرة من مختلف المطبوعات. أما الصحيفة الناطقة بلسان وزارة الدفاع السوفياتية فهى صحيفة "النجم الأحمر" . ثم أن لكل منطقة عسكرية ولكل أسطول ومجموعة قوات وتشكيلات صحيفتها الخاصة.

وتصدر فى الوحدات الفرعية بالجيش والأسطول السوفياتى صحف الحائط، والمنشورات القتالية. وتقوم باصدار صحيفة الحائط هيئة تحرير تنتخب فى اجتماع عام للعسكريين. وهيئة التحرير تختار بدورها من بين اعضائها رئيسا لها. أما المنشورات القتالية فى الوحدات الفرعية فتصدر اثناء التدريبات القتالية وفى ظروف الميدان أو المسير .

وفى الوحدات أيضا صحف حائط ساخرة تنتقد الجنود الذين يبدى لهم القادة ملاحظات حول سلوكهم، والذين لا يقومون بمهام الخدمة العسكرية كما ينبغى. إن مثل هذه الانتقادات فيها من الفكاهة الشئ الكثير، وفيها من الاسلوب الساخر ما لا يجعلها تبتعد عن المناخ الودى بأى حال من الاحوال .

دور العمل السياسى الحزبى
فى تطوير مستوى الاعداد القتالى
وتدعيم انضباط الافراد

١) اهمية العمل السياسى الحزبى فى استيعاب السلاح ومعدات القتال:

إن القوات المسلحة السوفياتية مزودة بأحدث الأسلحة، وبارقى معدات القتال. وتركيب هذه الاسلحة والمعدات إنما هوغاية فى التعقيد، فمن أجل دراستها أو استعمالها بمهارة على المرء أن يكون واسع الاطلاع كثير المعارف.

إن عملية استيعاب الجنود للسلاح والمعدات تجرى خلال الدروس التعليمية الميدانية أو فى الفصول ، وفى المواقع التعليمية القتالية وميادين التدريب، وأثناء الطيران أو فى ويبذل القادة والموجهون السياسيون، وكذلك التنظيمات الحزبية والكومسومولية، كل ما فى وسعهم كى تكون دراسة المعدات على أرفع المستويات، وحتى تعود على العسكر بأكبر قدر من الفائدة فتكسبهم الشئ الكثير من المعرفة. ثم إنهم يغرسون لدى الجنود هذا الشعور الذى يدفعهم إلى عشق المعدات القتالية والإيمان بقوتها

وفعاليتها، والرغبة فى المحافظة عليها واستخدامها بمهارة. وتناقش الاجتماعات الحزبية والكومسومولية مسائل الإعداد الفنى للأفراد.

وهناك تقليد أخذت به وحدات كثيرة وبامكاننا تلخيصة كالآتى: عندما يصل إلى الوحدة مجندون جدد، يجزى تسليمهم سلاح الجنود وضباط الصف الذين أنهوا الخدمة .

ويتم ذلك فى جو احتفالى وأمام طابور الأفراد، ثم يتوجه القادة والموجهون السياسيون بنداء إلى المجندين الجدد يحثونهم فية على الوطن بولاء، ويدعونهم لدراسة السلاح دراسة جيدة والمحافظة علية أحسن المحافظة.

ويعتبر تقسيم المهارات وتصنيفها درجات، فى الأسطول والجيش السوفياتى، مؤشرا لمستوى الاستعداد الفنى عند الجنود. فيمنح الجنود وضباط الصف والضباط، طبقا لاستيعابهم التخصص العسكرى ونظرا لإلمامهم به، لقب متخصص دجة اولى وثانية وثالثة . ويتسلمون شارة تعلق على الصدر ، وشهادة منحهم درجة التخصص .

ويوضح القادة والموجهون السياسيون للعسكريين ما ينبغى معرفته واستيعابة للحصول على درجة أعلى، ثم إنهم يشجعون نشاط هؤلاء المتخصصين عن طريق مختلف وسائل الدعاية المسموعة منها والمطبوعة ، وهم – أى القادة والموجهون – أن قاموا بهذا التشجيع فانما يفعلون ذلك منطلقين من مواقع الخبرة .

ولا يقل عن ذلك اهمية الدور الذى تلعبة الدعاية الفنية العسكرية التى تبث فى الوحدات والتى تستهدف رفع مستوى الإعداد الفنى عند أفراد الجيش والأسطول. وتتضمن هذه الدعاية محاضرات تتناول الموضوعات

الفنية والعسكرية، وأمسيات يدور فيها الحديث عن المعدات، ومؤتمرات وحلقات غايتها دراسة المعدات دراسة علمية .

وتتشكل بمبادرة من التنظيمات الحزبية والكومسومولية خاصة، حلقات لدراسة المعدات الجديدة ، فتنظم على سبيل المثال ، حلقات لدراسة اللاسلكى والالكترونيات والمحركات ... إلخ.

أما مدة عمل الحلقة وفترة دراستها فتستغرق عادة سنة، وفى بعض الأحيان نصف سنة، ومدة الدراسة تكون عادة مرهونة بنوعية التخصص.

كما أنه يولى اهتمام كبير فى الجيش والأسطول من أجل تطوير الإختراعات وعصرنتها، وفى ذلك ما يتيح استخداما اكثر فعالية للمعدات، وما يخلق أجهزة تعليم وتدريب، وما يعمل على تحسين تكنولوجيا إصلاح واستخدام معدات القتال. وفى الوحدات يتم إيجاد الظروف المواتية التى تدعم وتشجع بشتى الطرق مبادرات المجددين والمخترعين. ثم إن الاهتمام يتركز حتى تصبح حركة التجديد والاختراع جماهيرية الصبغة والطابع .

وتلعب المباراة الاشتراكية دورا كبيرا فى تعبئة الجنود من أجل استيعاب السلاح ومعدات القتال استيعابا سريعا. وإلى جانب ذلك نجد أن للمباراة الاشتراكية فى الجيش والأسطول السوفياتى غايات وأهداف منها: تحقيق مؤشرات عالية فى الاعداد القتالى والسياسى، ورفع مستوى المهارات لدى الجنود وجعلهم يتقون تخصصات قريبة من تخصصهم الأصلى، جعل الاختراعات بقدر الإمكان عملية يشارك فيها الجميع، المحافظة على المواد العسكرية والاقتصادية فى استهلاكها... إلخ

تنظم المباراة الاشتراكية بين العسكريين من جهة، وبين الوحدات الفرعية من جهة أخرى ويقوم بتنظيمها القادة بالاشتراك مع التنظيمات

الحزبية والأجهزة السياسية مع مساهمة فعالة من قبل هيئات الأركان، وذلك على أساس المبادئ اللينينية التى منها: العلانية، مقارنة، نتائج المباراة، الدعاية للخبرة الطليعية، والتعاون الرفاقى ثم أن نتائج المباراة تعلن فى اجتماع للعسكرين، وتذيعها أجهزة الراديو كما تلقى عليها الأضواء خلال الأحاديث وفى صحافة الجيش أيضا، أما عن الفائزين فى المسابقة فلهم المكافأة.

٢) العمل السياسى الحزبى تنفيذ مهام التدريب الميدانى :

يحتل التدريب الميدانى مكانا رئيسيا فى الاعداد القتالى للقوات السوفياتية ، فيتعلم الجنود فى التدريبات والمشاريع الميدانية على العمل فى ظروف مشابهة إلى اقصى حد للظروف القتالية، كما أنهم يكتسبون صلابة عضلية وقوة معنوية فائقة .

ويشكل الاعداد التكتيكى اساس التدريب الميدانى ويجرى تحقيقة أثناء عملية التدريب الفردى للجندى وخلال التدريب على الحركات التكتيكية وفى مررحلة التدريب على الحركات العسكرية، يجرى صقل الأفراد من أجل تنفيذ حركات الصف العسكرى وتشكيلات القتال للوحدات الفرعية. وينظم القادة السياسيون أحاديث للجنود تتناول موضوعات التدريب، ويعملون كى يتسم نشاط الوحدة الفرعية، فى ظروف الميدان، بالدقة والتناسق.

كما أنهم يقدمون ازشاداتهم فى مجال التدريب واساليبة لمن هم دونهم رتبة من القادة. وتتناقش الجماعات الحزبية والكومسومولية فى الفصائل والسرايا وتبحث عن أفضل الطرق لتنفيذ المهام وأثناء التدريب، يساعد قادة الوحدات الفرعى، ومنظمو الجماعات الحزبية، الجنود على أداء

التكتيكات التى تطبق فى ميدان "المعركة" ويرشدونهم لتنفيذها تنفيذا سليما فيعلمونهم مثلا كيفية تخطى موانع العدو وطريقة تلافى نيرانه أثناء القيام بهجوم على خطوطه الأمامية .

ويبدى القادة والموجهون السياسيون اهتماما بإمداد الجنود بالمواد الغذائية والمؤن والصحف، ويسعون لجعل مراسلاتهم منتظمة، ويضمنون لهم الرعاية الطبية، وتنظم للجنود فى أوقات الراحة حلقات للاعلام السياسى والاحاديث، ولهم المجال مفتوح لقراءة الصحف، ثم انهم يزودون بالمنشورات الفورية وكذلك بالمنشورات القتالية .

وأثناء المناورات ترى الموجهين السياسيين باستمرار بين الأفراد فى أهم القطاعات يعملون جاهدين حتى يقتدى الجنود بشخصهم وحتى يصبح العسكر على مثالهم . وإذا ما اقتضت الضرورة فهم هنا على أتم استعداد لتقديم النصح ولابدزء الملاحظة بلهجة رفاقية . وهم دائما على أتم الأهبة لتوجية النداءات إلى الجنود. ويمكننا إيراد واحد من هذه النداءات على سبيل التعريف: "أيها الجندى هاجم بحزم وكأنك فى معركة" من المعروف أن الوحدات والوحدات الفرعية، تتعاون فيما بينها أثناء المناورات. لذلك يجرى توضيح أشكال وطرق التعاون بين الوحدات والوحدات الفرعية للأفراد، كما توضح لهم أهمية الإخاء العسكرى وفائدة تبادل المساعدة، ثم أنه يجرى تنظيم لقاءات لممثلى مختلف فروع القوات والوحدات الفرعية، إذا ما سمحت الظروف القتالية التدريبية.

ويبدى كثير من الجنود سرعة بديهة، ومبادرة، ويظهرون مثابرة ومهارة فائقة أثناء تنفيذ المهام القتالية التدريبية. ويقوم القادة والموجهون السياسيون ورجال الدعوة بتشجيع هؤلاء الجنود ويروجون لخبرتهم ثم

يعملون فى نفس الوقت على تلافى أوجه القصور المحتمله، ويراقبون الجنود فى تنفيذهم لواجباتهم حتى لا يقع هؤلاء فى التهاون أثناء تنفيذ بعض التدريبات. فتزداد مثلا اهمية التموية فى ظروف استخدام الوسائل الحديثة للنضال المسلح، وهذا يعنى أن يتم تنفيذ كل أعمال التمويه تنفيذا كاملا دونما أى تجاوز للتعليماتُ والأوامر .

وفى نهاية المناورات تجمل النتائج. أما المسائل المتعلقة بمضمون ونوعية العمل السياسى الحزبى فتناقش فى مؤتمر يضم الموجهين السياسين وسكرتيرى التنظيمات الحزبية والكومسمولية. وأما الخبرة الطليعية المكتسبة فى المناورات، والأعمال النموذجية التى قام بها الجنود ، فيجرى ترويجها وتعمل الدعاية على نشرها فى الصفوف بغية تعميم الفائدة.

٣) العمل السياسى الحزبى فى مجال تدعيم الانضباط العسكرى :

يعتبر الانضباط العسكرى السوفياتى من حيث طابعه انضباطا واعيا ، ما يعنى إن مثل هذا الانضباط لا يقوم على أساس خشية العقاب أو القسر، بل يقوم على أساس وعى كل جندى لواجبه العسكرى وللمهام الوطنية والأممية الملقاة على كاهل القوات المسلحة السوفياتية. لذلك فإن الأسلوب المتبع أساسا فى الجيش والاسطول السوفياتى لتربية الجنود بروح الانضباط الرفيع هو أسلوب الإقناع. ويعمل القادة والموجهون السياسيون والتنظيمات الجديدة على أن يدرك كل جندى ضرورة وجود الانضباط العالى فى الجيش، فتراهم يستخدمون الحقائق فى إقناع الأفراد بامكان تحقيق مستوى عال من الاستعداد القتالى للوحدة والوحدة الفرعية عن طريق الانضباط .

وعلى نقيض ذلك، فإن إهمال الانضباط وفى تناسيه ما يجر إلى أوخم العواقب: فاذا تأخر جندى الدفاع الجوى مثلا ٥ أو ٦ دقائق فى إكتشاف الهدف الطائر بسرعة ٢٠٠٠ كلم فى الساعة فان الهدف يصبح حينها على بعد ١٥٠ أو ٢٠٠ كم من المنطقة الأكثر ملاءمة للاعتراض . وعلاوة على ذلك ، إذا تأخر رجال رجال الصواريخ قليلا فى إطلاقهم صواريخهم فإن الطائرة (لهدف) العدوة المكتشفة يمكن أن تخرج من مجال الإصابة. وعلى هذا الأساس يقتضى الأمر وجود انضباط دقيق فى النوبات القتالية فى شبكة الدفاع الجوى .

ويتم الوصول إلى إقناع الأفراد بضرورة وجود انضباط متين بواسطة نظام العمل التربوى الذى فعلة فى القوات السوفياتية المسلحة. وإلى ذلك توجد فى الجيش والاسطول السوفياتى عقوبات تنال من كل شخص يبتعد عن الأمانه فى تأديته الخدمة، ويعمل على خرق النظام، والحزب يعلم القادة ويلقنهم على المزج بمهارة بين اسلوب الاقناع من جهة، وطريقة العقاب من جهة أخرى، ولقد دلت الخبرة على أن هذا المزج الموفق إنما يعود بافضل النتائج واحسنها .

ويتم التوصل إلى انضباط عال فى القوات المسلحة السوفياتية عن طريق إتباع نمط داخلى ينظم حياة الوحدات والوحدات الفرعية. والجدير بالذكر أن النظام الداخلى فى الوحدات والمبنى على أساس المواثيق العسكرية السوفياتية يتسم بالدقة وكذلك بوضوح الهدف وضوحا كلياً.

وتعتبر عملية التدريب القتالى مدرسة حقيقية تعمل على تربية العسكريين السوفيات على روح النظام وتبث فى نفوسهم الانضباط. وبشكل خاص، فإن التدريبات على الحركات العسكرية التى يقوم بها الجنود إنما تلعب دورا كبيرا فى مجالى النظام والانضباط، فعن طريق

التدريب على مثل هذه الحركات العسكرية يتكل الجنود ويربى فيهم الاهتمام وكذلك المقدرة على التفاعل بسرعة ودقة مع الأمر الذى يتلقونه.

لذلك فإن وسائل العمل التربوى السياسى تعبئ الجنود حتى ينفذوا بشكل وا ع ودقيق كل عناصر النظام الداخلى فى الوحدة وجميع متطلبات نظام التدريب القتالى أن فى كل ذلك ما يربى لدى الجنود أثبت العادات التى تميز السلوك الانضباطى افضل تميز السلوك الانضباطى أفضل تمييز.

ويحدد العاملون السياسيون بالاشتراك مع القادة كيفية استخدام القادة استخداما سليما لنظام التشجيع والعقاب طبقا لما جاء فى المواثيق العسكرية ، وذلك حتى يكون الانضباط على صورة مثلى .

إن التشجيع يرفع من كرامة الجنود الشخصية، كما أنه يلهمهم ويدعم فيهم الثقة بقوتهم. أما العقاب المطبق بحق كل من يخرق الانضباط العسكرى فله أهمية تربوية كبرى. وينبغى فى هذا الصدد التنويه بأنه محظور على القادة فى الجيش السوفياتى إهانة المرؤوسين والحط من كرامتهم أو إنزال العقوبات الجسدية بهم .

(٥) الجيش والشعب : صداقة وثيقة وروابط شاملة :

ترتبط القوات المسلحة الفوفياتية ارتباطا وثيقا بالشعب ، وهناك وحدة تجمع بينهما ، أما الأسس التى تقوم عليها هذه الوحدة فهى : نظام الدولة السوفياتية أولا ، وايديولوجية الماركسية – اللينينية ثانياً ، ثم وحدة الهدف فى بناء الشيوعية وحمايتها من تخريب اعدائها ثالثا .

لقد أشار لينين فى السنوات الأولى لوجود الدولة السوفياتية قائلا :

"إن مجالس السوفيات هى جهاز جديد للدولة يمد العمال والفلاحين بالقوة لمسلحة، وهذه القوة، بعكس ما كانت علية حالة الجيش فى النظام البائد، لا يمكن عزلها عن الشعب وهى مرتبطة به ارتباطا وثيقا للغاية" (١)

لا تجد فى الإتحاد السوفياتى طبقات مستغلة وبالتالى ليست هناك تناحرات طبقية، فالمجتمع السوفياتى يتألف من الكادحين ودور الجيش السوفياتى هو خدمة مصالحهم والمحافظة عليها. والجيش السوفياتى كما جاء وصفة عند لينين، ما هو إلا تحالف مسلح يضم العمال والفلاحين ويقوم بوظيفة حماية الثورة وقضيتها. لذلك فان مصير الدولة الاشتركية عزيز على قلب كل من الشعب وجيشه .

ولقد انتصرت بلاد السوفيات فى كل الحروب التى خاضتها لردع المعتدين ودحرهم، وذلك بفضل الجهود المشتركة لكل من الجيش والشعب، ففى سنوات الحرب الوطنية العظى مثلا (١٩٤١ - ١٩٤٥) كان العمال فى المؤخرة يمدن الجبهة دون انقطاع بكل ما هو ضرورى من سلاح وعتاد وذخيرة وغذاء وملابس. كما تطوع مئات الآلاف من الكادحين للقتال أو للانضمام إلى وحدات المقاومة الشعبية. واسهموا طوعا فى مساعدة القوات المسلحة باموالهم فى صنع اضافية من الدبابات والطائرات وغيرها من الأسلحة. وفى فترة البناء السلمى واصل الحزب الشيوعى السوفياتى، كما فى زمن الحرب. إهتمامه الدائم بتدعيم الصداقة الوثيقة والروابط الشاملة التى تجمع ما بين الجيش والشعب .

ولافراد الوحدات العسكرية فى الجيش والاسطول السوفياتى علاقات وطيدة تربهم بعمال المصانع والفلاحين وموظفى المؤسسات والهيئات. ثم إن

---

(١) لينين : المؤلفات الكاملة ، جـ ٣٤ ص ٣٠٤

الأجهزة السياسية والتنظيمات الحزبية الموجودة فى القوات المسلحة هى دوما على إتصال باللجان الحزبية وباجهزة السلطة السوفياتية المحلية.

أما نواب مجالس السوفيات، وأما رجالات العلم والفن والأدب ، وأما الطليعيون العاملون فى المصانع والمزارع التعاونية ، فتراهم يلقون المحاضرات والاحاديث على الجنود العاملين فى الأجهزة الحزبية والكومسومولية. وتدور هذه الاحاديث والمحاضرات عادة حول آفاق تطور اقتصاد وثقافة المنطقة أو الجمهورية ، وحول الطرق التى يجب اتباعها من أجل تقدم الإنتاج، ثم أن هذه النخبة من رجال الفكر والعلم تشترك فى المؤتمرات الحزبية والكومسومولية التى تقام فى القوات المسلحة، وتحضر ندوات القادة. والموجهين السياسين، كما أنها تنشر المقالات فى صحف الجيش وفى مجلاته .

وتقوم الاجهزة السياسية والتنظيمات الحزبية فى الجيش والاسطول، من جانبها، بتقديم المساعدات للتنظيمات الحزبية المحلية، أكان ذلك فى مجال التربية العسكرية الوطنية للكادحين، أو فى نطاق اعداد العمل الدفاعى الجماهيرى .

والآلاف من شيوعى القوات المسلحة منتخبون فى اللجان الحزبية المحلية، وفى عضوية سوفياتات نواب الشغيلة .

وكثيرا ما يلقى أعضاء الحزب العاملين فى القوات المسلحة محاضرات حول الطريق النضالى للجيش السوفياتى، وذلك فى المصانع والمعاهد الدراسية. وتقوم الصحف والمجلات باعلام الأفراد عن حياة كادحى الجمهوريات والنواحى والأقاليم وعن النجاحات التى توصلوا إلى تحقيقها، كما تتحدث الصحافة المركزية الحزبية المحلية عن الجنود

الطليعيين وعن انجازات الأفراد فى الاعداد القتالى والسياسى .

وتتحقق الروابط بين الجيش والشعب عن طريق العمل الإشرافى كذلك، فلقد أصبح الإشراف المتبادل بين المصانع والمؤسسات العلمية والمدارس من جهة، وبين الوحدات العسكرية من جهة أخرى، من التقاليد الراسخة. وهناك الكثير من الأمثلة التى تعبر عن الصداقة الكائنة بين أفراد الكتائب وبين العاملين فى فرق الإنتاج، فيتبادلون إرسال ممثليهم إلى الاجتماعات الحزبية والكومسومولية، ويتبادلون ايضا صحف الحائط، ثم ينظمون حفلات سمر مشتركة.

وفى الكثير من الجمهوريات الاتحادية. وفى نواحى وأقاليم بلاد السوفيات حيث للقوات المسلحة وجود، يعمل بنظام الرايات الحمراء المتنقلة التى تقدمها اللجان الحزبية وأجهزة السلطة السوفياتية، وتسلم هذه الرايات إلى الوحدات والسفن المتقدمة فى الاعداد القتالى والسياسى، وتنظم زيارات من وقت إلى آخر للوحدات العسكرية والسفن يقوم بها وفود من الكادحين والشباب، ثم يقوم العسكريون برد هذه الزيارات ، فيتفقدون المصانع والمعاهد الدراسية .

وفى كثير من الأحيان نجد فى "غرف لينين" بالوحدات الفرعية لوحة شرف تحمل أسماء وصور العمال والمهندسين الطليعيين العاملين فى أحد المصانع المحلية.

وفى المصنع بدوره هناك لوحات عليها صور الجنود الطليعيين الذين برزا فى الوحدات الفرعية. وفى مثل هذه الاجراءات ما يقرب دون شك، بين الجنود والعاملين فى المصنع وما يدعم الصداقة التى تشدهم ويعززها .

ثم أن الوحدات العسكرية تساعد الفلاحين فى جمع المحاصيل

واصلاح الماكنات الزراعية، وتشجير المدن والقضاء على آثار الكوارث الطبيعية. ويشترك العسكريون فى التربية العسكرية الوطنية للشباب، ويعملون على إعداده للإلتحاق بالخدمة فى الجيش، فيشرفون على الحلقات الفنية العسكرية وعلى حلقات الرماية، ثم يساهمون فى تنظيم مسيرات عسكرية للشباب ويساعوهم فى تنظيم معارض "المجد القتالى" فى المدارس.

والوحدات العسكرية تسهم أيضا فى اقامة المعسكرات الرياضية العسكرية، حيث يتعرف الشباب عن كثب على مهنة الجندى، فيشترك فى المباريات الرياضية، ويؤدى الاختبارات الضرورية للحصول على شارة "مستعد للعمل والدفاع" .

ويلقى رجال العلم والفن والأدب، دوما، المحاضرات فى الوحدات العسكرية ويقدمون التقارير، كما أن كل واحد منهم يساهم، حسب اختصاصه، باعطاء المشورة وإدلاء النصح فى أمور شتى، أنهم يساهمون أيضا فى عمل جامعات الثقافة، وفى إقامة المهرجانات السينمائية والأمسيات التى تطرق مختلف المواضيع، ثم تراهم يرعون إنتاج أدباء وموسيقى وفنانى الجيش. وينظم العاملون فى المسارح والسيرك، كما ينظم اعضاء الفرق الموسيقية، الكلاسيكية منها والخفيفة ، الحفلات للجنود خلال العام وفى اطار نظام الاشراف. وفى الوقت ذاته. نجد أن نوادى الضباط فى الحاميات العسكرية مفتوحة أمام الكادحين .

ثم إن فرق الجيش الفنية وفرق هواة الفنون تقدم عروضها فى النوادى وفى قصور الثقافة والمسارح المحلية .

بداية الصرع (١)

أكره الإلحاد بقدر ما أحب ربى، وأستحمق أهله بقدر ما فى قلبى وعلقى من يقين ومعرفة، لقد آمنت بالله عن استدلال وبصر، وتطواف فى آفاق السموات والأرض ، تفنيد للشبهات ونسف للريب .

ومن هنا فإن غرور الجاحدين بما لديهم من ظاهر العلم لا يلقى لدى إلا الاحتقار والمقت .

وما أعد منكرى الألوهية إلا أشباه دواب مهما كانت حصيلتهم من العلوم ومكانتهم على هذا الترتيب !!

وإذا كان الإلحاد عاهة تزرى بصاحبها على هذا النحو . فكيف إذا كان صاحبها داعية لجهالته متحمسا لها ؟

وكيف إذا نما هذا الإلحاد، وتكاثف، وأمسيت له دولة تفرضه بالسلاح، وتوطئ له الظهور والأعناق، وتنتمى له فى السر والعلن، وتريد به أن تطفئ نور الله، وأن تمد ظلمته حتى تطوى أقطار الأرض إلى آخر الدهر ؟

إن ذلك بداهة أدعى لمزيد من الانكار والبغضاء والمقاومة والغضب !!

من أجل ذلك قاومت وقام كل مسلم الشيوعية العالمية واعترض زحفها، وأبى - بألف دافع من دينه - أن يستكين لها ، أو يأذن بمرورها ..!!

لكن ...

لكن إذا كان الأمر كذلك فكيف تسلك روسيا أم الشيوعية وحاميتها

---

(١) الإسلام فى وجه الزحف الأحمر - الشيخ محمد الغزالى .

وحاملة لوائها إلى البلاد العربية والإسلامية ؟ وكيف قدرت على توطيد مكانتها هنا وهناك ؟؟

والجواب عند الصليبية الغربية التى أعمى الحقد والجشع قلبها ، وظنت أن الفرص مواتيتها لاجتياح الاسلام وأمته فى هذا العصر ..

ماذا أصنع إذا كنت فلسطينيا ورأيت الدول المسيحية الكبرى تقرر علانية وبدون ذرة من وجل أو خجل تهويد بلادى وتجريدى من دارى ومالى؟؟

ماذا أصنع وأنا أقاوم هذا الظلم الفادح فلم أجد إلا السلاح الروسى يوضع فى يدى لأثبت به حقى ، وأغسل به العار عن نفسى وبلدى ودينى ؟؟

وإذا كنت أفريقيا ورأيت الاستعمار الغربى أشد ما يكون حرصا على تنتصير شرق أفريقية وغربها ووسطها ، واقامة حكومات مسيحية تعمل جهرة على محو الإسلام فيها وقتل زعمائه وتدويخ شعوبه ؟؟

وأين يحدث ذلك ؟؟

بين شعوب كثرتها الكبرى مسلمة وقلتها وثنية وأقلها مسيحى .

فماذا أصنع إذا وجدت روسيا تحارب هذه الحكومات وتعرقل سياستها ؟

ألا أميل إلى الروسى وأتمنى لهم تقدما محدوداً أو مطردا ضد هذا العدو المشترك .

وإذا كان فى مصر أريد بناء وطنى ، وتحسين أحواله الاقتصادية ، ووجدت الدولة المسيحية الكبرى تقبض يدها عنى ، وتتمنى الويل لى .

فماذا أصنع اذا رأيت العون الروسى يقترب منى ويعرض نفسه على؟؟ أن روسيا تسللت حقا البلاد العربية والاسلامية .

بيد أن هذا التسلل جاء نتيجة حتمية لطبيعة السياسة الغربية وكراهيتها، الدفينة للإسلام والمسلمين .

إن الغرب الصليبى يعد الأمة الاسلامية تركة لا صاحب لها . وهو يتحكم فى علاقتها بدينها ، ويرغمها على ترك ما يرى من شرائعه ، واخفاء ما يكره من شعائر .. !!

وهو يعطى نفسه حق محو الاسلام من أى بلد وتنكيس لوائه فى أى أرض .. !

وهو قد يعامل بعض الحكومات الاسلامية برفق فى نطاق ما يصون منفعته فحسب !

فاذا غاضت هذه المنفعة بدا ما كان مستخفيا من عداء .

وبديهى أن يحارب المؤمنون الأحرار هذا الاستعمار الحقود والخئنون.

وما كان عليهم من حرج وهم يدافعون ظلماته ان يتلقون السلاح من أى يد ولو كانت ملحد لايؤمن بالله ولا باليوم الآخر ..

إن الغريق لا يلام إذا تشبث بأى شئ يعصمه من الموت ويتيح له النجاة . ونحن المسلمين فى وضع شائك محزن !!

أنه يستحيل أن ننسى ربنا، أو ندع ديننا، أو نتخلى عن توصياته فى شتى المواقف .

وحين نقبل العون الروسى ماديا كان أو أدبيا فلكى نستبقى أنفسنا وتراثنا ضد من ينبغى العدوان علينا .

أى أننا نريد استدامة وجودنا الأصيل بكل ما يقتضيه هذا الوجود من حقائق وشارات .

فحين نعيد فلسطين مرة أخرى ، ونكسر القوى التى تقيم اسرائيل على صعيدها . فذلك كى تعود الأرض المقدسة الى عروبتها واسلامها لا غير ..!

وحين نهزم الاستعمار الكالح المتعصب فى افريقية وآسيا ، فذلك كيما تعود حرية الضمير ، وتنحسر أمواج الفتنة، وتتنفس الجماهير المسلمة المضطهدة فى جو خال من الغشم والصغار .

إن السفاهة بعينها أن يظن أحد بنا أو يرتقب منا أن تتحول إلى الشيوعية لأن الاستعمار الغربى أكرهنا على التعاون معها وقبول نجدتها..!

كلا. لن نفرط أبدا فى اسلامنا، وسنظل ما حيينا أوفياء لله ورسوله، مستمسكين بعروة الأخوة الجامعة التى تربطنا بالمسلمين فى أرجاء الدنيا.

وإذا كانت المصالح السياسية المجردة تجعل المتناقضين يلتقيان فى ميدان ما فتلك ضرورات تمليها ظروف خاصة ولا تعنى بتة أن تنازل أحد عن مقوماته ومشخصاته !!

لعل انجلترا والولايات المتحدة أعرف مكانا بذلك .

فهما فى الحرب العالمية الأخيرة تحالفنا مع روسيا ضد المانيا .

وقال فى ذلك تشرشل أنه مستعد للتحالف مع الشيطان ضد خصومه!!

وهكذا تعاونت الرأسمالية والشيوعية الشرقية على الكفاح معا ضد عدو مشترك ، واختلطت الدماء المراقة لبلوغ غاية محدودة .

هل كان معنى ذلك تخلى أحد الفريقين عن مبادئه وعقائده ؟

كلا ...

لقد قبل الروس عون الأمريكان مع أن الغرض البعيد للروس هو القضاء على الرأسمالية التى تعتبر أمريكا قاعدتها الكبرى .

وفى ذلك يقول ستالين نقلا عن لينين : «إن النصر لا يتم لنا إلا على أيدى من يحسنون تخير الطرق للهجوم والتقهقر على السواء» .

إن الحرب للقضاء على «البورجوازية» الدولية ستكون حربا طويلة شعواء تضاءل أمامها أهوال الحروب التى تنشئ بين الدول وبعضها الآخر.

ومن الخرق أن نتنحى فى سبيلها عن سلوك أى طريق من طرق المناورة كأن نضرب أحيانا مصالح عدو بمصالح آخر !! أو نبرم اتفاقات مؤقتة نعرف لها عدم الدوام والثبات !!

فاننا برفضنا هذا المسلك نكون كمن يريد تسلق جبل منحدر مجهول المسالك ويتمسك بادئ ذى بدء بالامتناع عن الصعود فى خط متعرج أو الرجوع أحيانا بضع خطوات إلى الوراء أو العدول عن الاستمرار فى الطريق المختار والبحث عن طريق أسهل منه لإتمام الصعود» .

بهذا الأسلوب المرن يخدم الشيوعيون قضاياهم. فهل من ضير على المسلمين أن يلجأوا إلى هذا الاسلوب نفسه فيضربوا مصالح عدو بمصالح عدو آخر ؟؟

المهم ألا يفقدوا أنفسهم ، وألا ينسوا غايتهم فى خلال هذا المتعرك المعقد وما يفرضه من كرٍّ وفرّ وابتسام وعبوس .

بل أن خطة المسلمين أشرف لأنهم - ببواعث من دينهم - لن يغدروا فى عهد ، ولن يكفروا نعمة ذى نعمة ، ولن المنكر معروفا ولا المعروف منكرا بيد أن خطة ضرب عدوا بعدو ، ثم الخلاص بالاسلام وأممه ممن شتى المآزق ، ليست بالأمر السهل .

إنها خطة تحتاج بعد عناية الله إلى ساسة أوفياء لدينهم وتاريخهم ، لهم فى الدعوة الإسلامية رسوخ وبصيرة .

وحولهم شعوب تتحمل أعباء الجلاد طول المقاومة ، وتعرف نهاية الطريق وإن اختلفت الوسائل .

وهذه شروط لم تتوفر للأسف فى عصرنا .

نشأ عن فقدها - كلا أو بعضا - أن الروس وأضرابهم لم عرضوا عونهم على ضحايا الإستعمار الغربى وخصومه جاشت فى صدورهم الآمال أن تجد الشيوعية قبولا حسنا بين العرب والمسلمين ....!!

وهى آمال لها ما يسوغها بل لها ما يقويها .

فإن الروح الدينية عراها ضعف شديد خلال عشرات السنين أو مئات السنين التى اضمحلت فيها الأمة الاسلامية الكبرى ، وسقطت بقضها وقضيضها فى براثن الغزو الأجنبى المنساب من كل ناحية .

ثم إن القصور الذى غلب على ألوان الثقافة الاسلامية جعل كفتها تطيش أمام فنون التقدم العقلى المقبل مع الحضارات المادية الجديدة ..

ومن ثم فان أعداد من الناس قلت أو كثرت استهواها هذا المذهب الجديد ، ولم تر حرجا - إن لم تدخل فيه - أن تواليه وتنحاز إلى جانبه .

وهكذا تحول الوجود الروسى إلى دعوة فُعالة بعيدة الأثر للشيوعية العالمية ، وأصبح الاسلام يواجه خطرين لا خطراً واحدا :

* خطر الزحف الأحمر الجديد الذى ان تمكن دمر الاسلام كله أصولا وفروعا .

* وخطر الصهيونية والاستعمار اللذين حكما علينا بالإعدام ، وشرع فى التنفيذ لولا بعض العقبات الطارئة ...!!

على أن ازدواج الخطر يفزع الجبناء وحدهم !!

أما المؤمنون بالله المتوكلون عليه فان مضاعفة الخطر تزيدهم اعتصاما بالله وجهادا فى سبيله «الذين قال لهم الناس أن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل»(١) .

ونحن نهيب بالمسلمين حيث كانوا أن يستميتوا فى حماية دينهم وبلادهم ، وأن يذودوا الشيوعية ، والصهيونية ، والصليبية عن تراثهم المهدَّد، وأن يتواصوا خلفا عن سلف بأداء هذا الواجب .

فإما عاشوا سعداء ، وإما ماتوا شهداء ...

إن الغرب يريد - بعد سحق الشيوعية أن يفرض علينا نفسه وما يدين. وإن الشيوعية تريد هى الأخرى - بعد سحق الغرب أن تفرض علينا نفسها وكفرها .

---

(١) سورة آل عمران : الآية ١٧٣.

ومن أشنع الجرائم أن يشعر مسلم بالتبعية لهؤلاء أو أولئك .

إن الاسلام نمط فى الحياة متميز بعقائده وشرائعه وفضائله...

ونحن مستعدون أن نعلم الجاهلون بالاسلام، ومستعدون كذلك لمقاومة الجاحدين المرتدين .

وفى جو الاسلام الصحيح يستحيل أن تجد الشيوعية مجالا تنتشر فيه بل حيث تسود العدالة الاجتماعية قلما تلقى الشيوعية لها مكانا .

وقد بحت أصوات الدعاة إلى الشيوعية فى انجلترا وغيرها من البلاد المماثلة ، فما انقاد لهم من يؤبه له ...

ولذلك نقول فى يقين : انه حيث يوجد الاسلام فقها وتطبيقا فهيهات أن تجد الشيوعية موضع قدم لها فى بلاده .

لأنه عقيدة يدعمها العقل ، وتشريعه ينسجها العدل .

وفى ظلاله يسود الأمن والشبع وتنمو الحريات والحقوق .

وقد كانت الشيوعية تحارب بعنف العهد الملكى السابق !!

فهل كانت مخاصمتها لوجه الله وحماية الاسلام ؟ كلا ...

لقد حوربت حماية لسرقات الملوك ومظالمهم ، وتمشيا مع سياسة الغرب الذى كان يناوئها يومئذ .

أما الإسلام نفسه فرن دماءه كانت تنزف تحت وطأة الاستعمار الداخلى والاستعمار الخارجى على سواء .

ومن الخطأ تصور أن الاسلام يحارب الشيوعيين بالسجن ، ويطارد الشيوعية بعصا القانون ، تاركا الدنيا تموج بالتفاوت الجائر والمكاسب

الحرام !!

هذا تصور أحمق .

وهدفنا الأوحد أن يقوم مجتمع اسلامى يستند إلى كتاب الله وسنة رسوله. ويستمد حصانته ووجاهته من العافية التى يقدمها للناس فى أرواحهم وأدانهم .

لكن الشيوعية تريد بنا كيان لها داخل البلاد العربية والاسلامية ، وهى تستغل - كما أتينا - حاجة العرب والمسلمين الى عونها السياسى والعسكرى كى تضع الأسس لهذا البناء .

لنعترف بأن هناك شيوعيين عربا يعملون - مخلصين أو أجراء - لتحقيق هذه الغاية .

ولنعترف ايضا بأن من الجنون هزيمة اسرائيل ومن وراءها بغير السلاح الروسى أو ما يشابهه ...

وإلا فمن أين نجئ به ؟

وتحت ضعط هذه الظروف ترك للشيوعيين أن يتحركوا .

ولكن - والحديث هنا عن الجمهورية العربية المتحدة - بعد اجراء تغيرات اقتصادية تجعل دعايتهم ضعيفة الأثر فى نظر رجال الدولة أو تبقى البلاد مربوطة بالاسلام المشوه المنقوص الذى تمخض عنه الغرور الفكرى الحديث .

وشرحا لذلك كله يقول الكاتب المعروف محمد حسنين هيكل :

«قد آن الوقت لكى ينظر المجتمع المصرى إلى الشيوعية والشيوعيين

نظرة عادية وأن يستمع إليهم إذا أراد كما يستمع لأى فكر يعرض نفسه بغير حساسية خاصة وبغير تشاؤم وبغير تطير !!

لقد فات - فى ظنى - الوقت الذى كان المجتمع المصرى فيه لا يملك بإزاء الشيوعية إلا الوسائل العسكرية يردهم بها يرميهم وراء قضبان السجون .

ولقد تجاوز المجتمع المصرى - يقينا - هذه المرحلة ووصل فى تجربته الذاتية ونضجه السياسى إلى الحد الذى يجعله قادرا على مناقشة كل فكر ... قادرا على فهم العقائد وفرزها ... قادرا على أن يقبل ما يريد ويرفض - أو يلفظ - ما لا يريد وعيا واقتناعا فى الحالين !

وفى المجتمعات التى بلغت سن الرشد، بل فى تلك التى تتمسك بالنظام الرأسمالى نراهم لايواجهون الشيوعية والشيوعيين بالسجن والقمح، لكنهم يتركونهم فى بحر المجتمع الواسع وعلاقاته المتشابكة وظروفه التاريخية كلمة بين الكلمات ورأيا وسط الآراء..

وفى الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا - مثلا - أحزاب شيوعية يسمح القانون بوجودها دون اعتراض ويتركها المجتمع تؤدى دورها بلا خشية ولا خوف يستوجبان ملاحقة الشرطة أو تدخلها. تلك علامة من علامات النضج وهى أيضا من علامات الديمقراطية.

وأقول على الفور أننى لا أرى للشيوعية أو للشيوعيين مستقبلا فى مصر ولا فى العالم العربى - الكلام لا يزال للأستاذ محمد حسنين هيكل - ولست أول بذلك لمجرد خلافى مع الشيوعية والشيوعيين وإنما أقول به نتيجة لنظرة - أعتقد سلامتها - إلى الواقع العربى كله وإلى مسيرته التاريخية من الماضى إلى المستقبل .

لكن ما أراه فى الشيوعية والشيوعيين ومستقبلهم شئ ومقاومتهم بالشرطة وبالسجون شئ آخر يختلف عنه تماما .

وليس معنى ذلك أننى اليوم أطالب للشيوعية والشيوعيين بحزب فى مصر تمثلا بما يحدث فى الولايات المتحدة الأمريكية وفى بريطانيا وإنما الذى أقول به وأعلنه محددا وواضحا هو أنه : لم تعد هناك ضرورة ، ولا قيمة لأى اجراء تقوم به الشرطة تجاه الشيوعية الشيوعيين .

أعنى أنه قد جاء الوقت فى ظنى لكى نتركهم يقولون ما عندهم وليستمع المجتمع بقدر ما يريد وليرفض وليلفظ كل ما يجده متعارضا مع إرادته . فوق ذلك فانه ما زالت هناك حالات يتحتم فيها على القانون - وعلى الشرطة إذا اقتضى الأمر - ضرب الشيوعية والشيوعيين - وذلك اذا ما أقدموا على عمل يتعارض مع المبادئ الأساسية التى أعلنها النضال الوطنى ميثاقا له .

من ذلك مثلا أن تحاول الشيوعية والشيوعيون تكوين حزب سياسى علنى أو سرى فى مصر. فان ذلك مخالفة لاجتماع الارادة الوطنية الحرة.

على أن العمل السياسى فى المرحلة الحاضرة يكون كله تحت قيادة تحالف قوى الشعب العاملة .

مثل هذه الحالة خروج على الميثاق وعلى الدستور ، وبالتالى يحق بل ولابد للقانون أن يتدخل وأن يضرب .

ومن ذلك - أيضا - أن تحاول الشيوعية والشيوعيون أن يمسوا الدين رسالة وجوهرا ، فإن ذلك مخالفة للعقيدة الانسانية والاساسية الأولى التى يؤمن بها مجتمعنا ، ذلك المجتمع الذى يقدس أديانه ويتمسك - قبل أى شئ

- بقيمها الروحية، ويحميها بل قوانينه بل يفتديها بما هو أقوى من القانون وأحكامه» .

وهذا الكلام دفاع ماهر عن ترك الدعاية الشيوعية تنطلق فى جونا وتعرض نفسها كيف تشاء . لكنه كلام كثير الثغرات أمام التأمل العادى .

والرد عليه ميسور لكل بصير بطبيعة الشيوعية، وطبيعة الأمة الاسلامية فى هذه الحقبة من تاريخها .

فالزعم بأن الشيرعية تنفك عن الإلحاد كالزعم بأن الرأسمالية تنفك عن حرية التملك ، وبأن الاشتراكية تنفك عن تأميم المرافق العامة !!..

فلا المذاهب الشيوعية من الناحية النظرية يقوم على إيمان ما .

ولا هو من الناحية التطبيقية فى بلاد الله كلها احترام إيمانا ما .

ولما كانت الدولة هى المشرفة على التعليم فى روسيا وغيرها ، فإن تنشئة أجيال تجحد الله كل الجحد جزء من عمل الدولة ... !!

نعم قد تحترم الآحاد لتكون عطلة وراحة، وقد تحترم بعض الكنائس لتكون متاحف أو مثابة يلقى فيها العجزة وسقط المتاع فى المجتمع .. !!

أما أن يسمح للدين بأن يكون عقيدة ايجابية تمحو وتثبت فهذا مستحيل فى ظل النظام الشيوعى ...

لقد تعلمت الشيوعية من تجاربها الطويلة مع الدين أن تقوم بحركة التفاف حول موارثيه، وأتباعه يختنقون داخلها حتى تدركهم الوفاة الطبيعية...!!

ومن ثم ربما مكر بعض الشيوعيين فعرضوا من الشيوعية جانبها

الاقتصادى . وستكون دون أن ينكروا جانبها الإلحادى .

ولكن هذا المكر قد يروج فى مجتمع هندوكى يقدس البقر ، وليست له تعليمات سماوية ترسم له وجهته ، وتشرح له : كيف يحيا وكيف يتعامل ، وقد أفلح الاستعمار الغربى فى خلق أجيال تجهل دينها .

لكننا لا ننجرف مع هذا الجهل وسنبقى على النهج المشرق الذى أفدناه من ثقافتنا الاسلامية الصحيحة نقرر ان الاسلام إيمان ونظام أو ـ بتعبير المحدثين ـ دين ودولة .

وواضح أن هناك تعارضا تاما، وتناقصا ممتدا بين الشيوعيين والإسلام . على أن الشيو عيين لا ينقصهم الدهاء، فقد انطلقوا خفافا إلى أهدافهم دون أن يجمعهم حزب معلن، ودون أن يصطدموا بالدين اصطداما صارخا، واتجهوا إلى وسائل الاعلام يطغونها لبلوغ مآربهم فإذا الكتب والصحف والصور والرويات التمثيلية والتعليقات الخاصة والعامة تملأ الجو العربى بهذا اللون الداكن :

* الله ليست له حقوق ترعى، فلا إلزام بالصلاة والصيام والزكاة والحج ...

* والروح واليوم الآخر بقايا ماض يجب أن تزول ، فليسحب ذيل النسيان على هذه الأمور ...

* التفكير المادى البحت فى تصوير الأشياء، والحكم عليها أكمل ما بدأه الاستعمار الغربى فى طى فضائل الإسلام وشرائعه وحدوده واستعاض عن ذلك كله بمفاهيم مستوردة جعلت النكر معروفا والمعروف منكرا ...

وصوت الإسلام يسمع من أناس مهزولى الهمم ، مشلولى الفكر ، كأنما جئ بهم لتنهزم على أيديهم معالم الفطرة وشعب الإيمان !!.

إن عوامل التعرية - كما يقول الجغرافيون - تنحت الدين نحتا في هذا الجو وتجعل الأجيال الجديدة تنشأ مبتوتة العلائق بالدين معزولة القلب عن تراثها، سيئة الظن بماضيها الاسلامى كله .

ومن حقنا أن تنتصب لمقاومة هذا الباطل ، وكسر غروره ، وكشف أصحابه ، وحماية العرب والمسلمين من غوائله .

إن الأهرام - كبرى الصحف فى القاهرة - ترى على لسان محرورها أن ينظر المجتمع المصرى إلى الشيوعية والشيوعيين نظرة عادية ، وأن يستمع اليهم - إذا أراد - كما يستمع لأى فكر يعرض نفسه .

ونحن نرى ضرورة كشف القناع عن هذا الفكر الخادع، وبيان الزيف فى دعاواه العريضة ، ومبلغ الخطر فى تركه يتسرب هنا وهناك .

فليست الشيوعية نظرة اقتصادية تقاوم باصلاح اقتصادى ..

إن الشيوعية مذهب فى الحياة يغير كل شئ ويقيم عالما جديدا على أنقاض عالم بائد .

ومن أبجدياته صرف الناس عن تعاليم الله. ما كان منها قيما روحية - بتعبير العصر- وما كان منها تفضيلا للمعاملات والنظم والقوانين المختلفة.

وما أكثر قوانين الاسلام وأرحب دائرتها !!

أننا نقدر مساعدات روسيا لنا ... بيد أن يدنا فى هذا الموضوع ليست السفلى ، فالأمر يقوم على تبادل المصالح ، ونحن ندفع ثمن كل عون

يقدم لنا، وفى الوقت نفسه نأبى أن تكون بلادنا قاعدة لضرب الشعب الروسى.

وكل جميل يسدى إلينا فنحن نعرف حقه .

ونحن نعرف الشعب الروسى تلقى فى الحرب الماضية عونا هائلا من الغرب، وأن الغرب لم يكفلة بازاء ذلك أن يترك مبادئه ولا أرسل رجاله لصرف الروس عن مذاهبهم !!

ومن ثم فكل محاولة لنشر الشيوعية بيننا يجب أن تمنع بإباء ظاهر ورفض شديد .

وأنا قرأت فى الصحف أخبار المولدات الكهربائية القادمة للسد العالى، وأخبار طائرات «الميج» السورية وهى ترد عدوان إسرائيل وتغرق زوارقهم فى بحيرة «الحولة» وتواجه الأسلحة الصليبية التى يحملها اليهود.

وأننى مقدر قيمة السياسة التى ربطتنا بالروس فى المجالين السياسى والعسكرى .

وماذا نصنع بإزاء الضغائن الخسيسة التى تكنها لنا الدولة المسيحية الكبرى . ومع هذا كله فلست الذى يبدل استعمار باستعمار...

ومن المستحيل أن أفقد ذاتى وتاريخى ورسالتى وأنا أستعين بالسلاح الشيوعى لرد عدوى .

وقد أشعر بالحزن العميق لوضعنا المحرج نحن المسلمين !!

إن تخلفنا العلمى والصناعى يخفض الرؤوس .لكن لماذا هذا الأسف المخزى ؟

إن الدنيا انخفاض وارتفاع وتقدم وتقهقر ...

وقد هبطنا حينا ، ونوشك أن نأخذ طريقنا مصعدين ...

* الإلحاد جزء من الشيوعية .

* ضرورة نشره مع التفكير الإقصادى .

* موقف الشيوعية من الإسلام والنصرانية .

* مسألة فصل الدين عن الدولة بين الشرق والغرب .

* رأى زعماء الشيوعية فى الدين والأسرة والاختلاف

* الشيوعية فى مصر

وفى طريق الصعود نريد أن نزداد علما بما لدينا وما لدى غيرنا من مبادئ .

ولذلك أرى الحاجة ماسة لالقاء ضوء قوى على الشيوعية العالمية التى شاءت الأقدار أن نحتاج الى دولها والتى طلب الينا ألا نتجهم لمبادئها وهى تسير بيننا ...

وسنرى أن الذين يطلبون منا عدم المبالاة يعلمون وفق خطة طويلة الأجل لاجتثاث الإسلام من جذوره ، وجعل شعوبه الكثيفة نهبا للإلحاد على اختلاف ألوانه ومذاهبه ...

الشيوعية والدين (١)

يعتقد الشيوعيون أن الحياة الإنسانية على ظهر الأرض هى الوجود البشرى كله ، وأنه كما جاء الانسان من عدم فهو صائر إلى عدم .

وأن فترة الاحساس من المهد إلى اللحد هى وحدها فترة العمل والجزاء ثم يتحول الكيان الآدمى كله الى ذرات أخرى متلاشيا إلى غير عودة .

ويتبع هذه العقيدة أنه لا ألوهية بتاتا ، فلا توراة ولا إنجيل ولا قرآن ، وليست هناك تعاليم تصح نسبتها إلى السماء .

ومن ثم فالوحى كله خرافة لا أصل لها .

والأنبياء عصابة من الكذبة .

ولا مكان فى الفكر الشيوعى بداهة لصور العبادات، ولا لمعانى الحلال والحرام ، والفضيلة والرذيلة كما يقررها الدين ..

كلا . ليس لهذا الوجود صاحب ولا من ورائه هدف .

لقد تخلق تلقائيا، ومضى الى مستقبل المجهول عشوائى الخطأ معدوم الوجه !!

لكن كيف يقوم المجتمع البشرى وكيف يتعامل أبناؤه ؟

يقول الشيوعيون : لقد نظرنا إلى تاريخ العالم من قديم فوجدنا أنه شقى بانقسام الناس إلى ملاك متسلطين وعمال وفلاحين متعبين .

---

(١) الإسلام فى وجه الزحف الأحمر ـ الشيخ محمد الغزالى .

والخطة المثلى فى هذا العالم الذى لا رب له ، ولا غاية ينتهى إليها أن يخطر مبدأ التملك الفردى .

فكل شئ فى الحياة يملكه المجتمع العام والناس جميعا أجراء فى هذا المجتمع يأكلون بقدر ما يعملون .

وكما لا يملك أحد الهواء الضياء ، ويجب أن يولد البشر ويحيوا وهم شركاء متساوون فى سائر المرافق لا ميزة لأحد على أحد .

ولا بأس فى أن يتفاوتوا بعد فى دخلولهم المالية ، درجاتهم الأدبية حسب كدحهم وجهدهم ...

على هذا الأساس وحده قامت الشيوعية الحديثة ، وأشأ شبكة من القوانين والتقاليد لا تعدوا هذا النطاق المادى المحدد !!

والشيوعيون يرون أن هذا التفكير ليس شعارا محليا حسبهم أن يعيشو فى ظله ، كلا !!

إن هذا التفكير هو الحقيقة الوحيدة التى يجب أن يعيها الأحياء فى المشارق والمغارب خصوصا الطبقات العاملة ...

كفى ما ساد العالم من ظلال وظلم فى ماضيه القريب والبعيد . يجب أن تندلع الثورة الحمراء حتى تشمل القارات الخمس ، وتسود مبادؤها الحاضر والمستقبل .

على الدولة الشيوعية الكبرى ـ وفى مقدمتها روسيا ـ أن تعد نفسها سياسيا وعسكريا لبلوغ هذا الهدف . فلا يبقى هنالك إلا لون الحياة الشيوعية التى محت ما عداها من أفكار أرضية أو سماوية ... ولم يختلف اثنان فى أن الالحاد جزء من الشيوعية ، كما لم يختلف إثنان فى أن

الشيوعية ترفض رفضا باتا أى تنظيم دينى للمجتمع الإنسانى .

وانكار الشيوعية للدين يكبر ويصغر بمقدار تدخل الدين فى المجتمع .

فاذا كان المجتمع يكتفى مثلا بالجانب العبادى والأخلاقى، فان الشيوعية ـ مع كفرها به ـ تراه عدو محدد الخطر ...

أما إذا تدخل فى المعاملات العامة والخاصة واستكثر من الشرائع التى تضبط المجتمع على نحو معين ، وتسوقه إلى وجهة بينة ، فإن العداوة هنا تمتد وتشتد .

لذلك لا تطيق الشيوعية الاسلام لأنه مع شبه للأديان الأخرى فى الاعتراف بالألوهية واحترام الوحى. يمتاز بهيمنته على أزمة الحياة النفسية والاجتماعية ، ومزجة التام بين أحوال القلب وأحوال الدولة :

* فالشرك بالله كفر .

* والحكم بغير ما أنزل كفر .

* وجحد الصلوات المكتوبة كفر .

* ورفض نظام المواريث المقسمة فى القرآن كفر ... الخ

* وقديما قاتلت الدولة الاسلامية فى جبهة واحدة صنفين من الناس :

ـ اتباع الأنبياء الكذبة الذين زعموا أن بعد محمد نبوة .

ومانعى الزكاة الذين صدقوا ببعض تعاليم الدين ونكلوا عن بعضها الآخر .

لقد عدهم المسلمون مرتدين جميعا ، وخارجين على الاسلام أصلا وفرعا .

ذلك أن الاسلام يمزج مزجا تاما بين ما نسميه فى عصرنا « قيما روحية » وين أركان الشريعة ، وفروعها المتشبعة فى المجتمع تشعب الجهاز الدورى فى الجسم الانسانى .

أياما كان الأمر فقد تواترت التصريحات على أفواه زعماء الشيوعية كلهم أن الدين لا مكان له فى العالم الذى يبنونه ، وأن الأولين إذا كانوا من الغباء بحيث قبلوه فإن التقدم العلمى جدير فى هذا العصر بأن يأتى عليه من القواعد ...!!

فالدين يحارب أولا لأنه خرافة تستحق الزوال .

ثم لأنه يشكل المجتمع بطريقة فاسدة ، ويضع له قوانين وأعرافا يرفضها الفكر الشيوعى

ودين كالإسلام يعد النظم المالية ، السياسية جزاء من كيانه يستحيل أن يتلاقى مع الشيوعية فى ميدان الحياة العملية استحالة التقائه بها فى ميدان القتال العقيدة القبلية .

وقد واجهت الشيوعية يوم ظهرت فى روسيا أكثر من مائة مليون مسيحى، وقريبا من خمسين مليون مسلم وكانت الحالة الدينية بين الفريقين معا لا تسر .

فالمسلمون، كانوا مستذلين مغلوبين على أمرهم معزولين عن الكتلة الاسلامية الكبرى ، دائخين تحت استبداد القياصرة ...

وأما المسيحيون فمع ارتباطهم بكنائسهم فإن النصرانية كانت تترنخ أمام التقدم العلمى والأفكار الحديثة .

وزاد الطين بلة أن بعض رجال الدين الكبار أثرت عنه مسالك شائنة

مما أوهى مكانة الدين نفسه وجرأ خصومه على النيل منه .

ومع انفجار الثورة الحمراء أخذ الثوار يكيلون ضرباتهم للدين، ويهددون سلطانه المورث .

ولكن هذا الصراع المر كان - ولايزال - كثير المغارم، متقلب المراحل، ومن الواجب أن تتأمل أدواره منذ بدأ الى يومنا هذا .

يقول الشيخ عمر السكندرى رحمه الله :

«فى عهد الحكومة القيصرية كان القيصر منذ حكم بطرس الاكبر هو الرئيس الأعلى للكنيسة الروسية - التى هى فرع من الكنيسة الأرثوذكسية اليونانية - فكانت الكنيسة بما لها من كبير النفوذ بين الشعب أداة قوية فى يده ، يغدق عليها فينال منها نظير ذلك والولاء والمعونة الصادقة .

«لذلك كله كان من الطبيعى أن يوجس الشيوعيون خيفة من الكنيسة وأن يجعلوها فى مقدمة الأداف التى يصوبون إليها ضرباتهم . فبادروا باصدار مرسوم ٢٣ يناير سنة ١٩١٨ المشهور معلنا فصل الكنيسة عن الحكومة وفصل المدارس عن الكنيسة» .

وأدمجوا ذلك فى دستور سنة ١٩١٨ وفى تعديله الصادر عام ١٩٢٥ بالنص الآتى : «ضمانا لحرية الضمير لدى العمال تعد الكنيسة منفصلة عن الحكومة والمدارس منفصلة عن الكنيسة. ولكن حرية الدعاية الدينية واللادينية مكفولة للجميع » .

وفى تعديل سنة ١٩١٩ للدستور أبدلت عبارة «حرية الدعاية الدينية واللادينية» بالنص الآتى: «حرية اقامة الشعائر الدينية وحرية الدعاية اللادينية مكفولتان لجميع المواطنين».

«وقد احتفظ بمثل هذا النص فى دستور «ستالين» ١٩٣٦ الذى لا يزال قائما» .

والعبارة بالضبط كما جاءت فى المادة ١٢٤ من الدستور الحالى هى: «لكي يستمتع المواطنون بحرية الضمير : تفصل الكنيسة فى الاتحاد السوفيتى عن الدولة ، والمدارس عن الكنيسة ، ويكفل لجميع المواطنين حرية العبادة الدينية كما تكفل لهم حرية الدعوة ضد الدين » .

وهذه الصياغة الماكرة تظهر لأول وهلة وكأنها تنازل من الشيوعية عن بعض مبادئها بل قد تحسب خطوة الى الحرية بمعناها المألوف فى أقطار الغرب .

والأمر غير ذلك يقينا ، فإن الذى أذنت به الشيوعية بقايا تدين يتيح للانسان أن يدخل الكنيسة أو المسجد أحيانا ولا مجال لتدين بعد ذلك ...!!

على أن هذا المرء التدين يعتبر شخصا متخلفا، أو منحرفا، ويستحيل أن يكون له فى الدولة أو الحزب مكان ..!!

كما أن هذا المرء المتدين لايجوز له بتة أن يعلم أبنه إيمانا، أو صلاة، فذلك المحظور .

أجل ذلك محظور ، مع أن وسائل الاعلام - وهى جميعا فى يد الدولة - تعمل عملا متواصلا على سحق الدين ، واحتثاث جذوره ، وذلك يقع بعد التخرج من مدرسة غرست الالحاد فى دمه ، وجرأته على احتقار كل ما يتصل بالسماء...

وتنص المادة «٥٨» من قانون الاتحاد السوفيتى على أمور ذات بال.

إن هذه المادة وضعت جميع المتعبدين تحت باب أعداء «الثورة»

وأباحت لرجال الشرطة فى شتى الظروف السياسية أن يقتحموا بيوت هؤلاء المتعبدين ويتولوا أمورهم بطريقتهم الخاصة .

وتنص المادة « ١٢٢ » من قانون الجنايات المذكور على تحريم تلقين الأطفال الأحداث العقائد الدينية سواء فى مدارس الحكومة أو المدارس الخاصة أو المعاهد التعليمية المختلفة . وجعلت كل مخالفة فى هذا الشأن جريمة تستوجب الحبس الاصلاحى مع الأشغال مدة لا تزيد عن سنة .

ويقول الأستاذ محمد سامى عاشور :

«إن الاضطهاد قائم رغم ما جاء فى الدستور السوفيتى بشأن الحرية الدينية ، لأن هدف الشيوعيين الذى لا يحيدون عنه أن يحرموا الدين من أسباب الحياة ، وأن يدعوه يذبل وينتهى وكأنه مات ميتة طبيعية ..!!»

قد يقول قائل : ان الشيوعية أكثر مما صنعته دول أوربا الحديثة التى عزلت عن الدولة وجعلت الكنيسة بعيدة عن المجتمع والسياسة !!

ونحن نسارع الى دحض هذه الشبه وبيان الحق فى موقف الدول الغربية عموما من المسيحية .

إن هذه الدولة تخلصت من سلطان رجال الدين ومن كهنوت الكنيسة المفعم بالمآسى التاريخية .

أما الكنيسة نفسها، أما المسيحية ذاتها، فإن هيمنتها الروحية والاجتماعية على أوربا وسياستها لا ينكرها الا أحمق ! بل أستطيع القول : إن المسحية الآن فى عصرها الذهبى ..!!

لقد احتلت الدول الغربية أقطارا فيحاء من الأرض فينبت فيها ألوف الكنائس، ونصَّرت ألوفا مؤلفة من الخلق، وأقامت حكومات شديدة التعصب

للنصرانية فى أفريقيا وآسيا ، حكومات أثخنت الاسلام بالجراح ، وأرهقته فى طول الكيد ...

إن دول الغرب لم تتنكر فى سياستها الداخلية والخارجية للديانة المسيحية الا فى أمور.

وفى تحقيق صحافى كبير كتبه الاستاذ «على حمدى الجمال» عن أحوال هولندا الداخلية نقتطف منه هذه المعلومات :

«قال : فى مؤسسة العمل سألت دكتور «بلس» السكرتير العام للمؤسسة عن النظام المتبع فى وضع السياسة العمالية فقال لى :

هناك اتحاد للعمال وآخر لأصحاب الأعمال وكل منهما مقسم إلى ثلاثة أقسام :

أحدهم يضم : «الكاثوليك» والثانى «البروتستانت» والثالث الذين لا يؤمنون بالاعتراف أمام الكاهن ..!!

وهما ممثلان أمام المجلس الاقتصادى الذى يضم الخبراء من الأساتذة ...الخ .

«قال الأستاذ الجمال : وسألت هل هناك مشروع تنفذونه لتنظيم الأسرة ومواجهة الزيادة فى عدد السكان ؟

«وكان الجواب ـ نعم سوف نشجع بكل الوسائل تنظيم الأسرة ، ولكنا لم نبدأ هذا المشروع بعد !!

«والعقبة التى تواجهنا هى أننا نمنح العاملين علاوات حسب عدد المواليد ولا ندرى كيف نواجه المشكلة .

كذلك فإن الكاثوليك يعترضون على تحديد النسل .

والدين هنا ـ كما أظنك قد لمست ـ له أثر كبير على تصرفاتنا . «قال الاستاذ الجمال : وهذه حقيقة لا جدال فيها ...!!

إن الأديان في هولندا بل في أوربا كلها لها وضع غريب يحدد كل مجالات الحياة وعلى الأخص السياسة ـ فالأحزاب تقوم على أساس المذهب الدين. بل أن اللون الدينى رجح على وحدة المهنة فهناك حزب الكاثوليك ـ وحزب البروتستانت وحزب الاحرار، الحزب الشيوعى، بين أصحاب الحرفة الواحدة ...

«قال : ثم أسع الى مقابلة أحد من أحزاب اليمين فآراؤهم معروفة ، وتزمتهم ليس موضع نقاش ، وتفكيرهم لا يقبل جدلا ..!!

«قال : وشجعنى على عدم الإلتقاء بهؤلاء قصة سمعتها من شباب هولندا رواها لى فى معرض الحديث عن الأحزاب السياسة .

فإنه عندما كانت «أندونيسيا» تكافح لنيل استقلالها وكانت الأحزاب المختلفة تتنافس فى إبقاء الاستعمار الهولندى بها، وقف أحد النواب فى البرلمان وقد أمسك بيده نسخة من الإنجيل وقال: إن فى هذا الكتاب المقدس فقرات تثبت حقنا فى احتلال أندونيسيا .

«قال الشاب الهولندى المتحرر : ولم يقف نائب واحد من أى حزب ليعترض على هذا السخف».

نقول : ونحن نعرف مدى تعصب الغربيين ، وطالما نددنا به وحذرنا منه .

ولكن سياسة وأد الإسلام التى اختطها الانكليز فى هذا الوادى

البائس ، جعلت لفيفها كثيفا من حملة الأقلام يناوئنا باسم انفصال الدين عن الدولة !

والدين عندنا هو : الإسلام ..

وباسم ابعاد الدين عن الدولة بدأت حملة خطيرة لتزييف التاريخ فى الماضى والحاضر ، ودحرجة الحقائق المقررة ...

فيقام اسرائيل على أساس دينى ، وفى أحضان التعصب المسيحى غير صحيح .

الصحيح أنه استعمار فقط !! لا أصل له بيهودية ولا نصرانية ...!!

والحروب الصليبية التى كان الدين نافخ نارها ، ومجرى دمائها ليست حروبا دينية.

الصحيح أنها حروب استعمارية فقط ، لا صلة للصليب بها ..!!

والهدف من هذا الكذب ؟

ابعاد الدين أى الاسلام وحده عن الميدان ...!!

وأبعاد الإسلام عن ميدان الحياة كلها هدف يتضافرعليه الرأسماليون الغربيون والشيوعيون الشرقيون على سواء .

ونخلص من هذا الاستطراد أى أن الحالة الدينية فى ظل الشيوعية لا تشبه أبدا وضع الدين فى الغرب. فإن المجتمع الشيوعى يقوم ظاهرا وباطنا على الكفر المطلق .

وهو قد يأذن أن يهمس رجل بينه وبين نفسه أو بينه وبين صاحب له باسم الله وقد يتركهما ـ مع ازرائه عليهما ـ يدخلان بيتا لله .

أما أن يكون لله فى المجتمع نفسه اسم أو أمر أو نهى فذاك مستحيل.

والشيوعية لم تسمح بهذا القدر الحقير من التدين الفردى إلا بعد عراك هائل .

أما موقفها من الدين نفسه إبتداء فهو الانكار والخصام.

يقول «كارل ماركس» غفى «المانفستو» ـ الذى أودع فيه مبائه وجادل فيه خصومه ـ «أما ما وجه للشيوعية من تهم دينية وفلسفية وأخلاقية فلا يستحق بحثا عميقا ...!!»

عجبا أن الشيوعية متهمة بانكار الله والرسل والحلال والحرام والبعث والجزاء فهل هذه القضايا كلها لا تستحق بحثا عميقا ؟

ذاك ما يراه هذا ال «كارل ماركس» !!

ما الذى يستحق اذن عمق البحث ؟ لقمة الخبز فقط ..؟

أكل ما يتصل بالانسانية الرفيعة نلقاه بقلة الاكتراث ، وهز الرأس ولا يشد انتباه فقط الا رغيف الخبز ؟

ثم يمضى ماركس قائلا : « هل يخفى عن ذى بصيرة أن آراء الناس ومداركهم، ومشاعرهم كلها تتغير بتغير : أحوالهم المادية ، وعلاقاتهم الاجتماعية، ونظام معيشتهم ؟ »

نقول : هذا باطل .

فإن الإنسان قد يتغير تقديره لبعض الأمور أو حساسية بها لتفاوت ظروفه النفسية أو الفكرية أو البدنية .

أما أن جميع الحقائق تتبع ـ تصورا وتصديقا ـ الأحوال الاقتصادية فكلام فارغ ..!!

فكم من حقائق صلبة لا يغيرها اليس والعسر ، ولا الذكاء والغباء !!

ولكن «ماركس» يمضى فى لغوه فيقول فى حزم :

«وهل من شئ أكثر وضوحا فى تاريخ تطور الأفكار من أن الإنتاج الفكرى يتغير فى نوعه بنسبة تغير الانتاج المادى ؟

«إن الآراء التى سادت فى كل عصر كانت دائما آراء الطبقة الحاكمة».

فعندما كان العالم القديم يلفظ أنفاسه الأخيرة أخذت الديانات القديمة تنهار أمام المسيحية .

«وبمثل ذلك انهارت الآراء المسيحية أمام حرية الفكر وحرية الضمير فى القرن الثامن عشر عندما أسفرت المعركة الأخيرة بين المجتمع الاقطاعى والبورجوازية الثائرة عن القضاء على العهد الاقطاعى» .

سيقال ردا على ذلك : إن الآراء الدينية والأخلاق والفلسفة قد تغيرت كلها بلا شك خلال التطور التاريخى. ولكن لا يزال توجد ديانة وأخلاق وفلسفة وعلوم وسياسة وقانون، وهناك فوق ذلك عناصر أزلية للحقيقة مشتركة بين جميع أطوار المجتمع كالحرية والعدالة وغيرها، ولكن الشيوعية تريد القضاء على الدين والاخلاق بدلا من اقامتها جميعا على أساس جديد فهى لذلك تخالف جميع السنن التاريخية السابقة » .

ويسمع ماركسى هذا الاعتراض الصادق ثم يراوغ ، بل يفر من الاجابة عليه ويقول فى صفاقة واستهزاء :

ما قيمة هذه الاعتراضات ؟!

إن تاريخ المجتمع فى جميع أطواره السابقة إنما هو تاريخ تطور النضال الطائفى، وذلك النضال الذى اتخذ أشكال مختلفة فى العصور الأولى، ولكن مهما اختلفت هذه الأشكال فإن حقيقة واحدة كانت عاملا مشتركا بين جميع العصور التى ظهرت فيها. هى استغلال جزء من المجتمع للجزء الآخر .

فلا عجب إذا كان الوعى الاجتماعى فى العصور الماضية ـ رغم تعدد صوره مظاهره ـ قد سار دائما داخل نطاق مشترك ، وعلى أساس قضايا معينة لا يمكن زوالها جملة إلا بزوال النظام الطائفى نهائيا ...

ويستطرد «كارل ماركس» فيقول :

«إن الثورة الشيوعية هى أنجح استئصال لعلاقات الملكية التقليدية ، فلا عجب اذا كان تطورها يقتضى قطع كل صلة بالآراء التقليدية» .

ويقول الشيخ عمر السكندرى ـ ردا على هذا اللغو ـ : لقد بدأ «المانفستو» المحاجة فى هذا الاعتراض كما رأينا يقول انه «لا يستحق بحثا عميقا» ؟

إن ردنا على ذلك أن هذا الكلام هو الذى لا يستحق بحثا عميقا .

أين برهانكم المادى معشر الشيوعيين على أن لا حقيقة للأديان، وأنهما جميعا من وضع البشر ؟

لقد قيل عنكم ـ بنص كلامكم ـ أنكم تريدون القضاء على الدين والأخلاق . فكان جوابكم على ذلك «وما قيمة هذه الاعتراضات» وتعودون إلى هذا الكلام عن تطور النضال الطائفى واستغلال جزء من المجتمع

للجزء الآخر .

إن هذا فرار مكشوف من مواجهة الحق والسير معه .

والحقيقة أن كفر الشيوعيين بالله ليس إلا ترديدا لزيغ بعض القدماء الذين قالوا : إن هى إلا أرحام تدفع وأرض تبلع وما يهلكنا إلا الدهر

والشيوعيون لم يأتوا بدليل جديد لهذا الباطل القديم !!

ولم يثبت قط فى معامل الكيماويين، ولا فى مراصد الفلكيين أن الدين خرافة .

بل الراسخون فى العلوم الحديثة يؤكدون انبثاق العلم عن رب بديع حكيم مقتدر قيوم .

والجديد الذى وسع به الشيوعيون ميدان الإلحاد هو استغلال الاضطراب الاقتصادى لإنكار الالوهية ، واستغلال انحراف بعض رجال الدين لانكار الدين نفسه !!

مع أن الإسلام ندد بهذه الآفات وعمل على إزالتها وهو يقيم الدين الحق، وذلك فى قول الله جل شأنه «يا أيها الذين آمنو أن كثير من الاحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل، ويصدون عن سبيل الله. والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم»

وشئ آخر ابتدعه الشيوعيون لدعم الالحاد ... وهو إثارة الحقد الطبقى ثم استغلال سلطة الدولة فى فرض الكفر بالسلاح .

ولو أن الشعوب ملكت أمرها واستمتعت بحريتها الطبيعية لأرست قواعد الإيمان وأحلت الدين أرفع المنازل .

والواقع أن الدولة فى النظام الشيوعى تفرض وجودها داخل البيت ، وتجعل صلة الرجل بالمرأة، وصلتهما معا بالاولاد فى اطار الفلسفة المادية السائدة ...

ومن الإنصاف أن نعترف بأن بالمدينة الحديثة فى الشرق والغرب هونت جريمة الزنا، ويسرت اللقاء بين الذكر والأنثى، وعدت ذلك استجابة عادية لنداء الغريزة الجنسية الملحاح ..

وفى وسط هذا البحر المورّا من الاستباحة العامة قد يختار رجل أنثاه أو تختار أنثى رجلها .. وتولد أسرة ويوجد أولاد .

وربما اصطبغت الأسرة بالطابع الدينى فى الغرب المسيحى . وربما استطاعت السير وسط الأنواء الجنسية سليمة أو معطوبة ...

وقد يحدث شئ شبيه بهذا العالم الشيوعى فتتكون أسر بادية الترابط تحت ظروف خاصة ...

غير أن الشيوعية ترفض بحسم جو الأسرة الموروث من قديم ، والمشاعر التى تمزح بين رب البيت وأولاده وامرأته ..

وقد جاء فى الأبجدية الشيوعية لماركس: «حين يقول الوالدان : هذا إبنى وتلك ابنتى لا تعنى هذه الكلمات وجود آصرة أبوية فحسب، بل توحى بأن للأبوين حقا فى تربية أولادهم من وجهة نظرهم كما يريدون، والاشتراكية تأبى الإقرار بهذا الحق للآباء لأن الفرد ليس ملك نفسه ولكنه ملك للجماعة ، بل هو ملك للبشرية كلها ..

ولهذا يجب أن تبنى الطفل للمجتمع الذى يعيش بين ظهرانيه، والذى جاء إلى الحياة بفضله .. »

وكلام ماركس في سلخ الأولاد عن التأثير المادى والأدبى للبيت، وتمكين البيت من مد رواقها عليهم، هو جزء من فكرته المطلقة فى فرض الشيوعية على الحاضر والمستقبل ، وتذليل كل عائق أمام هذا الهدف ... والأسرة فى نظر الدين تطَّرد به مواكب الحياة باسم الله ، وعلى هده ...

أنه لا نزاع فى وجود الشهوة لدى الجنسين ، بيد أن لقاء الرجل بامرأته ـ وهو اللقاء الوحيد الذى يقبله الدين ـ لا يتم إلا بعقد تستحل فيه الفروج بكلمة الله وإذنه ...

فاذا تكونت الاسرة على هذا الاساس الفذ ، وتعاون أفرادها من بعد على طاعة الله وارضائه ،وكان من الطبيعى أن ينشأ الأولاد على دين أبويهم، وأن يقيموا شعائر الدين منذ نعومة أظفارهم ..

والشيوعية ترفض هذين الأمرين معا ، فى قيام الأسرة فى وظيفتها .

لأن الإلحاد ـ كما يقول لينين فى كتابه عن الدين ـ جزء طبيعى من الاشتراكية ، بل هو شطر لا انفصام له عن الاشتراكية نظريا وعمليا ...

ويقول ماركس فى أبجدية الشيوعية : «لا غناء فى الوقت الحاضر عن شن أشد الحرب على تعاليم الدين وأوهامه وخزعبلاته» !!

ومع إنكار وجود الله يفقد نظام الأسرة دعائمه، ويصبح الزنا عملة رائجة ، وتصبح تربية الأولاد حقيرة وتافهة .

ودعاة الشيوعية إلى يومنا هذا حرَّاص أشد الحرص على زلزلة كيان البيت ، وعلى تنمية العلاقات الأمة بين الذكور والإناث .

وقد لاحظنا فى القاهرة أن الشيوعيين يعملون بقوة على إشاعة هذا الرجس، إذ نشرت مجلة الهلال فى ١ / ١ / ١٩٦٦ مقالا ضد الزواج

طافحا بأوسخ الأفكار ..

وقد شاء رئيس التحرير ـ واسمه كامل زهيرى ـ أن يجعل هذا المقال صدر مجلته ، وأن يعلن عنه وحده على غلاف العدد !!..

وهذا العدد من مجلة الهلال عدد ممتاز يتضمن «موسوعة الجيب الاشتراكية ، من الاشتراكية الخيالية إلى الواقع المعاصر» !..

وفى هذا المقال عرض لكتاب «سيمون دى بوفوار عن الجنس الثانى».

وسيمون هذه لا توارب ولا تلف فى ذكر أفكارها فهى ترى أن الزواج الذى قررته الأديان شئ سخيف. وأن من حق المرأة أن تعاشر من تحب، وإذا كانت متزوجة فلا يسوغ إكراهها على الرضا بشخص واحد ، وإذا كان زواجها يضيق بحملها من شخص آخر فان العلم تغلب على هذه المشلكة بحبوب منع الحمل !!!

والمقال مشحون بالدفاع عن الزنا وإعطاء الرجل والمرأة معا الحرية المطلقة فى اشباع الغريزة الجنسية .

لأى رجل يفترش أى أمرأة ما دام الحب التلقائى هو الباعث .

ولذلك يتقرر الحق لأى امرأة ..

وقد طبقت «سيمون دى بوفوار» هذا الكلام على نفسها فعاشت عشيقة فقط لجان بول سارتر ، لا زوجة .

وظاهر أننا أمام مومس موغلة فى الإجرام ..

وظاهر أنه لا يرضى بكلامها السابق إلا ديوث أو قواد ..

ومع ذلك الدنس المفضوح فإن الشيوعيين المصريين رأوا استقدام هذه المومس وعشيقها إلى القاهرة كيما يتحدثا إلى المثقفين فى الجمهورية العربية المتحدة !!!

إن المهم عند هؤلاء ليس توطيد الجانب الاقتصادى من الشيوعية العالمية ، بل يجب أن يسير معه وفى ذات الخط توطيد الجانب الاجتماعى.

وذلك يدك أسوار الدين ، ومحو معالم العقيدة ، وتمزيق شمل الاسرة، وجعل « العشق » علاقة محترمة تتيح لأصحابها اقتحام أعلى الأماكن ...

وبوغتنا بأسرة تحرير الأهرام: «حسنين هيكل، ولطفى الخولى، ولويس عوض» يستضيفون العاشقين ..

ثم أخذت أبواق الدعاية تدير الأدمغة من شدة الطنين .

فإذا الندوات تعقد والمحاضرات تلقى، والراديو يتحدث والتليفزيون ينشر المشاهد والمحاورات ..

وإذا الجامعة الكبيرة - جامعة القاهرة - تحشد أساتذة وطلابا للاستماع إلى الوجودية الملحدة ، وهو يكذب على الله والحقيقة ..

وإذا دار الأهرام تحج اليها السيدات للالتقاء بالمومس الوقاح وهى تناقش وتوجه وتشير ...!!

ونظرت إلى هذه الزوبعة المفتعلة المتعمدة، والغليان المكتوم يكاد يصدع قلبى !!

وأدركت أن الشيوعية لا تريد أن تفرط فى شئ من تعاليمها مهما كانت طبيعة البيئات التى تحاول أن تتغلغل فيها ..

أو أن الشيوعيين المصريين وهم يحاربون الفقر وتفاوت الفرص كما يزعمون لا ينسون أن يحاربوا الله والشرف والفضائل والعبادات ..

إنها جبهة واحدة يقاتلون فيها عدوا مشتركا ...

أترى أن هؤلاء اليساريين العرب خالفوا إخوانهم الماركسيين الذين ظهروا منذ قرن ؟

كلا .. إن المشرب واحد ، والسيرة احدة ، وتلك طبيعة الشيوعية .

ونشرت صحيفة «تن بات باو» فى «هونغ كونغ» فى عددها الصادر فى «١١ اكتوبر» الماضى منشورا وجهه الحرس الأحمر فى الصين للمسلمين جاء فى :

يارجال الحرس الأحمر المقاتلين: إنكم تقومون بعمل حسن. واصلوا عملكم. أنتم مكافحون ضد «البورجوازية والاقطاعيين» الذين مصُّوا دمنا وأكلوا لحمنا وعظمنا ، والآن جاء دورنا لامتصاص دمهم وأكل لحمهم .

يارجال الحرس الاحمر: لا يمكن أن ندع عدوا من أعدائنا يهرب، وعلينا من الآن فصاعدا أن نهاجم أكثر الأعداء تخفيا ـ المسلمين ـ الذين يقومون بنشاط ضد الحزب وضد الصينيين تحت قناع الدين المزعوم .

ويختبئ المسلمون فى الجوامع وبتوجيه من الاستعماريين .

كما تسيطر عليهم الدول الأجنبية ضد بلادنا وشعبنا العظيم وزعيمنا الجزيل الاحترام الرئيس : «ماو» ...

* من الآن فصاعدا لن يسمح لكم بأن تضعوا قناعكم الدينى على وجوهكم ، سنطردكم وندمركم .

* ومن اليوم فصاعدا لن يسمح لكم بأن تأكلوا لحم الأبقار لأن الأبقار تخدم الشعب ، يجب أن تأكلوا لحم الخنازير ...

* ولا يمكنكم من الآن فصاعد أن تضيعوا وقتكم فى الصلاة .

* يجب ألا تتكلموا اللغة العربية التى هى ضد اللغة الصينية .

* ولن يسمح لكم بأن تقرأوا ما يسمى المقدس « القرآن » .

اسمعوا أيها المسلمون :

* دمروا جوامعكم !! حلوا المنظمات الاسلامية ، احرقوا القرآن ..!

* الغوا الحظر الذى وضعتموه على الزواج المشترك .. كفوا عن الصلاة ، الغوا الختان ... ادرسوا افكار ماو ...

اذا لم تندموا سنطردكم وندمركم يجب أن نسحق الجرذان الدينية ، وندمرها معكم .

فلتحيا الثورة الثقافية الكبرى .

فليحيا طويلا طويلا طويلا الرئيس ماو ... »[1].

إن هذه الحملة المسعورة على الاسلام وأهله مستغربة .

وما ينتظر غير ذلك يوم تستولى الشيوعية على مقاليد الامور .

ولكن الذى ألفت إليه أن الشيوعية لما دخلت الصين دخلتها بشقيها الاقصادى والإلحادى معا ، فما من سبيل إلى فصل أحدهما عن الآخر.

وعبارة «الزواج المشترك» التى وردت فى بيان الحرس الأحمر هى

(١) عن مجلة الوعى الإسلامى .

التعبير الملطف الذى وضعته المدنية الحديثة للزنا ...

فاتصال المرأة بجملة رجال زواج مشترك ، واتصال الرجل بجملة نساء متزوجات أو غير متزوجات كذلك .

والمطلوب من المسلمين أن يرفعوا الحظر الذى فرضوه على هذا الزواج كى يرضى الحرس الأحمر .

الموضوع كله يتصل بكيان الاسرة من أساسه وبوظيفة الأسرة الاجتماعية .

وقد رأينا الشيوعيين وأذنابهم فى القاهرة نفسها يتابعون سادتهم فى سياسة هدم الأسرة .

ما نشرته مجلة الهلال لتلميذة سارتر الأولى ، أيدته ووسعت مجاله جريدة الأهرام ، قبل وبعد استضافتها لسارتر ..

ثم زادته توكيدا بما نشرته من مقالات متتابعة «لبرنادر رسل» الانجليزى اليسارى الملحد .

ومحنة الفكر الدينى فى مواجهة هذا البلاء تستحق النظر ..

فان الشيوعية فى نقضها للإيمان، هدمها لآثاره تستعمل الختل والمراوغة حينا، وتلجأ إلى القوة والإبادة حينا آخر ..

وهى لا تنسى أبدا أن الوحى السماوى يحب أن يزول وتزول معالمه على ظهر الأرض ...

ومع هذه الغاية المبيتة فإن الأستاذ «هيكل» لم ير حرجا أو يقول إننا سنخاصم الشيوعية إذا هاجمت الدين .

وفى الوقت الذى كتب فيه هذا الكلام أو بعده بقليل كان يمهد الطريق بقوة ، لضرب الدين فى صميمه .

قد فعل هذا فى سبيل ما لم يفعله أحد، إذ استقدم «سارتر وسيمون» - ممثلى الإلحاد السافر والانحلال العفن - ليوجها المجتمع العربى كله بفلسفتهما ..!!

وأسرة الأهرام - وجلُّها من الشيوعيين - إذ تفعل فعلتها هذه تزيح القناع عن غرضها القديم يوم دعت إلى ترك الشيرعية تسير ..

وليس هذا النفاق مثار شكوانا .

إن مثار الشكوى هو تعجيزنا عن الرد والمقاومة فى ميدان الفكر المفتوح ..

ولو كان صوت الإيمان يملك نصف القوى التى يملكها صوت الإلحاد لتلاشى الزيغ فى بلادنا !!

لقد اجتمع نفر من رؤساء الجماعات الإسلامية فى المركز العام للشبان المسلمين وتشاكوْا بينهم حالة الدين، والخلق، وأبدَوْا مخاوفهم من أمواج الفسق التى تَرُشُّ أكناف الحياة عندنا .

وكانت وسائل الاعلام يومئذ ترحب فى حرارة هائلة بمقدم العاهرة «سيمون دى بوفوار» وعشيقها «سارتر» ..

ولهذا الترحيب دلالته فى هزيمة الشرف، واستخذاء الاسلام، وانهيار الصفوف المؤمنة ..

أتحدثت فى وفود الجماعات الاسلامية التى تلاقت لمواجهة هذا الموقف..

كان بين الحضور المجاهد الاسلامى اللواء الركن «محمود شيت خطاب» الوزير العراقى السابق .

واتنهى المؤتمر بضرورة تكوين لجنة دائمة بالمركز العام للشبان المسلمين تصد هذا السبيل المدمر ..

ولم تمض إلا أيام قلائل حتى صدر قرار بحل مجلس إدارة الشبان المسلمين ، وتعيين رئيس جديد للجماعة .

وانتهى هذا النشاط المحظور ..!!

واستقر فى الأذهان أن نقد «سارتر وعشيقته» مَجْلَبَةٌ للسُّخط والشتات .

لماذا ؟ لان مخاصمة جريدة الأهرام مخاصمة للاتحاد الاشتراكى .

وهذه مخاصمة للدولة والشعب جميعا ..!

وتدحرجت الأمور إلى أسفل .. وأسفل ، فلم تبق للدين ولا للأعراض قداسة بعد هذه الحفاوة الرسمية بالرجل الذى يحتقر الدين، والمرأة التى تزدرى الزواج ..!!

وبلغنى قصة مؤسفة من صحن الأزهر الشريف ...

فقد ذهب «سارتر وعشيقته» ومعهما «لويس عوض» و«توفيق الحكيم» لزيادة الجامع الشهير ..

ورأى الطلاب المرأة التى تقود دعوة عالمية للبغاء، والرجل الذى يستهزء بالألوهية، وينشر الوجودية الملحدة.

فتغيرت وجوههم وسرى الهمس بينهم عن ضرورة إعلان غضبهم .

ورأى المراقب المسئول هذا التنمر المقلق فصاح محذرا الطلاب : إن لدى أمرا من مشيخة الازهر بتمكينهم من التجول فيه .. ولكن همسات الغضب بدأت تعلو فقال المراقب محذرا : إنكم بهذا الموقف تعملون على إلغاء الأزهر ..!!

وحضرت أنا نفسى فى أعقابُ الحوار وكان الركب المشئوم قد خرج مسرعا، قلت للمراقب: كيف سمحتم لهذا الصنف من الناس ان يدخل الجامع الأهر ؟

فقال : أمر المشيخة !!

قلت : أى مشيخة؟ إن الذى أصدر هذا الإذن لا يدرى ما يفعل مهما كانت مكانته .

وقلت موجها خطابى للطلاب : لقد أحسنتم فى اظهار احتقاركم لهؤلاء الزوار الصغار، إن الأزهر لا يلغى باستنكاركم لدخول هؤلاء فيه، نما يلغى الأزهر بسكوتكم، ولعنة الله على شيوخ لكم اتخذهم الباطل مطايا له.

وعدت إلى نفسى اتساءل: أبلغ من هوان الأزهر أن يلغى لأنه اعتراض على دخول «مومس» فى ساحة يصحبها نفر من قادة الفكر الملوّث ؟

ثم تذكرت ما حدث لجماعة الشبان المسلمين فغصت فى بحر من الحيرة !!

إن استضافة هذين الشخصين المُرِيبَيْن دلالة صارخة على أن الشوعيين فى القاهرة لا يفرقون بين الدائرة الاقصادية والدائرة الاجتماعية.

بل لعلهم أشد حرصا على دك قواعد الايمان فى الميدان الاجتماعى ،

ومحو آثاره فى العلاقات الجنسية . فان ذلك يهون عليهم بقية برنامجهم..

ومن إذلال الدعاة إلى الاسلام ، وتحقير شأنهم أن تقوم هذه الضيافة على أنقاضهم فيغلق كل فم وينكس كل رأس .

وفى سبيل هذه الاستضافة الفاجرة تنوسى أمر فلسطين ، ومنطق الدفاع عنها فإن «سارتر وعشيقته» أعلنا قبل المجئ الى القاهرة أنهما سوف يذهبان إلى تل أبيب !!

وقد ذهبا، وصرحا أن هناك دولة اسرائيل يجب أن تبقى وأن عداوتها حماقة !!!

ومع هذا الميل إلى الصهيونية فإن أسرة جريدة الأهرام لم تتنازل عن إعجابها بمن أعانها عن تحقيق بعض أهدافها فى تحقير الدين والأسرة ..

لقد رأيت نساء وَلِينَ أعظم المناصب فى بلادنا يَجْثُون فى المحراب الخسيس الذى نصبته جريدة الأهرام للقديسة «سيمون دى بوفورا» ويقدمن لها الحساب عن حالة المرأة فى مصر .. لمن يقدم الحساب ؟

للمرأة التى تقول : «إن مبدأ الزواج فاضح ناب !! لأنه يحول الى حق واجب ما هو بحكم الطبيعة تبادل حر، ينبغى أن يقوم على الباعث التلقائى[1]»!!

هذا العهر هو الذى يعمل جريدة الأهرام على بعثرة بذورة ، وتعميق جذوره.

وعلى غرار الأهرام عشرات من العصابات فى ميدان الأعلام ..

---

(١) الهلال فى العدد الممتاز قاموس الاشتراكية ١٩٦٦/١/١ .

إنها تعمل لسحق الايمان ، واشاعة العِرْضِ بأسلوب مُلْتوٍ أو صريح.

أو كما يقول الدكتور «لويس عوض» ، كاتب الأهرام الكبير : «فكرة الزواج على المشاع فكرة تصدم الشعور ، ولكن اذكروا أنه لا شعور فى القلم !! ... ثم إن بعض الفلاسفة المثاليين المحترفين من أمثال «أفلاطون» دعوا إليها، و «أفلاطون» فى الجمهورية أوصى بتطبيق الزواج المشاع بين طبقتين فى المجتمع، الطبقة الحاكمة وطبقة الجنود ليكون النسل أبناء الدولة بالمعنى الحرفى لا بالمعنى المجازى» .

وهكذا يقول الدكتور لويس عوض فى كتابه المحاورات الجديدة، الكتاب الذهبى لدار «روز اليوسف»

مسكين هذا الجيل الجديد ...إنه بهذه التربية الماجنة سيكون أحقر جيل ولد فى مصر منذ سبعين قرنا خلت ...

وأريد هنا أن أنكر بعض التقاليد الدينية فى الزواج وتكون الأسرة لأن مجافاة هذه التقاليد للفطرة كان من الأسباب الاولى لوقوع الآثام وتوهين الصلة بالله .

إن الزواج هو الحل الفذ لتفجير الغريزة الجنسية وتطلعها الدائم .

وهو الجو الصحو لإنشاء أجيال زاكية تعرف ربها وتستقيم على أمره وتنضبط بوصاياه .. ومقتضى ذلك أن يتم الزواج بسهولة، وأن ينازع من وجهه أى عائق وقد جعل النبى ﷺ ، المهر خاتما من حديد، أو تعليم شئ من القرآن ..

والمجتمع المسلم المقدر لحدود الله يجعل تيسير الزواج كتوفير الطعام، وينظر إلى الرباط بين الرجل والمرأة على أنه واقع محترم محتوم .

بيد أن تقاليد الرياء والفخر ، وحب الظهور وعقدة الضِّعة ، ومشاعر أخرى منكودة عسَّرت الزواج، وأقامت دونه المصاعب الجسام، فكانت النتيجة التى لا محيص عنها أن انتشرت المعصية بين الكبار والصغار، وتنفس الناس فى الحرام لما عزّ عليهم الحلال ..

والسر فى هذه المأساة كبرياء بعض الأفراد والأسر، والتقاليد التى أقاموها وعبدوها من دون الله ..

وقد ظهرت أعراض الزنا وغيره فى أمم اسلامية كثيرة ! ..

أما فى الغرب فإن الزنا وباء عاصف .. والولوغ فى عرض حرام ليس نقيصة تجرح الضمير ، أنه ـ كشتى الضرورات أو المرفهات ـ مسألة رغبة ورضا وحسب ...

وهذه الحال جعلت الشيوعيين يتناولون مبدأ الزواج وعلاقات الأسرة بأسلوب يتسم بالسخرية والاستهزاء .

إن من حق الناس ألا ينتظرون من الشيوعيين حفاظا على عرض ، ولا ضبطا لغريزة ولا احتراما لحدود الله فى صلة الذكر بالأنثى ، لأنه لا اله ، لا تعاليم مقدسة فى هذا المجال الجنسى كما يزعمون .

إن منطق الغريزة هو الذى يسود. ولا مكان أمام تيارها لسدود أو قيود ، إلا ما يتواضع عليه الشيوعيين من عند أنفسهم حفظا للصحة ومنعا للاشتباك والشجار ..

ويتبع ذلك إن روابط الزواج، والأمومة، والأبوة، توزن بموازين جديدة غير ما ألفت الأمم فى تكوين الأسرة، وحضانة الاولاد، وغرس التكافل والحنان بين أفرادها .

ولقد قيل للشيوعيين على عهد «ماركس» : إنكم تريدون القضاء على الأسرة ، وهدم أقدس العلاقات العائلية بإحلال تربية المجتمع للأطفال محل تربية المنزل !!

ترى ماذا يجب «ماركس» على هذا التساؤل ؟

إن الزواية التى ينظر منها الرجال إلى هذا الموضوع تثير فى أفئدتنا الدهشة والحيرة. وهاك جوابه : إن «البورجوازيين» يتهمونا معشر الشيوعيين بأننا نريد شيوع المرأة ...

«إن البورجوازى يرى فى زوجته مجرد أداة للانتاج ، وهو يسمع أننا سنحول أدوات الإنتاج إلى ملكية شائعة ،، فيصل بالطبع إلى نتيجة واحدة بالنسبة للنساء. وهى أنه سيرى عليهن أيضا نظام الشيوع. ولا يخطر له ببال أننا نريد ان نحول دون جعل النساء مجرد أدوات للانتاج .

أما فيما عدا ذلك أكبر المضحكات أن يثير سخط البورجوازية ما يزعمونه من أننا نريد إعلان شيوع المرأة رسميا. فان الشيوعيين لا حاجة لهم بابتدا ع شيوع المرأة لأن هذا الشيوع حاصل فعلا من مدد مديدة !!

« إذ أن البورجوازيين لا يقنعون بوجود زوجات العمال وبناتهم تحت تصرفهم . فضلا عمن هو أمامهم فى ميدان البغاء الرسمى. بل يجدون سرورا عظيما فى إغواء بعضهم لزوجات بعض . فنظام زواجهم إنما هو نظام تزويج النساء للجماعات لا للإفراد .

وغاية ما يمكنهم إتهامنا به. أننا نريد أن نستبدل بشيوع المرأة المستتر وراء النفاق شيوعا علنيا مشروعا » .

.. شيوعا علنيا مشروعا !!

أهذه هى التهمة التى تسكت عليها وتستريح إليها ؟

نعم - وماذا ترجو من رجل يجحد الله ؟

إنه ما يتحرج من إتيان أمه، وما يضيق بمجتمع من الناس يتسافدون كلما حلا لهم ، أو كلما تحركت شهواتهم !!..

ونحن نعرف إن الفساد الجنسى فى أرجاء الحضارة الغربية ، وإن كان ليس عدوانا من أرباب الأموال على زوجات العمال كما يقول «ماركس».

إنه عدوان على حدود الله فى نطاق لا أول له ولا آخر، فالأغنياء والفقراء سواء فى اقتران الآثام ..

وبعيد عن حضارة الغرب أن يكتفى الرجل طول حياته بامرأة واحدة أو تكتفى المرأة برجل واحد ... وهذه الشيوعية فى الأعراض لم ينزعج لها قادة الغرب ، وهنا موضع الغرابة !!

فإن النصارى لديهم من بقايا الوحى السماوى ما يحرم عليهم الزنا ، وما يحظر التبرج والاختلاط المؤديين إليه ، فكيف سكت القُسسُ على هذه المنكرات، بل على ما تفرغ عليها من ألوان الشذوذ ؟ !.

إن الإسلام لمآ أباح لأبنائه التزويج من اليهوديات، والنصرانيات - دون الوثنيات والمجوسيات - فعل ذلك لأن المفروض فى نساء أهل الكتاب إحصان الفروج حسب تعاليم موسى وعيسى ، وبالتالى تنهض الأسرة على أعمدة الشرف والتصوّن ، ويربى الأولاد فى جو من العفاف والاستقامة .

وهنا تسائل : هل إنعدمت الفروق بين الشرق الشيوعى والغرب الصليبى فيما يتصل بالغريزة الجنسية ومآربها المعوجة ..؟

يبدوا أن هناك فروق طفيفة ، فالمرء فى الغرب بعد الشرود الطويل قد يعود إلى بقايا دين .. ثم هناك خيوط واهية تبقى شكل الأسرة ومعنى الأبوة والأمومة ..

أما فى البلاد الشيوعية فقد حكى صاحب كتاب « أثرت الحرية » أن الحزب الشيوعى الروسى فصل واحداً من أعضائه لانه تزوج داخل الكنيسة!!

إن المعنى الدينى لتكوين الأسرة لا يعترف به أبدا .

ورباط يولد بعيد عن عناية السماء بهذه الصرامة ما تقول فيه وفى ثمراته ؟؟

وحكمت الشيوعية روسيا وأخمدت أنفاس الدين وإن استبقت نفرا من المتدينين المغموطين التائهين .

وشرع زعماء روسيا الشيوعية فى إنشاء الأجيال التى تعتنق فكرتهم وتحيا بها وتعمل على نشرها. وكان الشباب الغض هو العنصر الذى يعتمد الشيوعيين فى إقامة فكرتهم ودولتهم .

فلنستمع إلى «لينين» يحدد واجبات جمعيات الشبان، أو منظمات الشباب فى الخطاب الذى ألقاه بالمؤتمر الروسى لاتحاد الشباب الشيوعيين فى ١٩٢٠/١٠/٢، ففى هذا الخطاب أكد كفر الشيوعية بالله، وأن لها أخلاقا ما تنزل من وحى السماء .

يبدأ لينن خطابه هكذا :

«أيها الرفقاء، يسرنى أن أبحث معكم اليوم فى موضوع الواجبات الأساسية لاتحاد الشبان الشيوعيين، وأن أتوسع فأبحث بوجه عام فى:

كيف تكون منظمات الشبان اطلاقا فى جمهورية اشتراكية؟ ، ومما يزد فى أهمية درس هذه المسائل أن الشبان هم فى الحقيقة الجيل الذى سيحمل العبئ الأكبر فى انشاء صرح المجتمع الشيوعى، والذى لم يقم جيل العمال الحاضر بأكثر من وضع أساسه ...

إلى أن قال :

«وهنا يأتى السؤال الهام : كيف يكون تعليم الشيوعية ؟ وما هى الأسباب الخاصة التى يجب أن تمتاز بها طرقنا فى التعليم ؟ إن أول ما أرى إيضاحه لكم فى هذا الصدد هو دستور الأخلاق الشيوعية، وقد تساءلون : وهل هناك شئ يسمى الفضائل الشيوعية ؟

الجواب: نعم. كثير ما اتهمت البورجوازية الشيوعيين بأنهم لا يعبأون بالأخلاق وأنهم ينكرون أى مبادئ لها، إلقاء الكلام بهذا الشكل إنما هو من قبيل ذرّ الرماد فى عيون العمال والفلاحين .

وإنما الحقيقة عن إنكار قواعد الأخلاق أننا ننكر ماتدعيه البورجوازية من أن مبادئ الاخلاق هى أوامر من عند الله فنحن بالطبع لا نؤمن بالله . ونعلم تمام العلم بأن القساوة والملاك والبورجوازية نسبوا الأمور إلى هذا الاسم «الله» لتحقيق مآربهم الاستغلالية ...

ويواصل «لينن» خطابه فيقول :

«نحن ننكر كل أخلاق لا يكون مصدرها المدارك الإنسانية، ونجاهر بأنها جميعا مجرد غش وخداع وكبت لعقول العمال والفلاحين» .

«وأن القوة التى تسيطر على أخلاقنا هى مصلحة طائفتنا ، فدستور أخلاقنا مستمد من حركة كفاحنا العمالية» .

«لقد كان المجتمع القديم قائما على أساس ظلم الملاك والرأسماليين للعمال والفلاحين، ولذلك وجب علينا نسف هذا الأساس. ولكى يتسنى لنا ذلك لابد من الاتحاد وأن نُوجد هذا الاتحاد بأيدينا فإن «الله» لن يخلقه (نعوذ بالله من هذا الكلام !) إنما الذى يستطيع خلقه هم «البرولتاريا وحدهم» إلى أن قال : «من ذلك ترون كفاحنا لم ينته بعد، ومن هنا نشأت الحاجة الى نظام الحكم الذى نسميه «الدكتاتورية العمالية» التى لابد منها لمنع عودة الاستغلاليين القدامى ولتوحيد صفوف تلك الجموع المبعثرة من الفلاحين الجهلاء .

«وإذا كان كفاحنا الطائفى لا يزال قائما، فواجبنا الأول هو أن نخضع لمستلزمات هذا الكفاح كل شئ عندنا، وفى ذلك أخلاقنا الشيوعية.

«فالأخلاق عندنا هى أن نعمل على ما يساعد على هدم المجتمع الاستغلالى القديم جمع كل صفوف الأيادى العاملة حول البروليتاريا القائمة بإنشاء المجتمع الشيوعى الجديد.. يتكلم الناس أمامنا عن مبادئ الأخلاق، فنقول لهم : إن الأخلاق عندنا معشر الشيوعيين ليست سوى النظام الموحد والتكتل اليقظ لمكافحة الاستغلاليين .

«نحن لا نعتقد فى الأخلاق الأزلية، ونعد كل الأقاصيص الخرافية التى ترمى إلى غرض أخلاقى قولا هراء، ولا نعرف الأخلاق إلا بصفتها عونا للمجتمع على الرفع من مستواه والقضاء على كل عمل استغلالى .

«لذلك لا تكون تربية النشئ الشيوعى بإلقاء دروس الوعظ والخطب الأخلاقية، بل باشتراكهم فى الميدان العملى القائم لتشييد وتدعيم صرح الشيوعية » .

أظنه قد وضع من إعلان زعماء الشيوعية كلهم أن مذهبهم مادى

صرف نظر وأن تعاليمه - جوهرا ومظهرا - تقوم على أن الألوهية خرافة والوحى هراء والحياة الأخرى اختلاق . كذلك، وهناك ألوف من الاباحيين فى الشرق والغرب القديم والحديث يبطنون أو يظهرون هذا الكفر . فلم الدهشة والاستغراب ؟

ثم إن القرآن سبق أن ناقش هؤلاء الملحدين ووصف مذهبهم بدقة «وقالوا ما هى إلا حياتنا الدنيانموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر وما لهم بذلك من علم أن هم إلا يظنون، وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات ما كان حجتهم إلا أن قالوا أئتوا بآبائنا ان كنتم صادقين »[1] .

ونجيب بأن ما حدث فى هذا العصر لم يسبق له نظير فيما سلف من الزمان. فإن الإلحاد قد يوجد على أنه عوج فكرى، أو خلل نفسى، أو انحراف فردى، أو جهل موقوت ، أو غفلة عامة على أسوأ الأحوال .

أما الإلحاد الأحمر فى عصرنا هذا فهو ثورة على الإيمان تبغى قطع دابره ، واجتياح أهله ...! هو ثورة تتحقق وراء أسباب إقتصادية خطيرة ، وتسيطر بعصبية قوية من العامة المحتاجين والمتطلعين ...!

إن هذا الإلحاد ليس شبه توشك أن تلحقها الأدلة فتتلاشى .

لا . إنه الواقع وغيره الباطل !

... أنه الجد وغيره الهزل !

... أنه الجدير بالحياة وغيره الجدير بالفناء !

إن الشيوعية ليست لدى أصحابها رأيا اجتماعيا يمكن أن يعايش الآراء الاجتماعية الأخرى - لا -.

---

(١) سورة الجاثية : ٢٤ ، ٢٥ .

إنها الرأى الأول والأخير فى نظام الحياة الانسانية ، ولا مكان لرأى آخر أبدا .

وعلى الشيوعيين أن يتذرعوا بالعنف ما أمكن لهدم الطبقات المناوئة واخفائها تحت الثرى فلا تبقى على وجه الأرض حياة تتصل بالله .

نحن المصريين شعب مؤمن يغالى بإيمانه ولا يفرط فيه أبدا ، ورضينا بالله وبالإسلام وبمحمد نبيا ورسولا ...

وقد جرى علينا القدر الذى جرى على مجموعة البلاد الاسلامية فسقطنا فى بعض الاستعمار عشرات السنين...

ولم نستنم لهذا المصاب الفادح ، ومازلنا نكافحه حتى أنقذنا الله منه بعد شهداء كثيرين ومغارم ثقيلة .

وكان النظام الملكى السابق ظلا لهذا الاحتلال الاجنبى ، أو عنا له أو بديلا عنه ، ولذلك لم يبق طويلا بعده ...

وكانت أبرز جرائم الملك فاروق فى اشتباكه مع الأمة الثائرة عليه قتل الشهيد «حسن البنا» زعيم جماعة «الإخوان المسلمين» .. كما كان تنكره للنظام الدستورى، وولوعه ومن معه بالمال الحرام سببا فى اطباق الجماهير على إقصائه أملا فى نظام أفضل يتيح للأمة ما تصبو إليه من إيمان وعفة، وحرية وعدالة ...

وقد استطاع الجيش فى صيف «١٩٥٢» أن يتحول عن الملك بعد ما كان سناده وأن ينضم إلى الأمة التى رأت فى ثورته إنعاشا لآمالها بعد طول كفاح ...

ولا مكان هنا للحديث عن صلة الإخوان بالثورة ، ولا عن ماضى أبرز

زعماء الثورة فى جماعة الإخوان وتشكيلاتها السرية ...

وإنما يهمنى هنا القول بأن الثورة - يوم قامت - كانت تحد باطار إسلام خالص ، وأن أحدا من رجالها يعرف فى سره أو علنه بلون أحمر.

وقد كان فى مصر شيوعيون مستخفون قبل الثورة وبعدها ...

ولا شك أن نمو العلاقات الاقتصادية والعسكرية مع روسيا مكّن الشيوعيين المصريين من التكاثر والعلانية ...

بيد أنهم قلة قليلة إلى يوم هذا وإن ارتفع صوتهم واتسع سلطانهم ..

ولما كانت العدالة الاجتماعية علاجا ماسا لمتاعب المصريين المادية والادبية فان الاتجاه إلى التنظيم الاشتراكى كان جزءا من برنامج الثورة .

والشيوعيون أسرع الناس انتهازا للفرصة ، وقد أوجس المخلصون خيفة من أن يندسوا بين الصفوف يحولوا الاشتراكية إلى شيوعية .

من أجل ذلك جاء فى التقرير الذى وضعته لجنة الميثاق هذا التحذير تحت عنوان «حماية الاشتراكية العربية من الانحراف المذهبية» :

«إن لاشتراكيتنا العربية خصائصها المميزة ، وعلى ذلك لا يصح اطلاقا أن نفسرها فى ضوء مذهب إشتراكى آخر» !!

«إن علينا أن نحمى إشتراكيتنا العربية من أن يستغلها البعض فينحرف بمفاهيمها الى مفاهيم مذهبية غربية عنها» !!

«إن على القيادات الشعبية والفكرية وعلى أجهزة الدولة أن تقوم بحماية اشتراكيتنا من مثل هذه الإنحرافات التى سيعمل لها الانتهازيون والعملاء».

ولكن هذا الكلام طوى للأسف مع تقرير الميثاق كله[1] مع أن الكلام كان تعبيرا أمنيا عن رأى الأمة المصرية ، وكذلك كان ترديدا لتصريحات قادة الثورة أنفسهم من الشيوعية وبعدهم عنها ...

وربما قيل: إن تغلغل الروس فى شئوننا وحاجتنا الشديدة إليهم لنقاوم الصهيونية والاستعمار هما السبب فى تغيير الرأى !!

والجواب ... لا .

لقد قلنا ومازلنا نقول : إن التعاون مع روسيا لا يعنى التعاون مع الشيوعية ولا فتح القلوب لها .

وقد كتب قادة الثورة كلاما فى الشيوعية وحقيقتها نحب أن نذكرهم به وأن نحاكمهم إليه فهو كلام لا ينسى بسهولة، ولا يسترضى به الشعب حينا، ويستغفل عنه حينا آخر ...

فى مجموعة كتب «اخترنا لك...» كتاب سطر مقدمته جمال عبد الناصر، وخط فصوله رجال مسئولون بعضهم مات .

والكتاب فى «حقيقة الشيوعية» ننقل منه هذه الكلمات المبينة، وما تضمنته من حقائق لا تغيرها ظروف ولا ملابسات، ويقول المؤلفون :

«وفى فلسفة الشيوعية أن ليس هناك سوى المادة، ولكن هذه المادة ليست شيئا مجردا، وإنما هى تشمل الإنسان وأعماله، ويتكون التاريخ من عمل الإنسان فى المادة وتأثير المادة فى الإنسان، وبين الإنسان والمدة تأثير متبادل، فالمادة تغير من الإنسان، والإنسان فى دوره يغير فى المادة لتلائم، حاجته وتقضى لباناته، وعلاقة الانسان بغيره أساسها الانتاج والاستهلاك .

(١) الميثاق وتقريره فى ٢٠/٦/ ١٩٦٢ ص ١٥٣ .

وهذا باعث الحركة «الديالكتيكية» التاريخية وصراع الطبقات، وتقضى الحركة «الديكتيكية» بأن يظل الصراع قائما بين الفقراء المستبعين والأغنياء المستغلين، حتى تحدث الثورة ويحطم العمال النظام الرأسمالى ويتحقق الفردوس الأرضى، ولا مكان للروح فى مثل هذه الفلسفة، وإنما يمتاز الانسان عن الحشرات والسائمة بقدرته الفنية، وليست هناك حياة أخرى، ولا عالم روحى، ولا حرية،

لأن الإنسان خاضع للضرورات المادية، وأما الآداب والأخلاق فليس لها مصدر علوى ، وإنما هى وسيلة لحفظ المجتمع ، ومن أقوال لينين فى ذلك «علينا أن نكون مستعدين لكل لون من ألوان التضحية، وإذا استلزم الأمر فاننا نمارس كل شئ ممكن، فالحيل، وفنون المكر... وكل الاساليب غير الشرعية جميعها مباحة !! ... وكذلك السكوت وإخفاء الحق !!... وموجز القول أننا نستخلص الآداب من مصالح حرب الطبقات ! » .

ويقول أحد الشيوعيين فى تقديمه كتاب لينين عن الدين: «الالحاد جزئ طبيعى من الماركيسة لا ينفصل عنها» .

وفى برنامج المؤتمر السادس الدولى الشيوعى الذى عقد فى سنة ١٩٣٨ ما يأتى: «الحرب ضد الدين - أفيون الشعب - تشغل مكانا هاما بين أعمال الثورة الثقافية، ويلزم هذه الحرب باصرار، وبطريقة منظمة وحكومة العمال تعترف بحرية الضمير ولكنها فى الوقت نفسه تستعمل كل الوسائل التى تملكها بدعاية ضد الدين ، وتنظم التربية على أساس التصور المادى للدنيا» .

ويقول «لينين» فى فصل له عن «الاشتراكية والدين» : «الدين يعلم هؤلاء الذين يكدحون طوال حياتهم فى الفقر الاستسلام والصبر فى هذه

الدنيا، ويعرفهم بالأمل فى المثوبة بالعالم الآخر» .

يضرب «لينين» على هذه النغمة فى فصل له آخر عن موقف حزب العمال من الدين فيقول: قال « ماركس»: إن الدين هو أفيون الفقراء، وهذا حجر الزاوية فى الفلسفة الماركسية جميعها من ناحية الدين، وتعد الماركسية الديانات جميعها، والكنائس، وكل أنواع المنظمات الدينية، آلة العقل البورجوازى الذى يستهدف الاستغلال بتخدير الطبقة العاملة!».

وفى كتاب أرسله «لينين» إلى الكاتب الروسى الكبير «ماكسيم جوركى» يقول لينين «إن البحث عن الله لا فائدة منه، ومن العبث البحث عن شئ لم يخبأ، وبدون أن تزرع لا تستطيع أن تحصد، وليس لك إله لأنك لم تخلقه بعد، والآلهة لا يبحث عنها وإنما تخلق !» .

فالشيوعية تعادى الأديان جميعها، وتعدها دليل الرجعية والرغبة فى مقاومة النظام الشيوعى. وهى تخالف مبادئ الإسلام الاساسية، لأن أساس العقيدة الاسلامية أن : «لا إله الا الله، وأن محمدا رسول الله»، وأنه خاتم النبيين، واعتبار القرآن وحى الله للنبى محمد، وكذلك الايمان بالحياة بعد الموت والجزاء، والمثوبة والعقاب، وهذه المبادئ جميعها تنكرها الشيوعية تشكك فيها وتحاربها ...

وقد لقى الشيوعيون عناء فى تحويل ولاء المسلمين الخاضعين للاتحاد السوفيتى للاسلام إلى الولاء للشيوعية، وقد اضطهدوا المسلمين لتعلقهم بالعقيدة الإسلامية واسمساكهم بها إيثارها على الشيوعية .

وكان بعض الشيوعيون فى بعض الأحيان يغيرون سياستهم تبعا للظروف ويهادنون المسلمين ويلينون معهم، وحينما كانت تقتضى السياسة الخارجية إدعاء العطف على المسلمين والتظاهر بمسالمة الإسلام، فيكفون

عن اضطهادهم، ويظهرون لهم حسن النية والتسامح، فإذا استدعت الأحوال العدول عن تلك السياسة عادوا إلى مذهبهم الأصيل فى اضطهاد الأداين جميعها والعمل على إذالتها ومحوها ...

ويقول المؤلفون فى الصلة بين الشيوعية والدين :

«بين الشيوعية والدين عداوة شديدة وحرب لا هوادة فيها ولا مهادنة، وهذا أمر طبيعى، فان الشيوعية نظام مادى يستمد فكرته من نظرية فلسفية ملحدة تزعم أن كل ما يقع فى التاريخ من حركات فان مرجعه إلى الأسباب الاقتصادية ولا مرجع له غيرا، ومادامت الأسباب الاقتصادية - دن غيرها - هى التى تملى على التاريخ حركته وتسيره حيث تشاء، فلا مجال هناك للاعتراف بالله خالق أو قوة وراء الغيب توجه البشر إلى مصائرهم بقدرة وارادة» .

والشعور الدينى عندنا وعند كل ذى دين فى الأرض ، وهو احساس طبيعى فى الإنسان يشعره بأن من فوقه قوة عليا توجهه، وتسدده فى طريقه، وتعصمه من اليأس فى ساعات الحرج والشدة، وتمنحه الغزيمة والقوة على اقتحام المصاعب ، وتمنعه من الاستسلام لنزعات الشر والسوء أو للشهوات والنزوات المطامع الفردية، وتربط البشر بعضهم إلى بعض بروابط تجمعهم على الأخوة الإنسانية المتاونة من غير انتظار لجزء مادى أو غير مادى يلقاه الانسان على الأرض. فهو إذن شعور مثالى لا يتم الانسانية إلا به ، ولا يتحقق السلام على الأرض بغيره.

ولكن الشيوعيين ومن قبلهم الماركسيين ولا يرون فى الدين هذا الرأى، فليس الدين عندهم إلا تفسيرا خاطئا للظواهر الاجتماعية، وبقية من بقايا النظم الاستغلالية البالية، ولونا من الخدا ع صنعه بعض الناس ليستبعدوا به

كل الناس، فهو عندهم مظهر جهل ووسيلة استغلال وحيلة مخادع، ومن واجب الشيوعيين أن ينبذوه ويتحللوا من قيوده ويبرءوا من كل آثاره .

كذلك يقول الشيوعيون ويلقنون اتباعهم بصراحة مكشوفة وبلا مواربة.

ونحن ننقل هنا تصويرا لمسلك الشيوعيين فى محاربة الدين لكاتب عاش فى أحشاء المجتمع الروسى . يقول الكاتب[1] :

«لو تقلصت روسيا وعادت إلى حدودها فى سنة ١٩٣٩ فسيكون تحت سلطانها عدد من الشبان الأقوياء، ليس عند محاربة حكومة ديموقراطية عدد مثله، وقد لقحت أذهانهم بالأكاذيب الموهومة عن الممالك غير الشيوعية، فالرقابة الدقيقة فى: المدارس، والكتب، والإذاعة، والسينما لم تزودهم إلا بالدعاية للشيوعية والديكتاتورية فلا عجب إذا امتلأت رؤوسهم بشتات من المعلومات الخطأ .!!»

«وقد عملت الحكومة السوفيتية على تمكين الجهل الدينى بين رعاياها، وإذا قارنا عهد الإلحاد السوفيتى بعهد القصير وجدنا عدد من يلم بالقراءة والكتابة قد زاد أما عدد من يستطيع التفرقة بين الفضيلة والرذيلة فقد قل ! فهم يساقون إلى الإيمان بأن: الغاية تسوِّغ الواسطة، وأن الدين خرافة لا تنطلى على شبان أذكياء مثلهم، وكانت حجة الحكومة فى محاربة فى سنة ١٩١٧ هى «الدين كالأفيون» !!

«وظلت منذ ذلك الحين تضطهد الكنيسة تارة وتعاملها ببعض التسامح تارة أخرى، ذلك كلما رأت أن هذا التسامح يأتيها ببعض المنافع الساسية

(١) عن كتاب «طريق إلى فهم الاتحاد السوفيتى» «وليم س. بوليت».

من جيرانها، ولكن عدد القساوة قل بنسبة ٩٠٪ عما كان عليه فى سنة ١٩١٧ ، حتى أن شبان بعض المناطق لم يروا بأعينهم كنيسة قط !!

وهذا ستالين لم يكتم رأيه فى هذا الأمر، فقد قال لوفد العمال الأمريكيين فى سنة ١٩٢٧ : «إن الحزب لا يستطيع أن يقف من الكنيسة موقف المحايد !.

«نعم إن الحكومة تقوم بدعاية ضد الدين لمحاربة الأضغان الدينية جميعها، وأينما وجدتها. تسألوننى: هل قضينا على رجال الدين الرجعيين ؟ نعم لقد فعلنا، ولكن من سوء الحظ أننا لم نقض عليهم القضاء المبرم، فالدعاية ضد الدين هى الوسيلة الوحيدة التى ينبغى أن تتوصل بها إلى محو رجال الدين الرجعيين !!...»

ولكن الدعاية وحدها لا تكفى لمحاربة الدين، فطغت موجة من الإرهاب الدينى فى سنة ١٩٢٩ ثم فى سنة ١٩٣٧ فحاق بالقساوة السجن والنفى والقتل، ولم تحل سنة «١٩٣٩» حتى كانت عزيمة رجال الدين قد تضعضعت كل التضعضع !!، وندر أن تجد يومئذ فى روسيا قسيسا لا يخضع بين يدى ستالين .

ولقد هاجم هتلر الاتحاد السوفيتى فى سنة ١٩٤١ فاحتاج ستالين إلى معونة الشعور الدينى والشعور الوطنى معا، حتى يستمد من الفلاح أقصى ما يقوى عليه من تضحية لمقاتلة لألمان. وأعلن «سرجيوس» أكبر رجالات الكنيسة وكرسيه فى موسكو تأييده لستالين فى قيادة الحرب، فجازاه بأن ينتخب بطريقا، ثم دعاه إلى مقابلته. وفى اليوم التالى أدى البطريق أول واجب اليه فى السياسة الدولية، فطالب حلفاء السوفيت جهارا بفتح الجبهة الثانية .

وانشأت الحكومة «لجنة شئون الكنيسة الأرثوزكسية» لتتولى توجيه البطريق الذى يبلغ من العمر ٧٥ سنة. فلما أنزل ستالين الكنيسة إلى مرتبة المكاتب الحكومية، أرادها أن تكون أداة صالحة قوية الأثر. وأبيح تدريب صغار القساوسة بعد التحريم وأذن بانشاء معهد دينى. فمن الذى ربح : أهى الكنيسة أم الحزب الشيوعى ؟

«إن ستالين يبسط سلطانه على الكنيسة ويجعلها أداة فى يده يستخدمها فى سياسته الداخلية والخارجية. ومهما يكن من شأن الحقوق التى نزل عنها زعماء الكنيسة السياسيون فى صلحهم مع ستالين، فإن هذه الكنيسة لاتزال تضم نفرا قليلا من قساوة قلوبهم عامرة بالإيمان الذى أعانهم على احتمال ما لقوه من آلام واضطهاد .

«الشيوعية» هى: العقيدة التى تؤمن بها الحكومة السوفيتية فتنشئ لها أطفالا لكى يحيوا فى ظلها ويموتوا فى سبيلها .

«فعقيدة ماركس، ولينين، وستالين» هى الالحاد ، وزعمهم أنها تسند إلى الحقائق العلمية، مع أنها تستند إلى فرض غير معقول، وهو أن إقامة : «الديكتاتورية الشيوعية فى الأرض، وإلغاء الملكية الفردية لوسائل الانتاج» سيقضى على الحرب بين طبقات الشعب الواحد وبين بعض الأمم وبعض، وأنها سترقى بالطبيعة الانسانية كما يقول : «لينين» حتى تختفى الدولة يعيش الناس بعد زوال الدول، فى جو من الحرية الكاملة والهناءة الشاملة.

«وقد بنى «لينين» على هذه العقيدة رأيه فى تسويق إقامة الديكتاتورية فى روسيا، إذ كان يؤمن بأن قيام الدولة يؤدى حتما إلى التقاتل، أما إذا عاش الناس تحت لواء الديكتاتورية الشيوعية، فانهم يتهيأون للظفر بالحرية التامة.

وقال «لا حرية مع قيام الدولة، وحين تستتب الحرية ستختفى الدولة!! ... »

«وهذه العقيدة عندهم بمُنزلة الإيمان، ولعل هذا هو تفسير ظفرها كما ظفرت الديانات من قبل، بأنصار يخلصون لها ويستشهدون فى سبيلها .

فالمؤمن بها حق الإيمان يعتقِد بأنه يجاهد لتخليص البشر من ربقة الشر، وأنه يعمل لرفعة الحق الأزلى. فالحزب الشيوعى فى نظره هو: رابطة اخوانه المؤمنين، وكتابه المقدس قد خطه له: «ماركس، ولينين، وستالين» أما الاتحاد السوفيتى فهو الداعى إلى الجهاد !!..

ولما كان أسمى الأهداف الخلقية، فى نظر العقيدة الشيوعية، هو تحطيم الدولة على إثر إقامة الديكتاورية الشيوعية فى الأرض، أصبح أول واجب على الرجل أن يعين على إقامة هذه الديكتاتورية. ويؤمن الشيوعى بأن هذه الغاية الخلفية السامية تسوع كل الوسائل المودية إليها من حرب وقتل وتلويث سمعة ونكث للعهود، وكما قال لينين: «من الضرورة أن نستعين بالخدا ع والمكر ومخالفة القانون والمراوغة واخفاء الحقائق !!...»

فالحدود الخلقية التى تلتزمها الحكومات الديموقراطية، أو الحكومات الرأسمالية أو الاستعمارية، لا وزن لها فى قرارات الحكومة السوفيتية .

فالعقيدة الشيوعية تتطلب من الاتحاد السوفيتى ومن كل الحكومات الشيوعية أت تجعل أول أهداف سياستها الخارجية إقامة الديكتاتورية الشيوعية فى الأرض، فترى الحكومة السوفيتية تبدل خططها وأساليبها لبلوغ هذا الهدف، تبعا لتقديرها للموقف الدولى .

«أما الغرض ذاته فباق بغير تبديل، وما هو إلا غزو الشيوعية للعالم كله» .

«ولن نجد أقل مشقة فى فهم السياسة الخارجية للاتحاد السوفيتى ، إذا نظرنا إليه ـ كما يفعل الشوعى ـ نظرتنا إلى جيش محارب، فالخطط والأساليب واحدة : الهجوم حين يرى القائد أن النصر قريب، والتراجع حين يتوقع الهزيمة !(1) .

وهذا الاختلاف فى أمر الدين بين الشيوعيين وغيرهم هو الحد الفاصل بين الشيوعية وغيرها من مذاهب الرأى أو من نظريات الحكم، فالشيوعى الكامل عندهم هو الذى ينبذ دينه، ويتبرأ، ويقطع كل صلة تربطه به فى كل شأن من شئون حياته، فى العمل وفى غير العمل، وفى الزواج والطلاق، وفى الأبوة والأخوة والأمومة، وفى كل ما جل أو قل من علاقاته العامة وشيونه الخاصة، وهم لا يكتفون من السيوعى بأن يبرأ من الدين بقلبه ولسانه، بل يريدونه أن يعمل ما وسعه الحهد لرد المؤمنين بالله عن دينهم، لكون الناس جميعا شيوعيين على دين «ستالين، ولينين، كارل ماركس» لا على دين نبى من أنبياء الله ورسله،

وقد كان من الجرائم العظمى بروسيا فى يوم من الأيام أن بضبط روسى متلبسا بجية الصلاة أو العبادة فى كنيسة أو مسجد، وقد هدمت المساجد والكنائس جميعا فى روسيا منذ سنين بعيدة، وحول كثير منه كمتاحف عهد الرجعية الاستغلالية البائد .

---

(1) نسبة غلاة المؤمنين بالشيوعية فى الاحزاب الشيوعية خارج روسيا أكبر منها داخل الحزب الشيوعى الروسى !!.. ذلك بأن الشيوعيين فى روسيا يرون الشيوعية رأى العين، ويلمسون آثارها المتعبة ، وطبيعتها السيئة .

... أما الشيوعيون خارج روسيا فلا يزالون على ايمانهم بالجنة التى تزينها لهم الدعاية الشيوعية !.

ومسلم الأمس فى روسيا ـ ومثله مسيحى الأمس ـ لايباح له أن يتخذ زوجة يرتبط إليه ارتباط الزوجين فى كل بلد من بلاد المسلمين، أو من بلاد المسلمين أو من بلاد المسلمين ليكونا أسرة ذات كيان وقومية صغرى، وإنما هو رجل وامرأة كذكر الحيوان وأنثاه، ليس بينهما إلا صلة الفراش المشترك حين يبدو لهما أن يشتركا فى فراش، بعقد موقوت أو بغير عقدُ، ثم يذهب الرجل الى حيث يشاء وتذهب المرأة، فهى أنثى من أناث الدولة الشيوعية وهو رجل من رجالها، وللدولة وأبناؤهما وبناتهما جميعا ينتسبون إليها وحدها انتساب ولد الحيوان إلى جنسه لا إلى أبيه وأمه ...

وقد رأينا فى بعض قضايا الشيوعية بمصر واحدة من «زوجات الدولة» هؤلاء، اسمها «ميرى روزنتال» وكان فى مصر زوجان تختلف إلى كليهما وتقاسم كلا منهما الفراش حين تشاء أو حين يشاء هو، ولا تنكر هى أنها «زوجة» لكل منهما ، ولم ينكر منهما أنها «زوجته» ولم تر أو يرى أحدهما فى ذلك عيبا ، لأنهم جميعا «شيوعيون»

وكلمة «زوج» أو «زوجة» التى يعبر بها عن مثله هذه العلاقات الفاحشة بين الشوعيين ونسائهم، ليس لها إلا المدلول فى دين الشيوعية .

وقد جاء فى المقدمة التى كتبها « جمال عبد الناصر » لهذا الكتاب :

إن الشيوعية حين أصبحت نظاما للحكم انقلبت إلى شئ آخر غير ما كان يأمله قادتها ـ وما أكثر النظريات التى تفتن وتخدع، حتى إذا دخلت فى دور التطبيق العلمى انحسر عنها لثامها وأسفرت عن حقائقها الأليمة .

كل ما كسبه الشيوعيون من شيوعيتهم أنهم صاروا آلات فى جهاز الانتاج العلمى ـ وكانوا بشرا ذوى ارادة .

* قد كفروا بالدين لأن الدين فى عرف الشيوعية خرافة .

* وكفروا بالفرد لأن الفرد فى دين الشيوعية لا كيان له ولا حقيقة لوجوده وإنما الكيان للدولة .

* وكفروا بالحرية لأن الحرية نوع من إيمان الفرد بذاته ، وليس للفرد فى النظام الشيوعى ذات ولا إرادة !

* وكفروا بالمساواة فى نظام الدولة، لأن الدولة فى دستور الشيوعية طبقات تنتظم فى هرم يتربع على قمة فرد ويحتشد ملايين الشعب فى القاعدة ! إلا ما بعد واقع الشيوعية عن دعوة دعاتها !

ونحن المصريين ...

نحن العرب ...

نحن المسلمين والمسحيين فى هذه المنطقة من العالم ...

* نؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ...

* ونؤمن بأن لكل عامل جزاء عمله ، ولا تزر وازرة وزر أخرى ...

* ونؤمن لأن لكل فرد فى جماعة كيانا فى ذاته، وكيانا فى أهله ، كيانا فى قوميته العامة وفى بلده ...

* ونؤمن بحرية العمل، وحرية الكسب، وحرية النفقة فيما لا يعود على المجموع بمضرة .

* ونؤمن إلى كل ذلك بالأخوة الإنسانية، وبالتكافل الاجتماعى، والأيثار القائم على الاختيار لتوثيق الروابط الإنسانية .

* نؤمن بأن لكل فرد فى الدولة حقا وعليه واجبا يكافئ هذا الحق .

* وأن على الدولة لكل فرد فيها واجبا ولها عليه حقا يكافئ هذا الواجب.

فهى تبعات متبادلة بين الحكام والمحكومين، ليس فيها قهر ولا أذلال ولا تسلط ولا طبقات قليلة العدد من السادة وطبقة ضخمة من العبيد.

هذا ديننا وذاك دين الشيوعية ...

فلتؤمن الشيوعية بما تشاء وتكفر بما تشاء ، فليس يعنينا ما تؤمن به ومل تكفر ! ... وإنما يعنينا أن نؤكد إيماننا بديننا الذى ندين الله عليه .

* حكم فردى صارم وشعب مسير صامت .

* الشيوعية تخشى اطلاق الحريات لتستديم وجودها .

* الثورة الصينية وظروفها .

* سير الشيوعية بين بيئتين .

* تقرير من داخل روسيا .

* الجاسوسية والتعذيب .

* معنى الحرية فى المجتمع الشيوعى .

ونترسم دستوره فيما نعمل لأمتنا ولقومنا ...

كل ما بيننا وبن الشيوعية فى مذهب الحكم أو فى مذاهب الحياة ، أن الشيوعية دين ... ولنا دين ؟

ولسنا تاركين من أجل دين الشيوعية .

ونحن نصدق كل حرف فى هذه المقدمة .

ولكن وسائل الاعلام لدينا لا تنفذ منه حرفا ، بل هى دائبة على خلق أجيال تكفر بالله وتنكر وحيه . أجيال تهش للشيوعية وتستروح لمبادئها .

الشيوعية والحريات

طراز الحكم فى البلاد الشيوعية معروف الشكل والموضوع ... إنه حكم فردى أو طائفى يفرض نفسه على شئ ، ولا يسمع بتة بمعارضة أو تذمر، ولا يأذن بميلاد فكرة مخالفة بله حزب يمثل وجهه نظر مغايرة ...!

وأسلوب العيش فى ظل هذا النظام يجعل الطعام اليومى للأفراد والأسر مارا من تحت الحاكم ومن ثم فلا مجال للأفات من قبضته ...!!

ولم تعرف الدنيا فى تاريخها الماضى. ولن تعرف فى تاريخها المقبل ، حكما ممدود الرهبة، مشدود الوثاق، يحول البلاد إلى سجن كبير، ويحول أهلها الى قطعان مسيرة ، مثل ما عرف فى الأمم الشيوعية .

والغريب حقا أن ذلك كله يقع باسم الشعب ...!!

باسم الشعب تخنق الأراء، وتخمد الأنفاس، وتذل النفوس الكبار، ويقدس اسم واحد أو عدة أسماء .

والشعب ليس إلا ستار تختفى وراءه حفنة من الناس تملكتها رغبة مجنونة أن تفرض تفكيرها ومذهبها على الآخرين ولو كانوا كارهين .

وهذا الشعب الذى تفعل باسمه العائم يحيا على الضياع والبأساء، إنه يشبه الخليفة فى بغداد يوم قيل فيه ومن المقطوع به أن الشيوعية فى أى بلد وفى زمان لا يمكن أن تصل إلى الحكم عن طريق انتخاب شعبى حر ...

وإذا حدث لأمر ما آن استولت الشيوعية عى الحكم بفوز شعبى جزئى، فانها لا تبقى فى الحكم فترة قصيرة حتى ينصرف الجمهور عنها فلا فلا تعتمد فى بقائهاإلا على السياط والرماح ...

إن سيادة الحرية فى الأرض تعنى زوال الشيوعية منها، فما تقوم حكومة شيوعية الآن فى غيبة الشورى، ويأس الجماهير من التغير.

والأمر لا يحتاج إلى لف أو دوران . إن الناس يرضون عن الحكومة يوم تكون مصالحهم فى ظلها مكفولة نامية ، ويوم تكون عقائدهم وآرائهم محترمة مصونة ... فإذا نظر إنسان فرأى الحكم الشيوعى قد قلل دخله ، وضيق عيشه ، وإذا نظر فرأى أنه قد أهان دينه ، وصادر حريته .

فما الذى يحمله على الرضا بذلك الحكم المشئوم ؟

ومن الذى يسره أن يخسر دنياه وآخراه على هذا النحو الذليل ؟

إن سياسة الشيوعية أعرف الناس بهذه الحقية ، ولكنهم أصحاب عقيدة يريدون بكل وسيلة أن يفرضوها ، وأن يزيحوا العوائق من أمامها .

وقد خاضوا فى سبيل ذلك لججا من الدماء المراقة ، والكرامات المستباحة وهم ماضون فى طريقهم ما بقيت فى أيديهم السطوة والسلطة .

والحكم الشيوعى يعتمد فى الداخل على شبكة من الجواسيس تحصى على الناس أنفاسهم، وتكاد تطلعه على خطرات قلوبهم، كما يعتمد على سلطان مطلق فى الخفض والرفع والحياة والموت ..!!

فمن أيسر الأمور أن يكون المرء وزيرا اليوم ، ثم يعزل غدا ، ثم يرمى فى السجن ، ثم يقتل لأنه خان الحزب ...

وذلك كله فى ظل قضاء طيِّع، صحافة خرساء، وجمهور مستكين ونفر من المتطلعين يشقون طريقهم إلى مستقبلهم على أنقاض غيرهم ،

ويتم ذلك كله باسم الفلاحين والعمال !!

ولقد تتبعت أقوال «ماركس» و «انجلز» وتصرفات «لينين» و «ستالين» فرأيت أناس مملوئين من نواصيهم إلى أقدامهم بالفكرة التى يعتنقونها، سكرى بخمراتها فما يفيقون أبدا منها، يظنون العالم كله مبطلا وهم المحقون .

ثم رأيت بعض الشباب الذى افتتن بهؤلاء وتبعهم، فرأيت أناسا أضراهم الحرمان، أو التطلع، يحسبون أن الشيوعية ستحولهم إلى ملوك بين عيشة وضحاها، فهم ينصرونها بكل ما فى غرائزهم من قوة ونشاط .

وقد تكون الشيوعية ملتقى الأمانى الجائعة، والخيالات الرائعة !

بيد أنها عندما تلتقى بالواقع وتمشى على الأرض تنكشف عن فراغ وخداع لا آخر لهما ، وعندئذ ينصرف عنها من اغترٌ بها، ولا يتعصب لها إلا من يريد عن عمد نشر الالحاد والعبودية بين الناس، باسم مناصرة العمال والفلاحين .!!

وقبل أن أتعرض لمأساة الحرة فى الثورة الروسية أسوق مثلا قريبا من الثورة الشيوعية الأخيرة فى الصين .

لقد جاء «ماتوسى تونج» يقود جحافل الشيوعيين .

جاء فى أعقاب حكم ساقط حافل بالفوضى والرشوة والفساد، تبرأ منه الأمريكيون أنفسهم وهم الذين طالما أغدقوا عليه وأيدوه !!

وانتصار الشيوعية غالبا يتم فى هذا الجو المليئ بالضيق والإنكار . وشرع الحزب الشيوعى ينفذ برنامجه الاصلاحى المستمد من تعاليم «ماركس ولينين» .

وكان «ماتسى تونخ» كبير الأمل فى اجتذاب الألوف حوله، والإفادة من الاخطاء الفادحة التى خلفها الحكم السابق . ولم تكن هناك حاجة للاستبداد ومصادرة الآراء الأخرى .

كان يبدوا أن الحرية مأمونة العاقبة !!

ولكن أبواب الحرية ما كادت تفتح حتى هبت منها رياح تريد اقتلاع الشيوعية من أصولها ، كأنما كان الناس فى لهفة للخلاص منها ...

وهنا أسرع « ماوتسى تونخ » إلى اغلاق الأبواب بقوة وندم ...!!

يقول الكاتب محمد عودة :

«فى بداية عام ١٩٥٦ أعلن ماتوسى تونخ «شعار» : «دعوا مائة زهرة تتفتح، ودعوا مدرسة مختلفة تصارع» وأصدر بحثه المشهور عن الطريقة الصحيحة لمعالجة المتناقضات فى صفوف الشعب !!..

«وبعد ذلك بقليل انعقد المؤتمر العشرون - الشهير - للحزب الشيوعى السوفيتى ...

«وقال كثيرون : إن ما أعلنه من خطوات جريئة وتحررية هو من تأثير الصين الشعبية، وأن هناك مرحلة تحول تاريخية فى آراء وسياسات المعسكر الشيوعى كله .

«ولكن انتهت هذه المرحلة فجأة وتحولت الصين الشعبية من النقيض

إلى النقيص وأسدل الستار على «المائة زهرة والمائة مدرسة مختلفة» وبدأ «خط» جديد فى الداخل والخارج .

«وقيل فى تفسير هذا التحولُ المفاجئ والمناقص لطبيعة الثورة الصينية وتطورها حجج وأسباب كثيرة ربما كان أقربها إلى النطق هذه الحجج :

«إن تطبيق الحرية الفكرية على النطاق الواسع الذى طبقت فيه خلال عامى ١٩٥٦ ، ١٩٥٧ الصين قد كشفت للحكومة الصينية عن قديم كامن كبير من المعارضة الهدامة !!

«وهى المعارضة التى لا تريد النقد، ولا تريد تدعيم وتلافى نقائض النظام، ولكن تريد التشكيك فى أسسه الفلسفية والعقائدية، وفى نظمه وسياساته، وتريد بذلك تقويض دعائمه ...!!

«وقد خربت فى هذه الفترة أصوات كثيرة وقوية ومن جهات لم يتقعها أحد تضع موضع التساؤل ولاستنكار الفلسفة الماركسية وقيادة الحزب الشيوعى ومشاريع التنمية والاصلاح .

«وقد وجدت هذه الأصوات فرصتها كاملة على صفحات الجرائد والمنابر الصينية، وتركت مرارة عميقة فى نفوس الصينيين وصدمتهم صدمة استخلصوا كل مغزاها ...!!

«وكان السيوعيون الصينيون قد استولوا على كثير من أجزاء الصين بغير قتال ونتيجة لتخلى الشعب كه عن حكومة «تشيانخ كاى شك» التى وصل فسادها وخيانتها إلى حد تخلى الأمريكيين وهم خلفاؤها وسندها عنها .

«وأدرك القادة الصينيون أن رواسب التربية والعقلية الاقطاعية والبورجوازية لا تزال قوية راسخة فى أرجاء كثيرة من الصين .

«وأن فترة طولة من التصفية العقلية والروحية لهذه المخلفات لابد أن تقوم .»

«والحجة الثانية هى أن : عملية البناء الاشتراكى فى بلد مثل الصين والانتقال من اقتصاد استعمارى اقطاعى فى أشد مراحل التخلف إلى اقتصاد إشتراكى صناعى حديث، هذه العملية فى شعب تعداده ستمائة مليون ويزداد بنسب مخيفة أقنعت القادة الصينيين أنه لابد من تعبئة حازمة صارمة لكل الموارد الاقتصادية والبشرية، وأنه يمكن قطع الخطوات السريعة التى تريد الصين قطعها للحاق بالدولة المتقدمة بغير التقشف العام والتعبئة العامة .

«والحجة الثالثة» : أن سياسة التحرر التى أعلنها المؤتمر العشرون للحزب الشيوعى السوفيتى وتطبيق هذه السياسة قد أدى الى أحداث المجر وبولاندا . ولو انفجرت مثل هذه الانتفاضات فى الصين وامتدت الى نطاق واسع لأدت الى خطر النتائج .. ولا يعجز الاستعماريون والجعيون المحاصرون للصين عن تدبير «هنغاريا ثانية» ولابد من تلافى هذا الخطر»

لهذه الأسباب ولغيرها، قرر الحزب الشيوعى الصينى أن يستبد بالأمر، وأن يسكت الأصوات المعترضة مهما بلغت كثرتها ...

وذلك خشية وقوع هنغاريا ثانية، كما يقول «محمد عودة» وهو يشير إلى مأساة المجر التى وقعت أخيرا. فإن الشعب المجرى الذى أكرهته ظروف مفتعلة على قبول الشيوعية فى بلاده لَمَّ شمله، وقام بحركة مستميتة استرد بها سلتطه ، وحرر بها مشيئته...

غير أن الأوامر صدرت للجيش الأحمر بعلاج هذا التمرد ، فإذا ألوف الدبابات من مكانها مجتازة المدن والقرى ، ودافنة الثوار تحت أنقاض الخرائب ... وبين عشية وضحاها كانت الدور مقابر، والمحافل الهائجة لا تسمع لها همسا .

ثم عادت السلطات للشيوعيين . أو بالعبارة اللاذعة عاد الحكم للعمال والفلاحين أصحابه الشرعيين !!!

وإذا كان الحزب الشيوعى الصينى سنة ١٩٥٦ قرر إرغام الجماهير على تنفيذ خطته وقبول فلسفته فإنه لم تمض عشر سنين حتى أحس « ماوتسى تونخ » مرة أخرى أن الأرض تميد تحته .

فإن جمهرة المثقفين رأت هناك برامج أفضل للنهوض بالبلاد من الطريقة التى يلتزمها الشيوعيون الحاكمون .

وهنا تقع عملية تطهير كبرى تشمل أساتذة الجامعات، رؤساء الصحف، وقادة الجيش، وتمتلئ السجون بالمعارضين .

بل أن الشبيبة الشيوعية تذهب إلى بيوت معينة لتلقى أثاثها فى الطريق، وتطرد أصحابها منها بحجة عدم ولائهم للزعيم «ماوتسى تونج».

وما يفعله الحرس الأحمر هناك ملأ الدنيا .

نحن لا ندرى إلا القليل من أحوال تلك البلاد القصية ، لكنا نستطيع أن نفرق فى تقبل الشيوعية بين بيئتى :

* ان الهندوس والبوذيين وطوائف الوثنيين قد ينتقلون إلى الشيوعية دون عناء طويل ...

* أما أصحاب الديانات السماوية فان إيمانهم الوطيد بالله ، وشعورهم بالرضا مع تعاليمه الصحيحة ، يجعل قبولهم للشيوعية عسيرا أو مستحيلا ...

يقولون : إن الهندوسى الذى يبيع الفاكهة يشعر بسعادة كبرى عندما يمر به عجل ، ويدس فمه فى أقفاص الفاكهة ، يأكل منها ما يشاء !!!

هذا الهندوسى عندما يعتنق الشيوعية يشعر أنها نقلته الى طور أرقى من تقديس البقر ... ويبقى الأمر عنده مجرد مقارنة بين كسبه الشخصى فى ظل الشيوعية أو كسبه فى ظل الرأسمالية تحوله عن الشيوعية إلى نظام أرقى - بعد الدرس والتجربة - يحتاج إلى أمد أو يقصر ...

ولذلك فإن حركات التطهير التى اقترنت بها الثورة الصينية كانت محدودة وعلى فترات متباعدة - ون كان الحرس الأحمر الصينى قد ارتكب ضد خصومه جرائم مجنونة ...

لا تستثنى من ذلك إلا المقاومة الباسلة المريرة التى أبدتها الشعوب الاسلامية الى آخر رمق ، قبل أن تقع فريسة الزحف الاحمر ...

أما الثورة الروسية فى خريف سنة ١٩١٧ فقد وقعت بين شعوب ثلثها مسلم تقريبا والباقى مسيحى ... وهؤلاء وأولئك لا يبيعون ربهم بثمن بخس ولا غال . ثم إنهم جربوا نوعا من الحياة أرقى ، أو على الأقل تحس ضمائرهم هذا النوع الأرقى من الحياة الانسانية ، أو يسمعون عن تطبيقة لدى جيرانهم الأقربين .

ومن ثم لجأ الشيوعيون إلى وسائل ضاغطة من العنف والجبروت لاخماد روح التمرد بين هؤلاء النافرين، ولجعلهم يرضون بأساليب الشيوعية الاقتصادية والسياسية ولاجتماعية .

فهل أفلحوا ؟ كلا . إن الإقتناع بالشيوعية لا يتجوز لفيفا من أعضاء الحزب الشيوعى .

أما عشرات الملايين المبعثرين فى طول البلاد وعرضها فصدورهم مطوية على البغضاء والانكسار ... وما قيمة جموع انفراط عقدها، واستذلها الجوع والخوف، وينظر الواحد منهم إلى أقرب الناس إليه فيتخيله عينا عليه ! فهم كما قيل : وعلى الذم باتوا مجمعين وحالهم من الذعر حال المجمعين على الحمد ومن الظلم أن نقول هؤلاء المكسورين استسلموا دون مقاومة .

لا. إن الأمر لم يتمهد للشيوعيين إلا بعد مجازر مروعة لم تعهد البشرية مثلها . ثم شاء الله أن تصير الأمور إلى ما صارت إليه، وقادة الشيوعية يعلمون جيدا ما يريدون ، انهم يقولون فى وضوح :

سنبنى عالما آخر ما عهدت الانسانية فى تاريخها القديم والحديث . عالما خاليا من حق التملك وحق التدين. الناس فى هذا العالم آلهة الأرض ، وهم يولدون فيها ويخرجون منها دون أن يكون لأحدهم ملك خاص . والدنيا وما فيها مرفق عام للكل ، تلك هى المزاعم التى يرددها القوم !!..

وعندما واتت فرصة التطبيق ، وتولى القوم الحكم ، نبذوا الدين جانبا وطاردوا المتدينين فى كل مكان .

ثم انتزعوا من الناس أملاكهم كبرت أم صغرت ، وشرعت الدولة تباشر أو تشرف على شئون الزراعة والتجارة والصناعة وعشرات المهن التى يرتزقون منها ..

لقد تحول الكل إلى أجراء عند مالك واحد هو الدولة ...!! وكان هذا الزلزال الاجتماعى والنفسى شديد الواقع عسير القبول ، فالتدين فطرة ،

والتملك غريزة   نعم قد يدخل الفساد على معانى الدين ومظاهرة .
وقد يدخل الحرام فى مصادور التملك ومصارفه !!

لكن العلاج أن نجعل الدين حقا لا باطلا ، وأن نجعل أُلملك من حلال لا من حرام . وأن تكون النفقة معقولة لا سرف فيها ولا ترفٍ .

لكن الشوعية حكمت بالاعدام على الايمان والملكية .

فلما شرعت تسوس الأمور بأساليبها هى، ورَّطت الجماهير فى سلسلة من الضوائق لم يعانوا ظلمتها فى ظل القياصرة البغاة !!

وأصبح الجوع والخوف يتقاسمان البلاد الشيوعية، وكأنهما فى تلازمهما الليل والنهار .

السعداء هناك أتباع الحاكم وحواشيه، ومنفذوا مشيئته. وفى الدنيا ركام كثيف من هؤلاء الأذناب !!

هناك مرتزقه يخدمون أنفسهم تحت أى لواء .

ناس يخدمون النقيضين، فهم فى ظل الحكم الملكى يقبلون أقدام الملك ويعيشون بالولاء له، وهم فى ظل النظام الجمهورى حملة رايته، والمسبحون بحمده ، والمتعصبون له ...

فى الدنيا ناس كثيرون هدفهم الأكبر أن يوائموا بين أنفسهم وبين الأوضاع القائمة حتى يعيشون ناعمين . بل قد يتقنون الزلفى حتى يعيشوا متصدرين ....!!

وفى كل زمان ومكان تظفر الأنظمة المتقلبة بأعوان من هذا الصنف القلّب .

وقد استطاع قادة الشيوعيون أن يؤلفوا أحزابا قوية من هؤلاء الامعات الخادمين. فكانت هذه الأحزاب ولازالت القنطرة التى يعبر عليها الالحاد والاستبداد إلى غاياته المشئومة .

وقد يوجد فى هذه الأحزاب رجال لهم قلوب حية يؤذيها ما تشهد من كفر وانحراف ومظالم . لكن ما عساها تفعل ؟

إنها تخشى ما يقع بين الحين والحين من حركات التطهير التى تنكل بكل ذى رأى حر .

يقول « فكتور كرافتشنكو »(١) - وهو شيوعى روسى - بعد أن عاد من المزارع الجماعية وشاهد ما يعانيه فلاحوها من بأساء وضراء :

«بدأت فى طوية نفسى، وثنايا ضميرى فكرة أن اعتزل الحزب، فالمفازع التى شهدتها فى الريف تركت فى نفسى جروحا هيهات أن تندمل...!

مع ذلك فلهذا السبب عينه أخذ عقلى الواعى يتلمس اليأس طريقا يهادن به ضميرى. وما أحسب أن قد كان أمامى طريق آخر فى ظروف تحتم عليك إذا أردت أن تعيش أن تذعن للأمر الواقع الذى لم يكن منه

---

(١) مهندس كبير ممن أقاموا الصناعة فى الاتحاد السوفيى وكان والده ممن اشتركوا فى الحركة الثورية الشيوعية وأمضى شطرا كبيرا من عمره سجينا فى عهد القياصرة . وقد بلغ « كرافتشنكو » مكانة مرموقة فى روسيا لأنه سئم العبودية الاجتماعية والسياسية التى تسود بلاده ، وتبرم بالنفوذ الهائل الذى تملكه دائرة المخابرة السرية فانتهزت فرصة ايفادة الى الولايات المتحدة فى مهمة تجارية وقرر بعد انجازها الالتجاء الى حماية الرأى العام الامريكى . وكتب وصفا مسهبا للمآسى التى تسود بلاده تحت عنوان « أثرت الحرية ... » .

«إنه ليس فى مقدور إنسان أن يترك الحزب حين يشاء، بل ليس فى مقدور إنسان أن يتراخى فى نشاطه إزاء الحزب، أو أن يبدى من الأمارات ما ينم عن ضعف إيمانه به ...

« فإذا ما التحق إنسان بالحزب فقد وقع فى الفخ إلى الأبد .

عم يجوز للحزب أن يطرده ويكون معنى ذلك أن تنزل به الكوارث ، لكن ليس فى وسعه هو أن يتنحى منشقا عليه .

«فلو كنت أظهرت ما يدور فى صدرى من عواطف على حقيقتها لكانت النتيجة إبعادى عن المدرسة، ووصفى بالعار، وتعقبى بألوان الاضطهاد !!!..

«بل ربما كانت النتيجة المحتومة أن يزج بى فى معسكرات الاعتقال أو ما هو من ذلك وبالا» ..

«كان لزاما على أن أكتم عواطفى بين جوانبى ... كان لزاما على أن أدسها فى أعماق فؤادى، هذا إلى ما بذلته جاهدا أن استعيد للحزب ولائى.

«فلئن كان ذلك ضرورة فى الظروف المعتادة، لقد كان عندئذ أشد ضرورة لان حركة التطهير قد نشرت قلاعها للريح».

«عينت مئات من لجان التطهير، ولم يكن ليمضى طويل وقت قبل أن تعقد تلك اللجان اجتماعاتها العلنية فى المصانع والمكاتب ودور الحكومة والمعاهد».

«وكان على كل شيوعى فى البلاد أن يذعن لما يطالب به من محاكمة واعتراف» ...

«واشتد شعورنا عندئذ بأننا محاطون من كل جانب بالعيون الرواصد والآذان المنصتة. تلك العيون والآذان التى تخفى عن النظر لكنك تحس وجودها فى كل مكان».

«وكذلك اشتد شعورنا بالأضابير الضخمة التى سجلت فى أوراقها دخائل حياتنا الخاصة، ومكنون أفكارنا، وبأعدائنا الذين قد ينتهزوا الفرصة، فيبرزون ما لنا من سقطات، ما هو حقيقى منها وما هو من نسج الخيال».

«كان السؤال الذى يسبق إلى ذهنى كل شيوعى إذ ذاك هو هذا : ترى هل تمضى عنه موجة هذه المحنة سالما ؟

«هذا سؤال إن صداه فى كل وجه من وجوه نشاطنا، وفى كل عبارة من أحاديثنا لم نعد ندبر للمستقبل سبيلا فلا مستقبل هناك إلا إذا إجتزنا فى سلام تلك العقبة الكأداء» .

ثم قال : «الشرط الأول لاحتفاظك بعضوية الحزب هو أن تكن للقادة ولاء لا ذبذبة فيه، وأن يكون ولاؤك ناصعا لا تشوبه شائبة ل «ستالين» بوجه خاص(١) .

«وأنه ليكفى أن يشيع عنك فلان عن فلان تلميحا خفيفا يفيد «انحرافك» عن جادة الولاء الخالص لكى تورد مورد الهلاك .

«بل إن أخص خصائص الحياة الداخلية لمن وقع عليه التطهير، وما يدور فى رأسه من خواطر فى كل الشئون كائنة ما كانت. مستهدف

(١) كان ذلك على عهد « ستالين » قبل أن يهلك ويتولى « خروشوف » .

لهجمات الناس علانية دون أن يروا فى ذلك ما يعاب .

«وكان اجراءات التحقيق تحتوى على أفظع الفظائع التى عرفت فى حمل المتهم على الاعتراف، وفى جعله عرضة لشهادة الزور، وفريسة لألوان التعذيب على أيدى الشيوعيين» .

أما الفريسة القنيصة فقد كانت ترى ـ وقت المحاكمة ـ محنة رهيبة .

وأما النظارة فكانوا فى أغلب الاحيان كأنما يشاهدون مسرحا لترويض الوحوش .

«وكان حضور هذه المحاكمات خلال أسابيع التطهير كلها الزاما محتوما على كل من ينتمى للحزب، وأما من ليسوا فى الحزب أعضاء فيغرونهم بالحضور بشتى وسائل التشجيع» .

«ولم يكن أحد من الشيوعيين ليخطر قبل محاكمته بالتهم التى يكون فى النية توجيهها إليه. فكانت هذه القلقة أشد ما يحرج الصدر من عناصر المأساة» .

«إذ كان عليك أن تتحسس طريقا فى الظلام لتكون على أهبة لما عسى أن يفجأك من مباغتات فتستعرض ماضيك مرة بعد مرة متسائلا : ترى من أين يأتى الخطر ؟

«ألم يحدث مرة أنك أفرطت فى الحديث ذات مساء منذ ثلاثة أعوام مدفوعا فى حديثك بما بعثته روح الزمالة فى نفسك من طمأنينة ؟

«فقد يكون واحد من هؤلاء الزملاء ـ الذين ركنت إلى حسن طويتهم ـ وشتى بك منبئا بما أفرطت به من ملاحظات» .

وطبيعى أن تكون ألوف الشرطة السرية والعلنية هى القوائم التى يعتمد عليها هذا النظام.

وتلك حال ينتفى معها الأمان وتتلاشى الطمأنينة ! فنصف الأمة جاسوس على نصفها الآخر ! ويكفى أن يتنفس امرؤ بكلمة لا تعجب حتى تحسب عليه وربما كانت القاضية ..!!

وقد تستغل عثرة العاثر ، أو حاجة المحتاج ليكون عينا على من حوله وإلا فالويل له .

جاء فى كتاب :«آثرت الحرية» على لسان فتاة أعتقل أبوها وكان أستاذا كبيرا فى الجامعة وكانت تريد زيارته. فقالت لرئيس مكتب الشرطة:

«أرجوك أرجوك أن تأذن بزيارتى إياه فأنت انسان من البشر أيا ما كان الحال ...» .

- ليس من هنا ناس من البشر يا ... بل هنا رعاة الثورة .

«ليس هنا مكان لعاطفة وما أدواتنا التى نقاتل بها اعداء الدولة سوى العذاب والموت» .

«وخير لك أن تتبنى هذه الحقيقة عاجلا والبشر فى التسويق !!

سأذن لك برؤية أبيك على أساس واحد وهو أنى أريد معونتك ، إذهبى إلى السجن ففى طريقك إليه سأرسل أمرى بذلك ، وفكرى فى الأمر الذى أعرضه عليك ، ودعى عنك هذه البلاهة الحمقاء» .

«فساروا بى إلى عنبر حيث كان أبى وحده فى غرفة نقلوه إليها استعدادا لزيارتى - كان راقدا على سرير من الحديد ساكنا سكون الموت ،

وقد طالت له لحية بيضاء فى هذه الشهور التى افترقنا خلالها، لم يبق له من جسده إلا جلد وعظام .

«ورأيت على جبهته وعلى صدغيه الغائرين أشرطة قبيّحة من الجلد كما رأيت أربطة على أصابعه وذراعيه ..

«دنوت من سريره فلم يكن لديه من العافية ما يعينه على ابتسامة الترحيب لما أخذت فى الحديث رأيت ما راعنى إذ رأيت أن أسنانه الأمامية قد خلعت عن فكه خلعا».

«قال بصوت منكسر : «لا تبكى يا» ونادانى بالاسم الذى كان يدللنى به منذ طفولتى» .

«لقد كنت أوصيت أن أتحدث فى أمور عائلته وألا أعرج بالحديث على شئون السياسة ، لكن الحارس الذى صحبنى هاله ما أرى فأدار وجهه عنا تلميحا لنا بأنه لن ينصت إلى الحديث .

«وأشار أبى إلى بأصبعه أن أنحنى إليه، ثم همس فى أذنى «ها أنت ذى تشهدين حالى يا ...» !!

«لقد جعلوا يضربوننى يوما بعد يوم فأداتهم هى التعذيب ..

«ومئات ممن سجنوا فى الحجر المنفردة ها هنا يجلدون بالقطائل المبتلة ولا يخلى بينهم وبين النوم اسابيع متوالية.

«أو هم يوضعون فى غرف هى الجليد فى بردها .

«لقد ضربونى فى غير رحمة لأسمى لهم شركائى فى المؤآمرة. فماذا أقول أن لم تكن هناك مؤامرة ؟ لم يكن هناك مؤامرة إلا فى خيالهم الجامع إنهم بمثابة من يرى اشباحا .

«لطالما تمنيت أن يكون هناك ما أعترف به، ولقد ذكرت أخطاء ليست بذات خطر واعترفت بها على أنها ضرب من أفعال التخريب .

ما نسجت لهم بخيالى كان من السذاجة بحيث يستقيم أمام عقولهم.

«وفيما استرسالى معك فى هذا الحديث ؟ لقد كنت سمعت عن الشرطة السرية وأساليبها لكن أسوأ ما كان يصوره لى خيالى لم يكن الى جانب الواقع شيئا مذكورا .

«ليس هؤلاء بشرا إنما هم نفر من الشياطين ، أواه يا ابنتى ... إن ما صنعه الناس ...» .

إن آراء الناس تختلف اختلافا كبيرا فى الشئون والسياسة، فإن ما يصلح ربما ما يصلح لآخرين، وما يوائمهم فى عصر قد يضايقهم فى عصر آخر ...

واذا كانت القواعد العامة موضع اتفاق - فى الغالب - فانه عند سرد التفاصيل ومعناه التطبيق تنبت مشكلات جمة، وتتفاوت وجهات النظر فى أسلوب حلها ..

إن أعضاء مجلس الادارة فى مصنع أو مزرعة ينقسمون على أنفسهم فى الحكم على ظروف العمل ومقادير الربح وغير ذلك .

والمهم أن هذه الاختلافات كلها عادية، وهى اجتهادات فى تحرى المصلحة. أو محاولات لادراك الحقيقة، وليس لأحد أولئك المختلفين أن يتملكه جنون الاعتداد برأيه ، فيتصور أنه هو وحده المصيب، وبالتالى أنه وحده الذى ينفرد بالكلام ..

قد أفهم أن الوحى الالهى مصدر يقين جازم عند الأنبياء وأتباعهم،

ولكن الامور المقطوع بها فى الدين محودة معدودة، وهى أمور ينتهى عندها الجدل لأن الله قال كلمته الواضحة ..

أما إن بشر ما، أو جملة أناس على رأيه، يعتنقون رأيا فى الاصلاح - على زعمهم - ثم يحولون هذا الرأى الانسانى العادى إلى عقيدة فوق النقاش والاعتراض ، فهذا ما لا يمكن قبوله أبدا ..

خصوصا إذا كان هذا الرأى يمس حاضر الناس وغدهم، ويشتبك مع معايشهم وضمائرهم ظاهرا وباطنا ..

إن الشيوعية فى أزهى صورها نظام يسر العمل والعدل لجماهير العمال والفلاحين !!

فإذا جرب العمال والفلاحون هذا النظام فاكتووا به ، وقرروا الخلاص منه ، فبأى حق بيفرض عليهم ؟

وما هذا الحماس والتعصب الشديدان لرأى كشف العقلاء سوءه ، أو ضاقت الجماهير بأثره ؟

لماذا اقسر قسرا على اتباع «كارل ماركس» وهو فى نظرى حائر ضل الطريق ؟ .

لماذا يقال للتجار الذين كسدت سوقهم أو للفلاحين الذين نقصت ثمارهم : لابد أن تتبعوا هذه الطريقة بعينها فى التجارة والزراعة مهما كانت النتائج ..؟

إن هذا التقديس الغريب لرأى واحد من الناس لا يقبل ؟

وهذه الرغبة المجنونة لقلة من «المفكرين» أن تفرض فكرها على العالم أجمع .. لا تعقل ؟؟

ولكن هكذا تريد الشيوعية أن تسير ،

إنها تسير على أنقاض حريات مهددة ، وحقوق مستباحة ، وأنين مكتوم للضمائر المقتولة والكرامات الضائعة !!

إن التماس أسانيد للشيوعية وامتدادها جهد لا طائل وراءه ، فإن الاسباب الكامنة وراء التعصب الشيوعى وقسوته نفسية لا فكرية ..

فالحرمان الأليم الذى يتعرض له البعض، وتفاوت الفرص الذى يرتفع بأقدار ويطيش بأخرى، هذا وذاك يخلقان ظروفا مادية ومعنوية، منحرفة مدمرة تجعل أصحابها ينطلقون وقد تملكهم شعور جارف بضرورة التغيير الشامل لأحوال العالم كلها ..

ومما يعين على ذلك تبلد الضمير الدينى، وسكوته على المناكر الاجتماعية، واشتغاله بنوع من الفقه يرضى الناس أكثر مما يرضى الله، ويصون العاجلة أكثر مما يصون الآخلة ..

لقد فكرت يوما فى التدين المسيحى الذى يسوده الغرب ، والتدين الاسلامى الذى يسود الشرق ، فوجدت نماذج التطبيق الشائعة تعمل ضد الدين لا معه .

فى الغرب توجد أبشع صور الاستعمار، والتفرقة العنصرية والمطامع البشرية .

وعندنا ؟ إن «الملك فاروقا» تولى الحكم بضع عشرة سنة، وكذلك «الملك سعودى» وقد خرج كلاهما من الحكم وهو يملك القناطير المقنطرة من المال [1] ...

---

(١) الشيخ محمد الغزالى ـ الإسلام فى وجه الزحف الأحمر .

والغريب أن أحدهما لما أخرج لم يوجه إليه اتهام بأخذ مال الله أو مال الناس، وانما أخرج لعلل أخرى !! كأن التخوض فى المال العام انطلاق فى كلأ مباح ...

إن هذه الصورة المخزية تورث كفرانا ومروقا ، ولعلها تشعل فى قلوب الشوعيين أحقاداً لا يخبو لها ضرام ..

ومع انكارنا نحن لهذه المآثم - باسم الله - ومع أن صوتنا كان أجهر وأسبق فى التحذير منها ومن عقابها، إلا أن هذه الأخطاء لا تسوغ الانحراف إلى الشيوعية ، ولا تعطى التفكير الشيوعى شيئا من الوجاهة .

بل لقد ظهر من التطبيق العملى للشيوعية أن «لصوص السلطة» أخطر على البشرية من «لصوص الثروة» ... وأنه فى ليل الاستبداد الطويل - حيث تسود الشيوعية - يفتك الحكم الفردى بالغالى والرخيص من حقوق الجماهير كما يذهب بأقدار العلماء وأصحاب الامتياز على الاجمال..

ثم أين تكافؤ الفرص يوم يكون الحكم حكرا على حفنة من الرجال الذين وصلوا بطريقة ما إلى رأس الهرم ؟

إن دسائس القصور القديمة تأخذ صورة أخرى فى هذا الطرق من الحكم، فلا عجب إذا انتقل رجل من منصب الوزارة إلى السجن أو من منصب الرياسة الى البيت دون تدخل الجماهير أو مشورتها ..

ومع أن الشعب آخر من يعلم بهذه التقلبات فهى تتم باسمه !!

لقد بذل العالم تضحيات جسيمة حتى ظفر بالحريات التى تحفظ حقوقه المادية والأدبية، بيد أنه - من غير عوض حقيقى - ترك هذه الحرات كلها، لعصابة من الرجال الذين زعموا لنفسهم العصمة أو القداسة أو

الولاية على الشعوب وهذا هو لباب النظام الشيوعى .

إن الإنفراد بالسلطة شئ خطير جدا، فإن نشوة السلطة أعتى من نشوة الخمر، وإذا كان المال الواسع يورث الطغيان فإن الاستبداد بالحكم يورث الجبروت والارهاب ..

وما أتعس أمة تلقى زمامها لفرد قد يتصرف فيه كيف يشاء، أو للجنة مغلقة تتداول الأمر بينها، وتستوحى فيه أولا وآخرا مذهبا اعتنقته أو رأيا تشبثت به .

من هنا فإن الحكم الفردى لا نفك ابدا عن المعتقلات المزحومة، والمحاكمات المزورة، والأوامر المبهمة، وسلسلة التعليمات التى تهبط من أعلى الى أدنى دون استبالة أو استشارة ...

فمن اعترض التنفيذ ، أو أبطأ فيه ، فالسجن منه قريب !!..

ومن شمت منه رائحة انتفاض على المذهب أو شك فى قادته الملهمين فالويل له !!..

بهذا النمط من القسوة والجبروت تسير الأمور هادئة دون معارضة أو نقد ، والمدهش أن فى روسيا دستور يتحدث عن الحريات الدينية .

والواقع أن الحرية الشخصية كالحرية الدينية أقوال مسطورة لا مكان لها فى مجتمع يقوم على فلسفة محدودة قوامها إنكار الله، وإشاعة كل شئ.

أى محاولة لجعل الألوهية حقيقة فى ميدان التربية والسلوك ، أو لجعل المال ملكا خاصا فى ميدان العمل والانتاج لا تلقى إلا إراقة الدم ، وازهاق الروح .

ذلك بالنسبة الى المبادئ .

ولكن القداسة سرعان ما تنتقل من البادئ إلى الاشخاص الذين يمثلونها ويحرسونها .

وهنا تحل عبادة «الزعيم» أو «الحرب» مكانا كبيرا فى نفوس الأتباع، فصاحب الخطوة هو الأكثر ملقا والأشد تفانيا. أما أصحاب الشخصيات المستقلة والأفكار المتحررة فمستقبلهم كالح، ومكانتهم مهددة ويغلب ان تقودهم هذه الخصائص إلى المنافع والسجون .

ويقول الأستاذ الشيخ «عمر الاسكندرى» تعليقا على نصوص دستور سنة ١٩٣٦ الذى يحكم روسيا الآن :

الحقيقة أن «ستالين» صرح من بادئ الأمر أن ستور سنة ١٩٣٦ وضع للمحافظة على دكتاتورية الطبقات العاملة وعلى مركز الحزب الشيوعى بصفته الموجه لسياسة الحكم» .

«بل أن الدستور نفسه نص على أن الحزب الشيوعى هو الأداة الموجهة للمنظمات بالعمال من اجتماعية وحكومية وعلى أن حق الترشيح للانتخابات مقصور على المنظمات العامة للعمال وجمعياتهم، والنقابات الصناعية والجمعيات التعاونية، ومنظمات الحزب الشيوعى، ومنظمات الشباب، والجمعيات الثقافية .

«فكان الدستور ضمن بذلك أن يكون كشف المرشحين للانتخابات من صنع الحزب الشيوعى ! والمنظمات الخاضعة لإشرافة.

فلا عجب بعد ذلك إذا رأينا أن القوانين تمر فى مجلس السوفيت بدون مناقشة وبالإجماع !!..

«فأين هذا كله من الديمقراطية ؟ وكيف يجوز لزعماء السوفيت أن يقولوا : إن هذا النظام هو أرقى درجات الديمقراطية ؟ !

«تقول الفلسفة الشيوعية : إن دكتاتورية العمال هى أرقى أشكال الديمقراطية فان الدولة بناء على هذه الديمقراطية هى ملك لطبقة العمال .

«وحيث أنه لا يوجد بالبلاد سوى طبقة واحدة فلا داعى لغر حزب واحد يمثل النابهين من أبناء هذه الطبقة ويكون واجبه توجيه وتعليم الجماهير ...

«وفى خلال دور الإنتقال الذى لم تتوافر فيه بعد أركان الشيوعية الكاملة للمجتمع، وحيث أن الصعاب تكتنف من كل البلاد من نقص فى الموارد إلى مناوأة من العناصر المعدية يجب أن يكون للدولة السيطرة التامة على جميع الشئون ولو اقتضى الأمر استعمال القوة .

«ومادام هذا هو الأساس فمآل جميع الحريات التى يكفلها الدستور حتما إلى التدهور والفناء» .

ثم يقول : «والمشكلة الكبرى فى النشر أو إبداء الرأى هى: إلى أى حد يجوز النقد ؟

«لقد كانت المدة من ١٩١٧ / ١٩٢٢ عهد تسامح كبير فى ذلك فكثرت مهاجمة نظام الحكم وخشى ألو الأمر سوء العاقبة فصاروا من ذلك الحين يشترطون لحرية النقد أن يكون غير متعارض مع السياسة السوفيتية صراحة أو بطريقة التعريض .

«وغالوا فى ذلك حين امتدت المراقبة إلى المؤلفات الأدبية والتاريخية والعلمية والفنية بل إلى الموسيقى والنحت والتصوير !!...

«وصار أصحاب هذه الفنون عرضة للاتهامات السياسية الخطيرة .

«وقد ضحى بالكثيرين منهم فى حركات التطهير التى أجريت عامى ١٩٣٦ / ١٩٣٧ .

«أما ما بقى من الانتقاد الحر فهو ما يعرف بالنقد الذاتى السوفيتى.

«وهو نقد تبيحه الحكومة تشجعه، بل ان حركته تدار من الحزب الشيوعى بغرض إذاعة المعلومات أو الدعاية ..

«ويتناول البحث فى جزئيات سير العمل دون التعرض للسياسة العامة.

«وإذا تعرض للمشروعات العامة كان الإعراض بشأنها مقصورا على المزمع منها قبل إقراره متى تم اقراره أقفل باب الاعتراض ...

«أما الحرية الشخصية وحماية الفرد من الاجراءات الغير القانونية فقد نص عليها الدستور السوفيتى نصا صحا وعدَّد الضمانات التى تكفلها. غير أن الباب مفتوح لتقييد كل ذلك فى التنفيذ العلمى بحجة أن سلامة الدولة أهم من سلامة الفرد .

«وهو المبدأ الذى جاهر به «لينين» منذ قيام الحكم الشيوعى إذ قال بصراحة : أيهما أفضل :

« الإلقاء فى السجن بعشرات أو مئات من المتهمين مذنبين كانوا أم غير مذنبين .. أم فقد آلاف من الجيش الأحمر والعمال ؟

ولا شك أن الاول هو أفضل الأمرين وأنى أرضى طيب خاطر أن أتهم بالخطيئة والاعتداء على الحرية فى سبيل مصلحة العمال» .

«وقد مضت السنون بعد ذلك، وقننت القوانين، ونظمت المحاكم على اختلاف درجاتها، وعينت جراءات التحقيق، بذلك لجهود لجعلها كفيلة بقدر الإمكان بحماية حرية الفرد ومنع العقوبة عن البرئ .

«غير أن ذلك لم يحل دون الأخذ بجوهر المبدأ الآنف الذكر .

«وفى قانون العقوبات السوفيتى متسع لما يريده رجال الدولة فى هذا الشأن .

«والمعروف فى أرجاء العالم الحر أن لا جريمة بدون نص فى القانون على ما يرتكب من الافعال لتكوين أركانها - بعكس الحال فى القانون السوفيتى فانه يكفى فيه لاعتبار ما جريمة أن يكون من شأنه أن يجر خطرا على الدولة أو نظام المجتمع، وإن لم يكن فى ذاته داخلا فى عداد الجرائم المنصوص عليها فى القانون .

«بل يكفى للقبض على الأشخاص واعتبارهم مصدر خطر اجتماعى أن يكون ممن سيق لهم بنشاط قديم قضى عليه وإن لم تكن هناك جريمة من هذا الجانب !!

«وقد كان للشيوعيين فى أول عهدهم بالحكم هيئة حكومية يقال لها «الشيكا» ذات سلطة هائلة تخولها اجراء التفتيش والقبض وفرض العقوبات بدون الرجوع إلى الهيئات القضائية .

«ومع أن هذه الهيئة قد أستبدل بها غيرها مرتين وأنقص من أطرافها سلطتها، فان آخر هيئة خلفتها - وهى من فروع وزارة الداخلية - ما زالت لها سلطة واسعة تؤهلها فى كثير من الحالات لاجراء التحقيقات وفرض العقوبات دون الرجوع إلى القضاء .

«ومن أشهر هذه العقوبات الحكم بالاشغال الاجبارية فى المعتقلات الخاصة بها لمدة خمس سنوات، والإبعاد إلى الانحاء النائية لمدد معينة، والنفى خارج الاتحاد السوفيتى» .

ولنا ملاحظات على مجالات الحرية الضيقة التى يوفرها الشيوعيون للأمة وللنظر أولا إلى ما يسمونه النقد الذاتى .

إنه حق يتصل بالوسائل لا بالأهداف. فاذا تقرر حفر ترعة فالنقد مباح لمنجزات العمل اليومى مثلا، أو لطريقة الحفر، أو لتوزيع الأعباء ..

وإذا تقرر بناء مصنع أو تشغيله، فالنقد مباح فى نطاق ما يتمم البناء بقوة، وعلى عجل، وما يدير الآلات بدقة ويكف وفرة الانتاج .. أى أن النقد مباح فى الخطة التنفيذية فقط .

أما السؤال : ما قيمة شق الترعة وجدواها - ما قيمة انشاء المصنع وأرباحه فذك لا يجوز لأنه يتصل بسياسة الحكومة وهى فوق النقد .

وقد كان «فكتور كرافتشنكو»[1] شيوعيا مخلصا للحزب ومتحمسا لبناء روسيا الجديدة ، اشتغل حينا هذا النقد الذاتى .

ولكنه ضرب وأهين وركل بالاقدام لأنه توسع فى هذا النقد وأباح لفكرة أن يتساءل عن المقاصد والغايات .

ثم إن هذه الخطط التنفيذية التى أبيح نقدها نظريا كثيرا ما تكون من وضع الزعيم أو رجاله المقربين. وهنا تنعقد الألسن عن النقد، لأن ذلك يعرض الايمان للقيل والقال، ويجعل ولاء المرء للحزب موضع ريبة ..!!

---

(١) مؤلف كتاب : «أثر الحرية » السابق ذكره .

وحيث يسود الحكم الفردى يرتفع المداحو والمتملقون ، يتأخر من لا يحسنون الزلفى ويخاصم من يضيقون بالأخطاء ..

لقد ألفت عشرات الكتب فى عظمة «ستالين» وعبقريته فلما انتهى تبين أن هؤلاء المؤلفين كذبة .

وفى الوقت الذى كان المدح يكال «لستالين» كان أنداده من رؤساء انجلترا وأمريكا يحاسبون على تصرفاتهم ببصر نافذ واحصاء شامل .

حتى أن الانكليز أخرجو «تشرشل» قائدهم المظفر فى الحرب، أخرجوه من الحكم وولوا من رأوه أكفأ ..!!

فما قيمة هذا النقد الذاتى الذى أباحه الشيوعيون ، وكم يساوى بالنسبة للحرية العظيمة التى توفرت فى أقطار الغرب .

إن الحرية لا تتجزأ ولا يجوز أن توضع حدود أمام حرية النقد .

لقد أعطى «هتلر» نفسه حق العمل الذى لا يعترض فماذا كانت العاقبة. ؟

هل حق النقد الذاتى لخطط التنفيذ أغنى شيئا عن العوج الأصلى ؟ كلا ...

وإنتحر المغرور بعد ما جر شعبه للكارثة، وبعد ما فقدت ألمانيا ملايين الشباب من زهرة بنيها ..

إن الشعوب لا تستغنى عن حرية النقد الشامل مادام النقد عتمد على وجهة نظر ممكنة القبول، ومادام مبرأ من الإعراض الشيئة . ويعتذر الشيوعيون بأن مصلحة الدولة وحماة العمال الفلاحين هما السبب فى فرض هذا اكبت .

وتقول العذر الصحيح المقبول لهذا الكبت هو حماية الشيوعية نفسها وحماية القلة المتمسكة بها ..

فما من شك فى أن الحريات المطلقة تقتلع هذا النظام من جذوره كما شرحنا آنفا .

أما التمسح بالعمال والفلاحين فهذا لغو من الكلام . فان العمال والفلاحين هم الضحايا الأول للنظام الشيوعى ، ولو ملكوا أمرهم لا طاحوا به إلى الأبد .

الاحوال الاقتصادية
فى ظل الشيوعية (١)

أهم مايسترعى الانتباه فى حديث الشيوعيين غضبهم الشديد للمظالم التى نزلت بالطبقات الكادحة من فلاحين وعمال. ووعودهم المعسولة بأنهم عندما يحكمون سيصنعون العجب لتنعم هذه الطبقات رتكريمها .

وحكم الشيوعيون فى روسيا والصين وبلاد أخرى فما الذى حدث ؟

ما سألت قادما من هذه الدول الحمراء ولا قرأت كتابا محايدا إلا تبين لى أن العمال والفلاحين شر الناس عيشا وأسوؤهم حالا .. وأنهم يحيون دون أندادهم فى البلاد الاخرى .

ومن المؤكد أن اشير عن قسمان :

١ ـ أعضاء الحزب وقادته والمتعاونون معهم من الموظفين والعلماء وأهل الفن وغيرهم وهؤلاء ينعمون بدخول مرتفعة وتتاح لهم فرص واسعة

(١) الإسلام فى مواجهة الزحف الأحمر ـ الشي محمد الغزالى .

من المتع والرفاهية .

٢ - جماهير الفلاحين فى المزارع الجماعة، والعمال فى المصانع المؤممة، وهؤلاء يبذلون أضعاف ما يكسبون ولا يرون فى مساكنهم الا الضيق أو فى مطامعهم إلا التفاهة ، أو فى ملابسهم إلا الخشونة !!

وأحوالهم على الاجمال يتقسمان الاجهاد والاكتئاب .

وقرأت أن آبائهم أيام القياصرة كانوا أسعد حظوظا وأرغد عيشة .

وقائل هذا الكلام والد «فكتور كرافتشنكو» الذى قاتل القيصرية وحبس فى سجونها طويلا لنقمته على عهدها .

فلما هلك «القيصر الأبيض» وخلفه «القيصر الأحمر» كان الرجل الثائر يدير عينيه فى ذل الفلاحين والعمال، ثم يطوى نفسه على الانكار والحزن ولو كان عربيا لتمثل بقول الشاعر :

وسألت طلابا وأساتذة زاروا دولا شيوعية كثيرة فاتفقت اجاباتهم على أن الضنك هو الطابع السائد على الجماهير. وقالوا: لو أن أشد المتحمسين للشيوعية عندنا خبر دخائل الناس هناك ، واقترب من شئونهم الماسة لكفر هذا المذهب إلى الأبد ..!!

لقد حكمت الشيوعية روسيا نصف قرن الآن، ولى خلاله جيل، وترعرع جيل، وتاح لها من الوقت والمال ما تبنى به العالم الذى تريد ... فهل تقدر على إجراء انتخابات حرة ؟ يقول الناس فيها كلمتهم ضد هذا النظام أو معه ؟

كلا .. لا تزال الحكومة تفرض نفسها بالقوانين القاسية والأوامر العسكرية وهى توقن بزوالها من الوجود لم تم الاحتكام إلى مشيئة العمال

والفلاحين ...

فهل معنى هذا أن العمال والفلاحين سعداء ؟

ومما لايستحى من ذكره أن الأسر الروسية التى تجئ للعمل فى مصر تشعر بسرور كبير. وتقف المرأة أمام بائع البقول والخضر والفاكهة وهى دهشة !

أهذا كله معروض للبيع دون حرج ؟

أتستطيع أن تشترى منه ما تشاء دون قيد ؟

فلا غرور اذا سمن النحيف وطعم المحروم .

وكثير ما سمعت التنويه بخيرات مصر ورخائها الذى يحلم به جمهور الشيوعيين فى بلادهم ذات الطول والعرض .

مع أن مصر الآن تجتاز مرحلة تقشف بسبب تنمية الصناعة وتقوية الجيش .

ومع أن مصر بلاد فقيرة بالنسبة الى بلاد أخرى ثرية المورود .

والاخبار تتواتر لدينا عن الفروق الشاسعة بن شطرى ألمانيا الشيوعى والرأسمالى ، فألمانيا الشرقية يغمرها البؤس والتطلع . أما ألمانيا الغربية فهى متخمة الثراء والنعيم ...

والألمان هنا وهناك إخوة لا يختلفون فى المواهب الفكرية والخصائص النفسية . لكن طبيعة الفكر الشيوعى وخطته فى الانتاج علة هذا التفاوت .

لعل من أعظم الامثلة لقيمة لاقتصاد الشيوعى وغير الشيوعى حالة روسيا وألمانيا قبل الحرب العالمية الثانية .

فإن الروس الذين يبلغون نحو مائتى مليون، والذين يسكنون ويستغلون سدس الارض مشوا تحت لواء الشيوعية من سنة ١٩١٧ إلى سنة ١٩٤٠ وملأوا الدنيا أحاديث عن مشروعات السنوات الخمس التى جعلتهم عمالقة فى السلم والحرب .

فلما وقع الغزو الألمانى لروسيا تكشف ذلك كله عن فراغ رهيب .. وماذا كانت ألمانيا ؟ لقد خرجت من الحرب الأولى مجردة من سلاحها ومصانعها ومناجمها .

وفى سنة ١٩٣٣ تولى هتلر شئونها ، وخلال ست سنوات أو سبع كانت ألمانيا أقوى دولة فى القارة !!..

والألمان ربع الروس عددا ، وأرضهم أضيق رقعة ، وعمر نهضتهم أقل إلى حد الثلث من عمر النهضة الحمراء !

ومع ذلك كله فقد انطلق الغزاة الألمان فى أحشاء روسيا لا يقف لهم شئ .

ولولا مسارعة أمريكا وسائر أوروبا إلى إنقاذ الروس لبادوا .

إن العون الرأسمالى الذى تدفق سيلا لا انقطاع له هو الذى رد الحياة إلى الروس ، ومكنهم من استنقاذ أنفسهم وبلادهم .

أما ما فعله النظام الشيوعى فكان مجموع أكاذيب فضحها الواقع .

ولنقرأ هذا الكلام فى تصوير مقابح الادارة الشيوعية للاقتصاد الروسى(١) : « خرجت الحكومة السوفيتية من انتصارها فى الحرب الأهلية وهى متحكمة فى منطقة مترامية تبلغ مساحتها سدس العالم ، غنية

١) كتاب «طرق إلى فم الاتحاد السوفيتى» «لوليم س. بوليت» .

بالمعادن، وتضم بلادا تجود فيها الزراعة ويسكنها : « ١٦٩ » شعبا وقبيلة من أهل البأس والقوة ، ولكن الحرب العالمية الأولى ، والثورة الشيوعية ، والحرب الأهلية أوقعت الاضطراب والانحلال بالنظام الاقتصادى كله فى هذه الامبراطورية المترامية الأطراف، ووقع على عاتق «لينين» عبئ جسيم هو إعادة تعمير بلاده،

إذ هبط الانتاج الصناعى فى ١٩٢٠ إلى ثمن ما كان عليه فى ١٩١٣، كما قل محصول الحبوب من ٧٤ مليون طن فى ١٩١٦ إلى ٣٠ مليونا فى ١٩١٩ فاضطر لينين أن يبتدع سياسة اقتصادية جديدة تبين فيها التراجع عن السياسة التى طبقت فى ١٩١٧ ،

إذ كانت الحكومة السوفيتية تستولى من الفلاحين على محاصيل الحبوب وتتراكم لهم منها مقادير ضئيلة لطعامهم، فامتنع الفلاحون عن انتاج ما يزيد عن حاجتهم،

وأراد «لينين» تشجيع الفلاحين، فأمر أن يباح لهم بيع ما يبقى لديهم من المحاصيل فى السوق الداخلية، بعد أن تستولى الحكومة على حصتها .

واحتفظت الحكومة السوفيتية بحق احتكار التجارة الخارجية، وأنشأت نظام لتجميع المصانع فى وحدات تخضع لاشرافها، كما أبقت فى يدها حق الاشراف على المصانع ذات الانتاج الضخم، أذنت للأفراد بتملك بعض المصانع الصغيرة وادارتها ، ومنحت امتيازات لرؤوس الأموال الاجنبية.

«ولكن هذه التدابير لم تكن إلا وسائل مؤقتة لزيادة الانتاج، وحسبها كثير من الأجانب دليلا على عودة روسيا إلى النظام الرأسمالى، فى حين أنها عند لينين وغيره من الزعماء، ضرب من التحول الحكيم عن تدبير يمكنهم أن يعودوا إليه فيما بعد، وقد بلغ من نجاح السياسة الاقتصادية

الجديدة أن توالى ازدياد الانتاج الصناعى والزراعى فبلغ فى ١٩٢٧ مستوى ١٩١٣ فى عهد القيصر .

فقرر ستالين أن قد آن أوان شن هجوم على الجبهة الداخلية لفرض نظام المزارع المشتركة وبسط اشراف الحكومة على الانتاج الصناعى وتقدمة فى الاتحاد السوفيتى ، طبقا لبرنامجة السنوات الخمس .

«وليس يتأتى لأحد إلا لديكتاتور لديه بوليس سرى وفرق للإعدام، أن يفرض على شعب، مهما بلغ صبره، احتمال الآلام التى جرتها هذه السياسة، والحكومات الديموقراطية واجبها أن تكفل للناخبين مستوى معيشة كريمة وإلا هزمت فى الانتخابات، أما الديكتاتورية فتستطيع أن تنزل الشعب إلى مستوى منخفض وتنتفع كما تشاء بانتاجه، ولا تترك له منه أقل قدر يعينه على الحياة .

واختار «ستالين» أن تحول الانتاج من البضائع المستهلكة، وهى مطلب للفلاحين، إلى الصناعات اللازمة للحرب، فانخفض إنتاج البضائع المستهلكة إلى الحد الأدنى، ووظفت أموال وافرة فى انشاء مصانع الحديد والصلب والأسلحة والذخائر. برامج السنوات الخمس التى وضعها «ستالين» هى التى أوحت إلى «جورنخ» بقوله فيما بعد : «نريد مدافع بدلا من الزبد» .

«وتتابعث برامج السنوات الخمس، وانقلب الاتحاد السوفيتى من ولة سوداء سكنها المزارعين إلى دولة لا يشتغل بالزراعة فيها إلا نصف سكانها، وأفضى نظام المزارع المشتركة إلى اختفاء ملايين من المزارع الضغيرة التى كانت مظاهر الحياة الروسية، وجمعت تلك المزارع وصارت وحدات كبيرة .

«وقد رضى بعض الفلاحين ممن اشتد بهم الفقر عن هذا النظام، أما من حسن حاله منهم فقد كرهه وعارضه، وكان أغلب أفراد الفئة الأخيرة جنودا فى الجيش الأحمر أثناء الحرب الأهلية، فلم ينفعهم سابق ولائهم، وأطلق عليم، تحقيرا اسم «الكولاك»، وصودرت مزارعهم وكل ما يملكونه، فإذا بدر منهم اعتراض ـ وهذا ما فعلته الملايين منهم ـ قتلوا رميا بالرصاص أو أرسلوا للسخرة فى سيبيريا .

«وكانت أول نتيجة لهذا الهجوم على الجبهة الداخية، أن تفشت المجاعة، وهبط الخيول من ٤٣ مليونا فى ١٩٢٩ إلى ١٦ مليونا فى ١٩٣٣ والبقر من ٦٨ مليونا إلى ٣٨ مليونا، والغنم والماعز من ١٤٧ مليونا إلى ٥٠ مليونا والخنازر من ٢٠ مليونا إلى ١٢ مليونا واستولت الحكومة فى شتاء سنة ١٩٣٢ ـ ١٩٣٣ من أوكرانيا وكوبان،

رغم احتجاج الفلاحين، على مقدار من الحبوب بلغ من وفرته أن مات من أهل الاقليمين عدد يترواح بين ثلاثة ملايين وخمسة ملايين، من جراء المجاعة التى أحكمت الحكومة تنظيمها، ولكن ستالين استطاع بهذا الثمن الفادح أن يفرد نظام الملكيات الزراعية المشتركة. ولم يبق فى روسيا منذ ١٩٣٩ فلاح نعم باستقلاله الخاص .

«وهكذا اختفت من روسيا كافة آثار السياسة الاقتصادية التى وضعها لينين ، وقال ستالين فى ١٩٣٩ : «لقد هلك المستغلون ولم يبق أحد ممن ينبغى القضاء عليهم» ومع ذلك ظلت الحكومة محتفظة للبوليس السرى السياسى بمستوى رفيع من القوة والعدة والعدد، ولم تبلغه هيئة الأوبر بكينا فى أيام إيفان المخيف، والتى عرفت باسم «التشيكا» فى عهد لنين. ثم باسم «الأوجينو» وهى تسمى اليوم نيكيفيدا» .

لقد غيرت اسماؤها ولكن طبيعتها لم تتغير. فعليها اليوم أن تتشمم خصوم الديكتاتورية تستأصلهم وبغير رحمة، فأذنها تسترق السمع فى كل مكان، ويعيش كل روسى فى رهبة من الساعة التى يُسمع فيها يدها تدق بابه ليلا. ويأتمر بأمرها جيش يبلغ ربع مليون، وأفراده أحسن أجرا ومسكنا وطعاما من جنود الجيش الأحمر، وله مدافُعة وطائراته وسجونه وأقبيته لتفيذ الإعدام، وفى ١٩٣٧ بلغت ميزانيته ٣ بلايينَ روبل، ولا نعلم اليوم أين بلغت هذه الميزانية، ولكن الأنباء تدل على أن جيش النكفيدا قد أصبح تعداده ٦٠٠ ألف» .

ولعل قائلا يقول : لو كان الروس يكرهون الشيوعية كما تزعم ما استماتوا فى رد العدوان عن بلادهم النحو المعجب الكريم !!

والجواب : أن سياسة «هتلر» هى التى خلقت هذا الموقف .

كانت سياسته الذبح والدمار، والابادة الشاملة. فلم يكن أمام الروس إلا أن يتكاتفوا ضد هذا الفناء المغير ..!!

ولو كان الرجل يؤمن بكرامة البشر، وتحرير العبيد، وحق الشعوب الأخرى أن تشارك الحرية والمساواة ورغد العيش، لكان الروس الآن شيئا آخر .

إن النظام الشيوعى يضعف الانتاج بقدر مايحرج المنتجين .

إنه يوهى العمل والعمال جميعا لأنه يقتل مبدأ الملكية ، ويشل غرائز الكفاح التى غرسها الله فى دماء الناس .

والدين فى فجر الخليقة أباح التملك، وصانه، وشد به زناد النشاط الانسانى إلى أبعد مدى .

لكن الشيوعية تصادر حرية التدين والتملك معا، يقول الاستاذ الشيخ «محمد عرفه» : «مقاصد الشيوعية العليا هى إلغاء الملكية الفردية، وجعل المرافق العامة كالأرض والمناجم والمصانع ملكا للدولة تستغلها وتوزعها ..

«تستغلها بالشعب، وتوزعها عليه، فيبذل كل من العمل حسب قدرته ويأخذ كل من الغلة حسب حاجته .

«وذلك يستتبع اضعاف المنافسة فى الصناعة وأبواب العمل الأخرى.

«وإنما عمدوا إلى ذلك كله لأنهم رأوا تفاوت الرزاق واختلاف الخطوط، فهذا يملك الكثير وهذا يملك القليل او لا يملك شيئا .

«فقدروا نظاما تلغى فيه الملكية الفردية، وتوسلوا الى ذلك بالواسائل التى ذكرنا .

«والإسلام يبغض نظام الطبقات المتفاوتة الشديدة التفاوت، ويرفض أن تنقسم إلى قسمين : «الثراء والجاه والقوة والترف فى جانب، والفقر والضعف والحرمان فى جانب آخر .

«ولكنه لم يشأ أن يحارب ذلك بمنع الملكية الفردية ، وإهدار المصلحة الشخصية، لأنه إذا فعل ذلك فقد ألغى الأمل وألغى بالغائه الباعث على العمل .

«وقد أوجد الله هذه النزاعات فى الشخص لينتج وينافس ويسبق .

«ثم هو لا ينال بعد طول الجهد إلا ما ينال الانسان الجزئى المحدود القدرة والرغبات والشهوات .

«وفائض انتاجه يكون للمجتمع بحكم الوجود، فليس يأكل أكبر رجال المال فى سبعة بطون بل فى بطن واحد كسائر الناس .

وما يبذله من اختراع وابتكار وجهد مضن ليست ثمراته كلها ، بل له منها القليل والباقى لأمته وللانسانية ..!!

«إن مثل الشيوعية فى تحريمَ الملكية الشخصية لما تنتجه من بعض الضرر، كمثل من رأى العين قد تنظر إلى ما لا يحل فتجلب لصاحبها الهوى فكرة قوة الأبصار فطلب إعدامها وحرمان الناس رياها !

«يظن الأبله أنه العمى خيرا لأن المبصر قد ينصر إلى ما لا يجوز..!!

«أما الاسلام فيرى أن فى هذه القوى والملكات خيرا كثيرا فاذا تنج عنها ضرر عولج مع مراعاة الإبقاء عليها والإفادة منها ..

«ثم إن الشيوعية نظرت إلى المسألة الاقتصادية فقط وأخذت تعالجها، غافلة عن كل شئ غيرها ، كأن الوجود لا يعدو هذا الجسد ..

«ومن المعلوم أن الانسان ليس حيوانا فحسب، بل هو حيوان عاقل له مطالبه الروحية، ونزعاته العقلية، وله أشواق مشروعة فى المحافظة على نوعه والعناية بولده ... فعقله يحتاج إلى الحرية لينتج ويبتكر، والمصلحة الشخصية تدفع إلى منافسة ومضاعفة الانتاج وتقدم النوع البشرى ..!!

«ومثل من يعالج جزءا من البدن غافلا عن بقية الأجزاء كطبيب يعالج جزءا مريضا فيفرط فيما يفيده، غافلا عن أن ذلك يضر ببقية أجزاء الجسم.

«أما الاسلام فقد عالج المسألة الاقتصادية دون أن يفرط فيما عداها من المشاكل ..

«ونظر إلى حال الانسان ومستقبله، وإلى طبيعة الوجود التى تقتضى الترقى فى سباق مفتوح، لا تزحمه العوائق المفتعلة ...

«أطلقوا هذه الملكات، والنوازع، والبواعث من مكامنها، ودعوها تفعل فعلها، ففى ذلك تقدم البشر وسير مواكب العالم نحو الرقى كما هو سير التاريخ .

«وحذرا أن تلغوها أو تبطلوها فتبطلوا الحكمة من وجودها، فقد جعلها الله وسيلة للكمال وجعل فيها حظ صاحبها لئلا يفتر .

«كما جعل فى الاقتران بين الرجل والمرأة وسيلة لبقاء النوع وجعل فيه حظ الزوجين لئلا يعرضا أو يفترا ، فتفوت مصلحة بقاء النوع الانسانى.

«لقد أجاز الاسلام التملك الفردى، وشرع الميراث نتيجة له، وحافظ على الأملاك حتى جعل على السارق إذا تعدى وسرق مال غيره عقوبة قطع اليد[1] ، وقال النبى ﷺ « من قتل دون ماله فهو شهيد » .

«أما تولى الدولة الانتاج والتوزيع فقد جربناه فى تاريخنا الماضى أيام محمد على باشا الكبير حين احتكر الزراعة ونزع الأرض ممن كانت تحت أيديهم، كان يعطى الفلاحين البذور والماشية ليزرعوها لقاء أجر يأخذونه من غلتها، فأى ذلك إلى أن الزراع كانوا يهربوا من الأرض، وقل الانتاج، وكثرت نفقاته، ولم يحمد هذا الاحتكار فى الزراعة والتجارة ، وعاد الأمر إلى الملكية الفردية تدريجيا فى أيامه وأيام الولاة من بعده .

«وقد رأينا الأملاك الأميرية قديما والدولة تتولى انتاجها، ولعلنا نكون قد رأيناها تنتج أقل ثمرة بأكثر نفقة ، ولعلنا سمعنا أخبار تعسف القائمين عليها واستبدادهم بالأجراء والفلاحين، ولعله لم تغب عنا أخبار الحرب العالمية الثانية حين تولت الدولة توزيع الطعام والكساء فرأينا الاتجار فيها

(١) اشارة إلى آية المائدة (٣٨) : «والسارق والسارقة أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم» .

كيف يكون !

«ورأينا من التجار من يأخذ آلاف القناطير من السكر ليعمل بها الحلوى فيبيعها بثمن غال فى السوق السوداء لمن هم فى حاجة شديدة اليها، ورأينا من يملك عشرات البطاقات لشراء الصوف فيتجر فيها ومن لا يملك بطاقة واحدة.

ورأينا من يأخذ ستين مقطعا من الاقمشة الشعبية وبجانبه من لا يستطيع الحصول على الامتار .

ولقد كنا نوازن بين أن تترك العوامل الاقتصادية تسير سيرها وتفعل فعلها، وبين أن تقيد وتعطى الدولة هذه السلطات الكثيرة فنرى الأولى خيرا ورحمة، والثانية شرا ونقمة .

«فهل نريد أن يحكم أفراد منا فى طعامنا وشرابنا وكسائنا وسكنانا؟

«إننا نريد أن ينحصر سلطان الدولة الى أضيق الحدود ولا نريد أن نعطيها هذا السلطان المطلق، وهذا التدخل فى كل شئ، فقد جربناه فلم نحمده .

«إننا إذا قلنا ذلك قالوا الأخلاق ! وجب أن يكون عمال الدولة من ذوى الأخلاق الفاضلة .

«ونقول : ولماذا نكون طلقاء فتلجؤنا إلى أن نقيد ؟ فاذا أشفقنا من القيد وثقله ، قلتم إننا سنعمل على أن يكون قيدا من ذهب .

«على أننا سنجاريكم، ونأخذ بالحيطة، ونرى أنه ينبغى أن نقدم أولا تهذيب القائمين بالأمر، وتكون هذه هى المرتبة الأولى. ثم ننظر ثانيا فى تسليط الدولة على كل المرافق .

«أذلك يجدى ؟ كلا !...

«فإن طبيعة العمل المشترك تدعو إلى التساند والتواكل، وطبيعة اتساع نطاق سلطة الحكمة على الأفراد تدعو إلى التعدى والظلم .

«إننا نحسب أن الدين يغريهم برق الشيوعية الخلب، يفرض كل واحد منهم أنه سينال حاجته بأقل سعى ممكن، ويفرض أنه يهرب من الحمل ويحمله الآخرون .

فيكون مثل أهل البلد أرادوا أن يقدموا لحاكمهم الحديد هدية برميلا من زيت، وجعلوا على كل واحد منهم قدحا منه، فخطر لعمدة البلد أن يقدم قدحا من ماء، وهو لن يعرف فى وسط هذه الأقداح الكثيرة من الزيت فنفذ فكرته .. أى ولما قدم الهدية إلى الحاكم وفتحها. وجدها برميلا من الماء. لا نقطة فيه من الزيت إذ هذه الفكرة لم تدر بخلد العمدة وحده، بل دارت بخلد الجميع .

«ونحن إذا أرخنا الحضارة الحديثة، وبحثنا عن أصولها وأسباب ازدهارها، وجدنا سر هذا الرقى الانسانى الجهد الذاتى الذى يدعوا إلى الأمل. والحرية فى الاختيار، ورفع سلطة الحكومة عن الأفراد إلا فى حدود ضيقة ...

«لماذا تترك هذا النظام إلى نظام آخر تختفى فيه المنافسة، والجهد الذاتى، والحرية الشخصية، تتدخل فيه الحكومة فى كل شئ .

«فليت شعرى أتترك ما تحقق نفعه إلى ما لم يعلم نفعه ؟!

«أتترك هذا النظام الذى من آثاره ذلكم التقدم لانسانى الرائع فى الزراعة، والصناعة، والتجارة، والعلوم، والمعارف، والذى بدل الأرض غير

الأرض، إلى نظام أقل ما فيه أنه مجهولة نتائجة، بل إذا اهتدينا فيه بهدى العلم علمنا أنه يميت فى المرء الهمة الذاتية، والجهد المستمر، وتلك آثار داعية إلى التقهقر والانحطاط .

«ما من شئ يضطرنا إلى اعتناق الشيوعية، لأنه ما من شئ يضطرنا إلى المجازفة بمستقبل الانسانية .

«وما من شئ يضطرنا إلى الرجوع بالانسانية إلى عهود التأخر والانحطاط .

«نعم لا شئ إلا ما يسمونه رفع الحيف عن العمال والزراع ومحاربة نظام الطبقات .

«وهذا يمكن علاجه حيثما وجد بوسائل تبقى المنافسة، والجهد الذاتى والحرية الشخصية، وتزيل عن الفقراء كل الأضرار التى يشكون منها كما فعل ذاك فى الإسلام» .

ونحن نحس أن الحوافز الشخصية قوة تيسر الصعب، وتورث الجرأة، وتحتال على إذاحة العوائق وتصبر على بعد الغاية والتواء والمراحل.

إنه لولا عرام الغريزة الجنسية، وعظيم الطاقة الكامنة فيها لا نقرض الجنس البشرى، فان هذا الجنس لا يمكن لو كان مرتبطا بالمشاعر الفاترة أو الأفكار العقلية، أو المكافآت التشجيعية .

ونماء الحياة وارتقاؤها يرتبطان وثيقا بغرائز حب النفس والولد ورغبة التفوق والتملك ، وهى طبائع بناءة بعد ضبطها وتهذيبها ... وشرائع الله لعباده لم تمحق هذه الطبائع ولم تدع إلى إماتتها، وإنما راقبت مسيرها، وحددتوجهتها، وتدخلت بالمحو والاثبات فى مقاصدها وأهدافها.

وكان المفروض أن تموت الشيوعية فى مهدها بعد ما صادرت مبدأ الملكية الخاصة فى أعقاب مصادرتها للدين نفسه .

ولكن الأسلوب الذى فرضت به الشيوعية . وفر لها الحياة والتقدم من ناحية أخرى .

فمبدأ «من لا يعمل لا يأكل» جعل العمل إلزاما على كل مخلوق ذكرا كان أم أنثى ... ثم إن المرء قد يدفعه الخوف المزعج كما يدفعه الشوق المقلق .

وقد استطاع الشيوعيون إقامة نظام الرهبة شديد الصرامة، يجعل الناس ليلا ونهارا فى شغل شاغل ونصب دائم .

وربما أعطيت المجتمعات الرأسمالية رذائل الفراغ والعطل، وضياع الأوقات والطاقات سدى .

أما هؤلاء الشيوعيون فبلادهم خلايا ذائبة الحركة موصولة الطنين .

قد أصبحوا فيها آلات حيوانية، أو حيوانات آلية .. ومثل هذا النشاط يغطى عيوب النظام ، ولو إلى حين .!

لكن هل اختفى تفاوت الطبقات ؟ أو بعبارة أخرى هل جمهور الامة سعيد بعد ما زالت الثروات الكبيرة وأصحابها ؟

والجواب : كلا كلا . فدائرة البؤس فى ظل الاقطاعيين بقيت كما هى أو انداحت أطرافها ...!!!

فمدير المزرعة أو المصنع حل محل مالك الأرض، أو صاحب الشركة، والعصا التى كان يساق بها العامل أو الفلاح تغير اسمها فقط، أو تغيرت الذراع التى تبطش بها .

ترى هل ذلك من يغير وقعها ولذعها ؟

ولقد كان من الأقدار الحسنة أن يقع فى يدى وأنا أخط هذه السطور كتاب يتضمن رأى الكاتب الفرنسى « أندريه جيد » فى الشيوعية .

وقد كان هذا الكاتب أول أمره شديد الحماس للشيوعية قوى الأمل فى مستقبلها. فاستدعاه الروس ليطلعوه على أحوال بلادهم ومظاهر النهضة فيها ليزداد إيمانا بها .

وذهب الرجل إلى روسيا وشاهد ما ظهر وما خفى من أحوالها، ثم فقفل كافرا بالشيوعية ، ومنددا بسياستها الاجتماعية ..!!

وهذا الكاتب لا يهتم بقضايا الإيمان، ولا يعنيه أن ينتصر الدين أو ينكسر، إنما يعنيه أمر الانسانية فى حاضرها ومستقبلها على هذا التراب فقط، ويغلب على ظنى أنه وجودى ..

وما أبهت لكلامه إلا لأنه روى بأمانة ما رأى، وأحس العيوب الجسام التى يحاول الشيوعيون سترها ، ثم تحدث عنها وجل، أو دون تأثر بإكرام الروس لشخصية !!

وقد طعن الشيوعيون فى نقده نسبوه إلى الهوى، بيد أنه ينفى ذلك قبول : «أعتقد انه من الخير للقضية التى يمثلها الاتحاد السوفيتى أن أتحدث عنه بغير تكلف ولا ادعاء، ولا غمط ولا اعتداء ...

«وليس فى نفسى شخصا ما أشكو منه خلال رحلتى فى بلاده، رغم كل تلك التعليلات الناقمة الساخطة التى انتحلت فيما بعد لتنفيذ ما قلته ، وتسفيه ما نشرته، ورغم قولهم إن انتقادى إنما جاء نتيجة استياء شخصى وتذمر خاص ..

وهو قول جد سخيف، وأبعد ما يكون من الواقع، فلم أتنقل يوما فى حياتى بذلك الترف الذى أحاط بى فى روسيا، ولا كنت يوما أوفر متعة ، وأكثر تكريما .

«ففى كل مكان وجدت أفخم السيارات لمركبى، وإذا سافرت فى القطار خصصت مركبة لمنزلى، وأفردت لى الفنادق أبدع الحجرات، وقدمت لى أطيب المآكل والوجبات .

«ولم يكن - على طول المدى - يقدم لى إلا ما هو أبدع وأفخم وأطيب.

«ولله أى استقبال كنت فى كل موضع أجده ؟ وأية حفاوة تلك التى لقيتها أينما نزلت ؟ لقد كنت أبدا موضع التكريم والترحاب، وكان القوم يرون كل هذا قليلا فى حقى، ويسيرا لمثلى .

«حتى لقد عدت وأنا حافل الذاكرة بآيات الحفاوة التى شهدتها والخطوات التى ظفرت بها .

«ولكنها مع ذلك ظلت تذكرنى أبدا بالامتيازات والفوارق التى كنت أرجو أن أرى «المساواة» فى مكانها، والمعدلة قد حلت فى روسيا محلها..!

«وحين هربت من كبار الموظفين، ومضيت اختلط بالعمال تبين لى أن أكثرهم يعيشون فى أبشع صنوف الفاقة، فى الوقت الذى كنت أجلس فيه إلى مأدبة فاخرة كل ليلة، وأرى الخوان حافلا بالأطايب، ومختلف المشهيات.

«حتى لتكفى هذه المشهيات لاشباع النفس قبل أن يبدأ الطعام ذاته !

«وهو عشاء من ستة ألوان منوعة ، يستغرق المرء فى الجلوس اليها عدة ساعات ، ولم أترك مرة واحدة حرا أدفع قائمة الحساب .

«وليس فى إمكانى أن أقدر نفقات هذه المآدبة، ولكن صديقا لى أوتى علم الاسعار فى روسيا أنبأنى أن الشخص الواحد فى هذه الولائم يكلف مائتى روبل أو ثلثمائة، بينما كان العامل الواحد من العمال الذين لقيتهم لا يتقاضى من الأجور أكثر من روبلات فى اليوم، وهو القانع بالخبز الأسود والسمك المجفف.

«وكان اعجابى موجها بنوع خاص فى روسيا إلى الانبعاث غير المألوف نحو التعليم والثقافة، ولكن المحزن أن التعلم الذى يتلقاه الشعب لا يتعدى تلقينه الزهو والتفاخر بالحاضر، والإيمان المطلق بالاتحاد السوفيتى وأن الثقافة إنما ترمى إلى هدف واحد تمجيد هذا الاتحاد والتسبيح بحمده.

«فهى ليست ثقافة نزيهة مجردة من الهوى، ولا هى تثقيف للعقول وتربية لملكة الحكم على الأشياء.

«إن النقد لا وجود له مطلقا فى تلك البلاد ..

«ولست أجهل أنهم يجعلون من انتقاد أنفسهم استعراضا، ويتظاهرون به تظاهرا، حتى لقد اعتقدت فى بداية الأمر ورجوت أن يؤدى هذا النزوع إلى نتائج طيبة إذا هو طبق التطبيق الصادق الصحيح .

«ولكنى لم ألبث أن أدركت أن النقد فى روسيا لا يتعدى البحث فيما إذا كان هذا الأمر أو ذاك متفقا مع سياسة الحزب أو غير متفق لا أكثر ولا أقل .

«أن هذه السياسة لا سبيل إلى مناقشتها أو انتقادها .

«غاية من هنالك البحث عن مدى اتفاق أية فكرة أو رأى أو تصرف

مع تلك السياسة المقدسة، أو مبلغ اختلافها معها .

«وهى حل ذهنية ليس ثمة أخطر منها على الثقافة الصحيحة، ولا أشد أذى لها .

«فلا غرو إذا ظل أفراد الشعب فى جهل تام بكل ما يدور خارج بلادهم، بل أدهى من ذلك وأمر أن يقال لهم : أن كل ما فى الخارج دون مثيله فى الداخل بمراحل ... ولم يعد اختفاء الرأسمالية من روسيا على العمال فيها بخير أو نفع!!...

«ولم يسق إليهم الحرية التى كانوا لها ناشدين !!..

«فلدرك الطبقات الكادحة خارج الاتحاد السوفيتى هذه الحقيقة كل الادراك .

«ولست أنكر أنهم لم يعودوا ألعوبة فى أيدى أصحاب رؤوس الأموال وحملة الأسهم والسندات يستغلونهم كيف يشاءون .

«ولكن الواقع أن الاستغلال لا يزال قائما، وإنما أصبح مقرونا بأعجب الوسائل وأمكرها وأشدها التواء، بحيث لم يعد القوم يعرفون من هم الملومون فيه، ومن هم الذين يؤاخذون عليه ...

«فإن معظم أفراد الطبقة الكادحة يعيشون تحت مستوى الفاقة !!..

«بينا أتاحت أجورهم التى لا تسمن ولا تغنى من جوع الفرصة لزيادة مكاسب العمال الممتازين، أو معاشرالخانعين المسلمِّين بكل ما يطلب منهم القائلين : نعم فى كل شئ.

«ولا يسع المرء إلا الدهشة من فرط الاستخفاف الذى يبديه أهل السلطان نحو من دونهم من الافراد .

«وكذلك شدة الخنوع والذل اللذين يظهرهما هؤلاء لأولئك .

«إن الانكسار الذى يبديه الفقراء ومعاشر المكدودين لرؤسائهم سقوط انسانى ذريع ..

«وأنا أسلِّم جدلا بأنه لم تعد فى روسيا طبقات ولا فوارق ، ولكن الواقع إن فيها فقراء، بل إنهم الكثرة البالغة ...

«وكنت أرجو ألا أجد منهم أحدا ، أو بعبارة أصح ، لقد ذهبت الى روسيا لكيلا أجد للفاقة فيها أثرا ...

«ولكن الفاقة هناك يعبس فى وجهها أينما سرت بالاعراض والتجهم والاشمئزاز من السادة الذين حالفهم الحظ .

«حتى ليخيل للمرء أنها الفاقة الأثيمة الناشئة فى أحضان الإجرام، فلا تثير شفقة ولا نبعث على العواطف والاحسان، بل ينظر اليها بعين لازدراء والاحتقار .

«وما أولئك الذين يترواح متكبرين مزهوين إلا الذين اشتروا كبرياءهم وترفيقهم بثمن هذه الفاقة العامة، وعلى حساب هذا الفقر الشامل».

هذه الصورة الكالحة هى صورة المجتمع الانسانى الراقى كما نسجت الشيوعية خيوطه وأوضحت معلمه ..!!

ولما كنا فى عصر يجيد اللعب بالالفاظ فان هذا الهوان العام سمى حكم الشعب واعتبر تحقيقه تلبية لنداء الجماهير !!

وقد ألفنا فى الشيوعية أن الحاكم بأمره يتحدث دائما باسم الأمة .

وأن حراس الارهاب المسلح يسمون أنصار السلام !!

وأن نقض دعائم الدين يسمى المنهج العلمى !!

وأن العودة إلى الحيوانية الأولى تسمى تقدمية إلى غير ذلك من المتناقضات ...

وظاهر من الدراسة والتطبيق معا أن الشيوعية مذهب سياسى يتوسل بالوسائل الاقتصادية لادراك مآربة .

وأنه لو كان فكرة اقتصادية لمصلحة الجمهور لكان الجمهور هو صاحب الرأى الأول والأخير فى أخذ أو ترك ما يراه أضمن لمصالحة وأضبط لشئونه .

لكن ما يقع هو العكس ، فالجمهور يتجرع كارها متاعب هذا المذهب ونقائضه ، فإذا تململ قيل له : حذار أن تترك !! لابد أن ترضى بما يلى عليك !!

ومن الذى يصدر هذه الأوامر ؟

حفنة من الرجال أحاطوا أنفسهم بقداسة مبهمة، وجعلوا من امتلاكهم للمال العام أو من سيطرتهم عليه فرصة لاتراف أنفسهم وأشياعهم ، ثم توزع المسكنة والبأساء على سائر الناس ..!!

إن التاريخ لم يعرف حكما استبداديا حصَّن نفسه بمثل هذه السلاسل من الحصون ... ونعود إلى استكمال الصورة الاقتصادية للمجتمع الشيوعى .

هناك نظام السخرة، وهو نظام يتيح للدولة تجنيد الألوف المؤلفة من العمال والفلاحين للكدح فى كل شئ دون مقابل ، أو مقابل كسرة خبز وكسوة تدارى ما تيسر من الجسم ...!

ويقول الشيخ الاستاذ «عمر الاسكندرى» فى كتابة «الشيوعية على حقيقتها»:

«كان المظنون أن بلادا كروسيا السوفيتية قامت دعائم الحكم فيها على أساس تحرير العمال واكرام مثواهم، ألا يجد الانسان فيها للاعمال الاجبارية أو التسخيرية أى أثر ...

«ولكن الواقع الذى شهدت به المصادر العديدة الموثوق بصحتها أنه يوج فى روسيا من العمال المحكوم عليهم بالاشعال الاجبارية تحت الحراسة - ومعظمهم بدون أجر سوى فتات القوت الذى لا يكاد يفى بأودهم - ما يقدر عددهم بالملايين .. وذلك فى أنحاء نائية تبعد آلاف الأميال عن مقرهم الأصلى .

«والحكومة تبذل كل جهد لاخفاء وجود هؤلاء العمال، ولا تذكر عددهم صراحة فى احصاءاتها بل تدرجهم تحت عنوان «عمال» فقط أو لا تدرجهم مطلقا .

«كذلك لا تسمح لاى أجنبى أو مراسل صحفى بزيارة معاقلهم أو محاولة البحث عن أماكنهم .

«وقد حدث مرة أن صحافية كندية احتالت حتى تمكنت من دخول أحد هذه المعسكرات فأمر الاتحاد السوفياتى بطردها من البلاد فى الحال.

«ومع ذلك فقد وصلت إلى العام الخارجى معلومات تفصيلية عن هؤلاء العمال، وذلك عن طريق من تمكن من الفرار، ومن الكتاب الروسيين المقيمين الآن فى الخارج أو من الأمريكيين الذين مارسوا اعمالا فى روسيا أو عاشوا فيها أو ساحو فى أرجائها .

«وقد اختلفت هذه المصادرة اختلافا كبيرا فى تقدير هؤلاء العمال بسبب البيئة التى وجدوا فيها . أو السنة التى حصل فيها التقدير، إذ أن عددهم فى ازدياد مستمر ...

«فقال بعضهم أنه ستة ملايين، وقال آخر انه عشرة ، وآخر انه أربعة عشر ، وآخر انه ثمانية عشر مليونا !!..

غير أنهم كلهم مجمعوم على أنهم يقدرون بالملايين، وأنهم يعاملون معاملة المساجين تحت حراسة صارمة، وأنه خصصت مصالح حكومية هامة لتعيين أو ادارة الأعمال التى يسخرون فيها، فمنها إنشاء الطرق والسكك الحديدية، وردم المستنقعات، وإزالة الأشجار، واستصلاح الأراضى النائية، واستخراج الملح أو الذهب من المناجم ... فضلا عن الكثير من الأعمال الصناعية الثقيلة التى يسخرون فيها داخل معتقلات خاصة بذلك.

«ومعظم هؤلاء العمال من المغضب عليهم سياسيا بسبب معارضتهم لمبادئ الحزب أو مشروعاته .

«ومنهم طائفة «الكولاك» وهم أغنياء الزراع الذين لم يقبلوا الاندماج فى سبيل الزراعة الجماعية .

«وأضيف اليهم فى السنوات الاخيرة الكثيرون من أبناء الشعوب الغير الموثوق بولائها ومن سكان الجهات الواقعة على حدود الاتحاد السوفيتى من جهة أوربا وآسيا على السواء» .

والشئ الذى لم يذكره للأسف الأستاذ المؤلف، أن السواد الأعظم من هؤلاء العمال المسخرين هم جماعة المسلمين المستذلين . هم المؤمنون الأحرار الذين أبوا ترك دينهم، بيع بلادهم، وتسليم مقاليدها للاستعمار الأحمر ...

هم أبناء التركستان والقوقاز والقرم وغيرهم الذين قاتلوا عن عقائدهم ومواطنهم الى آخر رمق ...

فلما انكسر فى أيديهم السلاح وسقطوا هم وأولادهم فى الأسر، كتب عليهم أن يعيشوا فى هذه السخرة الدائمة حتى يدركهم الموت ...

وقد آن الأوان لكشف هذه الفواجع، وإماطة اللثام عنها والاستماع إلى ضحاياها وهم يئنون ويستصرخون ..!!

وذلك ما نبدأ الحديث فيه ...

المسلمون فى الاتحاد السوفياتى (١)

روسيا شئ والاتحاد السوفيتى شئ آخر !!

إنهما فى المجال العلمى والدولى شئ واحد، ولكنهما من ناحية الواقع والتاريخ شيئان مختلفان !!

كانت روسيا دويلة محدودة المساحة ولقدرة، تقع فى الركن الشمالى الشرقى من أوربا لا تزيد أرضها عن الجمهورية العربية المتحدة !!..

ثم أخذت تتسع وتبتلع زقطارا أخرى مجاورة، حتى بلغت الآن خمسة عشر ضعفا من حجمها الأول، فوصلت إلى البحر الأسود ولم يكن لها عليه موضع قدم إلى عهد بطرس الأكبر، وأطلت على البلطيق غربا، وعلى المحيط الهادى شرقا، واستوعبت عددا كبيرا من القوميات واللغات المختلفة ...

والأقاليم المسيحية التى شملها هذا التوسع الروسى ضئيلة المساحة، فقيرة المواد، وهى لا تزيد عن ـ أوكرانيا ـ واستوانيا ـ ولاتفيا ـ ولتونيا .

---

(١) الإسلام فى مواجهة الزحف الأحمر ـ الشيخ محمد الغزالى .

أما الأقاليم الاسلامية التى انساح فيها الروس رقع فيجاء ، بعيدة المدى ، تزيد مساحتها عن القارة الأوروبية كلها عدة مرات !!

وتشمـل :

(١) الأورال. (٢) إسـترخان.

(٣) سـيبيريا. (٤) القــرم.

(٥)القوقاز.

(٦) التركستان أى الشمال الشرقى من العالم الاسلامى أجمع .

ومنذ استولى أباطرة روسيا على هذه البلاد ـ خلال المائة وخمسين سنة الأخيرة ـ والجهود الدائبة على سحق الاسلام فيها ، ومحو معالمه الثقافية ولاجتماعية ...!!

والسياسة الروسية فى هذا الميدان جزء من المخطط العالمى الصليبى للاتيان على الاسلام كله ، ودك قواعده ...

وقد تكفل الاستعمار الغربى بمحاربة الاسلام فى إفريقية كلها، وجنوبى آسيا .

ومن حسن حظ المسلمين فى هذه البلاد، أن كتابا كثيرين فضحوا هذه الغرة ، ونبهوا إلى أخطارها ...

أما مسلموا أواسط آسيا وشمالها فقد نشب القتال بينهم وبين الروس خلال قرنين مشئومين كالحين. داخ فيها الاسلام، وذل، وتفانى أهله واستهلكوا ...

وذلك كله وراء حجب من الصمت تشقيها بين الحين والحين صيحات

الفارين من الاضطهاد، أو المنسحبين من أرض المعركة بعد ما طال بلاؤهم وسقط لواؤهم ...

كان المسلمون ضحية تعصب القياصرة قبل الثورة التى أطاحت بهم. ثم كانوا بعد انتصار الشيوعية فى روسيا ضحية الالحاد الذى يكره الدين كله ...

واليوم يتكون الاتحاد السوفيتى من أرض تسعة أعشارها كان اسلاميا ، ومن عدة قوميات كان أغلبها اسلاميا فى ثقافته وعبادته ، ثم حافت عليه الليالى ..

خذ مثلا « سيبيريا » التى يظنها جمهور المثقفين عندنا أرضا خالية ، ينفى اليها المضطهدون الذين تريد الدولة الخلاص منهم .

هذه الارض كانت جزءا من الدولة المغولية الكبرى التى أسسها الامير «باطو» بن «جنكيز خان» .

وقد اعتنق المغول الاسلام، وتحمسوا له، وحكموا باسمه أمدا طويلا، وبلغ من سطوة المغول أن «بارسلوف» دوق روسيا الأعظم اضطر أن ينقسم يمين الولاء للأمير «باطو» وأن يعلن هو وسائر أمراء الروس خضوعهم لسلطته ..

وظلت «سيبيريا» بلادا اسلامية خالصة حتى القرن السابع للميلاد - الحادى عشر للهجرة - ولم تسقط فى يد الروس إلا بعد حرب عالمية دامت ٥٦ سنة . وكان السلطان «كوجم» آخر حكامها المسلمين .

وقد عرض عليه الروس بعد ما انهار جيشه أن يقبل الاحتلال الروسى ويعيش ملكا تابعا لهم، ولكن السلطان الشجاع أبى هذا العرض وآثر أن

يقاتل دون كل شبر من «سيبيريا» المسلمة ، ففى أعقاب احدى المعارك رئى هذا الملك يمشى هائما على وجهه وقد فقئت عينه، ومن حوله أكداس القتلى من جنده البواسل !! فعرض عليه السفير الروسى أن يقبل حماية دولته، فأبى إلا الإستماتة فى أداء واجبه ..!! وجاء فى رده على الروس : لا أقبل عيش الأسير ، ولا موت الذليل .

ولست أحزن لفقد أموالى وأملاكى، وإنما حزنى من أجل أولئك التعساء الذين يعيشون تحت نير الاستبعاد الروسى، واستشهد هذا السلطان البطل فى حرب المقاومة كما استشهد من بعده ابنه السلطان على.

ووضع الروس أيديهم على هذه الأرض الشاسعة وأسموها «سيبيريا» وهو لفظ محرف من «صابرى» الاسم القديم لهذا الاقليم .. ومضى الروس فى طريقهم يسابقون إخوانهم من غرب أوربا فى الانقضاض على هذه البلاد الاسلامية وتقطيع أوصالها .

يقول الأستاذ محمد سامى عاشور عميد معهد المعلمين :

«وفى خلال هذا التكالب الاستعمارى من ناحية الغرب، انتهزت روسيا القيصرية الفرصة فأنشبت أظافرها فى البلاد الاسلامية فى أواسط آسيا. وهى البلاد التى تقع ما بين حدود «منغوليا» «وبحر قزوين» من ناحية وبين «سيبيريا» إلى الافغانستان والهند البريطانية من ناحية أخرى..

«بل لقد شرعت روسيا تناوش بلاد الأفغان فى البلاد الذى اتفقت فيه مع بريطانيا على تقسيم إيران إلى منطقتى نفوذ، واحدة فى الشمال خصت بها نفسها ، وأخرى فى الجنوب كانت من نصيب بريطانيا .

«وتشغل هذه البلاد الاسلامية فى أواسط آسيا التى استولت عليها روسيا القيصرية وقتئذ رقعة تزيد على رقعة أوروبا كلها .

«وإذا كان العالم الخارجى لم تنبه فى ذلك الوقت إلى خطر الاستعمار الروسى فى أواسط القارة الآسيوية فمرد ذلك إلى عوامل مختلفة .

«فمن جهة كان الناس فى ذلك الوقت ينظرون إلى التوسع الروسى فى تلك الجهات على أنه امتداد طبيعى فيما خالوه جزءا متمما لبلاد سيبيريا التى كانت روسيا تتملكها منذ القرن السابع عشر(١) .

«وساعد على ذلك أن آسيا الوسطى سواء من حيث موقعها اجغرافى أو من حيث ظروفها الأخرى كان يكتنفها ستار من الظلام، فبدت كما لو كانت جزءا متمما لأملاك روسيا الآسيوية التى لم يكن يعرف عامة الأوروبيين عنها فى ذلك الوقت الا القليل .

«ومن جهة ثانية فان الاستعمار عن طريق البر أو الاستعمار «من الباب للباب» لم يكن لافتا للنظر كاستعمار البلاد النائية التى تقع فيما وراء البحار.

«ومن جهة ثالثة فان معظم شعوب آسيا وافريقية التى كان لها وعى سياسى أو قومى كانت الحملات القومية فى هاتين القارتين كلها منصبة على بيان مساوئ الاستعمار الاوربى وحده .

«بينما كانت روسيا تتسلل فى غفلة من الناس إلى البلاد الاسلامية التى تشغل أواسط القارة الآسيوية دون أن تلتفت اليها الانظار .

«وهكذا كان من حسن حظ روسيا القيصرية - شأنها فى ذلك شأن

---

(١) كانت سيبيريا أمة اسلامية احتلها الروس بالسلاح .

روسيا السوفيتية الآن ـ أنها لم تكن مضطرة إلى ركوب البحر فى توسعها الاستعمارى. على خلاف ما كانت عليه حال الدول الاستعمارية الأخرى التى كانت مضطرة بحكم موقعها الجغرافى إلى البحث عن مستعمرات لها فيما رواء البحار. فى بلاد لا تربطها بها روابط الجوار الجغرافى .

«لذلك كان توسع الروس فى أواسط آسيا يجرى فى ذلك الوقت بعيدا عن أعين الناس رغم أنه كان استعماريا بكل ما تحمله هذه الكلمة من معنى.

«وأما المسلمون أنفسهم فى سائر بلاد العالم فانهم لم يشعروا بوطأة هذا الاستعمار الخفى ولم يدركوا ما سوف يكون له من أثر فى حياة نيف وأربعين مليونا من اخوانهم المسلمون يعيشون تحت ظل روسيا القيصرية لأنهم كانوا فى شغل شاغل بشئونهم الخاصة، يحاولون استخلاص أنفسهم وحرياتهم من براثن استعمار آخر أكثر وضوحا وأشد نكاية ابتلوا به من ناحية الغرب ، ولأن مصائرهم العليا من ناحية أخرى كانت فى يد دولة منهارة وخلافة كانت هى نفسها تلفظ آخر أنفاسها ولها من مشاغلها السياسة والعسكرية ما كان له أثر مدمر على الشعوب الاسلامية عامة ، تلك هى الدولة العثمانية .

ولم تلجأ روسيا فى احتلال البلاد إلى الاساليب الاستعمارية المستحدثة بل اعتمدت كل الاعتماد على جحافلها وجيوشها، وعلى ما تستطيع تلك أن توقعه بالناس من قتل وفتك وسلب ونهب .

«كان الاحتلال يمثل الاستعمار فى أبشع صوره. وينزع الى انزال الشعوب المستعمرة منزلة العبيد. «ولم يستسلم المسلمون فى تك البلاد لسلطان الروس مع ذلك بل جعلوا يقاومون ويستبسلون، متحملين فى ذلك

كل أنواع التضحية وهم يحاولون رد هذا الطغيان عن بلادهم وأوطانهم .

«ففى بلاد الشركس والقوقاز استمر جهادهم على أشده حتى سنة ١٨٦٤ إلى أن وقع زعماؤهم المجاهدون ومن بينهم الامام « شاول » فى قبضة الروس .

«بل لقد أشاد «كارل ماركس» نفسه ببطولة المسلمين فى القوقاز واستبسالهم فى دفاعهم عن أوطانهم فى ذلك الوقت .

«ومن عباراته المأثورة فى ذلك نداؤه للشعوب المستضعفة الذى يقول فيه :

«يا شعوب العالم ! ليكن قتال القوقازيين من أجل حرياتهم درسا لكم!! تعلموا منهم فن الدفاع عن الحرية القومية ! » .

«والمؤرخ الروسى «فادييف» نفسه لم يتردد فى القول بأن الحرب فى شمال القوقاز شلت حركات الجزء الاكبر من الجيوش الروسية بعض الوقت.

«كما اضطر الى الاعتراف بأنه «لولا الحرب القوقازية التى عاقت تقدمنا لاستطاعت الجيوش الروسية أن تحل بأجمعها من مصر إلى اليابان وهى تسير على نغمات فرقها الموسيقية» .

«ولم يكد يستتب الامر لروسيا فى منطقة القوقاز حتى أخذت تسير جيوشها نحو التركستان وغيرها من البلاد الاسلامية فى أواسط آسيا إلى أن تم لها فى النهاية اخضاع المنطقة كلها .

«ومنذ ذلك الحين أخذت تستخدم أساليبها الاستعمارية التقليدية لتقويض كيان تلك البلاد، فعمدت إلى تقييد الحريات إلى أدنى حد ممكن ،

واستغلت كل ما فيها من موارد من القطن والمعادن استغلالا سافرا لا يمنعها من ذلك مانع» .

وقبل أن نتكلم عن الأرض الاسلامية المنهوبة، والشعوب الإسلامية الذائبة داخل الاتحاد السوفيتى أرى أن أتوجه بالحديث إلى المسلمين العرب، وهو حديث ذو شجون ومآخذ .

وخير لنا أن نتصارح بأخطائنا وخطايانا قبل أن نلوم غيرنا ...

إن الناس هنا يسمعون أخبار المسلمين فى أرجاء العالم وكأنهم يسمعون أنباء جنس غريب ، ويصغون إلى أحوال المسلمين تحت الحكم الشيوعى وكأنهم يصغون إلى أحوال العالم الآخر ، عالم ما وراء المادة !!

لقد تمزقت الجامعة الاسلامية شر ممزق، ونال منه الشيطان مبتغاه!!

أما التاريخ الاسلامى العام لهذه الأمة الإسلامية الكبيرة منذ انطلقت مع الزمان السائر، تؤدى رسالتها، وبلغ هدايتها فهو للأسف تاريخ غامض!!

كنت يوما فى الجامع الأزهر متجاوزا صحنه المكشوف إلى أورقته المغطاة ، وفى بقعة مهجورة يداريها باب شبه خفى وجدت مقبرة بها جثمان جوهر الصقلى بانى الأزهر والقاهرة . فقلت لصاحب يسير معى : هل يدرى الأزهريون شيئا عن مواطن هذا الرجل ؟

إن جمهرتهم وجمهرة المثقفين معهم، لا يدرون متى دخل الاسلام صقلية، ولا كيف أبيد فيها ، أو انسحب منها ؟؟

وكذلك الحال بالنسبة إلى جزر البحر الأبيض كلها، وإلى مواطن اسلامية كثيرة فى أوربا وآسيا وافريقية ..

إن تاريخ الإسلام السياسى لا يدرس للأسف البالغ دراسة تمحيص واستيعاب ، بل أن مسار الدعوة الإسلامية لا يتابع فى الجامع الازهر متابعة تعرُّف واستقصاء !!

, ونشأ عن ذلك أن القافلة الاسلامية التى انطلقت برسالتها الجليلة منذ أربعة عشرِ قرنا عرضت لأهلها محن رهيبة خلال القرون لأخيرة كان يجب أن تعرف بدقة لتخظى بفكر واحد وشعور مشترك لكن التقطيع الذى عرا المسلمين فى أعصار مذلتهم حصر هذه المآسى فى محلها ، وحبس الألم منها فى جلود أهلها .. ولولا جهاد بعض الزعماء الاسلاميين الكبار لوصل ما انقطع ، لكان ذلك ذريعة ضياع المسلمين أجمعين ، والاسلام أيضا ..

إن الأخوة الاسلامية تفرض علينا نحن العرب أمورًا مهمة تتذاكرها بصراحة وتقررها فى ايجاز !!

لقد كان العرب أول شعب آمن بالاسلام، وحمل رايته، وهزم القوى الشريرة التى اعترضته ... وتلك مفخرة للعرب تنضاف إلى أن الوحى بلغتهم نزل ، وأن قياد الاسلام الروحى والعقلى ممتزج بالعروبة إلى آخر الدهر .. لكن الاسلام ليس دينا لجنس معين ، إنه لأهل الأرض كلهم ما بقى على ظهرها انسان ...

إنه لجميع الأمكنة والألسنة والأزمنة .

ومن ثم كان طبيعيا أن تدخل فى دين الله أجناس وخلائق لا عدد لها، وكان على العرب فى سبيل نشر الاسلام أمران :

* أولهما : تعريب جماهير غفيرة من كل لون ليشتركوا مع العرب زنفسهم فى فقه الرسالة وابلاغ هداياتها .

* والثانى : نقل هدايات الاسلام نفسها الى لغات وآداب الأمم الأخرى ، لأن استعراب الناس جميعا مستحيل ، فليبق أمام أهل كل لغة شعاع يربط بحقائق الدين ، ويصلهم فى حدود مستواهم برب العالمين .

وقد كان جهاد آبائنا فى الميدان الأول أوسع منه فى الميدان الآخر، ثم خلفت خلوف كانت قصيرة الباع فى الناحيتين معا .. ولا ريب أن ذلك أساء إلى الدعوة الإسلامية .

وأشاع نوعا من الوحشة بين الاجناس فيها. حتى لترى اليوم الجماعات الهائلة من المسلمين الهنود والزنوج والأتراك لا يكاد العرب يحسنون التفاهم معهم، لقصور العرب فى اشاعة لسانا عالميا، ولتقصيرهم فى فهم اللغات القومية لهؤلاء الاخوة فى العقيدة والعبادة وسائر شرائع الاسلام !!

وأمران آخران نذكرهما فى هذا المجال .

الاسلام دين ودولة :

* فى صدر تاريخه كان الحكم فى يد العرب وذلك أمر لا غرابة فيه إذ هم اصحاب الرسالة الذين بذلوا التضحيات الغالية فى سبيل حمايتها وإزدهارها ...

ولما كانت أجناس راقية ارتضت الاسلام دينا ، ولم تر نفسها دون العرب قدرة على أداء حق الله وخدمة دينه ، فقد توفرت على النواحى الثقافية وبرزت فيها .

وقد ذوب الإسلام فى حضارة الفوارق الجنسية، فتآخت مواهب كثيرة وخصائص عالية على اعلاء شأنه وتعميق مدنيته .

« وفى ذلك فليتنافس المتنافسون »(١) .

* ثم انتقل الحكم الى اجناس غير عربية لأسباب شتى .

كان حق الاسلام على العرب إذا فقدوا الصدارة السياسية ألا يفقدوا السيادة العلمية .

كان يجب عليهم أن يشتغلوا بفنون الثقافة الاسلامية، وأن يتوفروا على توسع دائرة الدعوة بطريقتى اتعريب والترجمة، وأن ينسابوا فى أرجاء الهند والصين والقوقاز والتركستان وجنوب البلقان ووسط أوربا ..إلخ

لكن الذى حدث أن العرب قصروا وتخاذلوا... وأن الترك الذين حكموا الأمة الاسلامية لم يؤازر نشاطهم العسكرى فتح علمى ومدد روحى ...!!

فإذا الدفعة الأدبية الأولى النابعة من إخلاص السلف، وكفايتهم تتلاشى كما تتلاشى الموجة على رمال الشاطئ .

وإذا المسلمون المبعثرون فى القارات الثلاث ينفرط عقدهم وتتناكر أنفسهم ، ويحيون بلا إمامة روحية ولا ثقافية عقلية ، ولا روابط إدارية ، ولا وحدة جامعة .

وتحركت الصليبية كما ذكرنا لتثأر لهزيمتها الأولى .

ورأينا الروس يحتلون نصف آسيا الاسلامية وأغلب المسلمين لا يدرى!!

ولا تزال الغشاوة السميكة مضروبة على ألوف الابصار الى الساعة التى أكتب فيها هذه السطور ..!!

---

(١) سورة المطففين : الآية ٢٦.

لقد وقعت فى احدى الليالى السود قتل فيها الزعيمان الاسلاميان «أحمدو بللو» و «أبو بكر تفاوه» ومئات من زعماء المسلمين فى نيجيريا .

وكان القتلة من الفجور والتبجح بحَيث لم يحاولوا اخفاء وجودهم ، ولا غسل أيديهم .

وبدا كفلق الصبح أن اسرائيل والاستعمار الغربى الصليبى من وراء هذه المجزرة ، ومع هذه الدناءة كلها فسرعان ما أهيل التراب عى المأساة وأسدل ستار الصمت الخسيس على فصولها !!

لماذا ؟

لأن قتل «أحمدو بللو» و «أبى بكر تفاوه» مسألة إسلامية تتصل بمستقبل ثلاثين مليونا من مسلمى نيجيريا وهذا أمر تافه !!

إن العمل للاسلام لا يؤبه له ، ولا يذكر صاحبه ..!!

إن الاخوة الاسلامية شعور رجعى يجب بتره !!..

وإذا جاشت عاطفتها يوما فليس من اللائق لاسترسال معها ، بل ينبغى فورا البحث عن مقادير من الماء البارد لاطفاء جذوتها !!

ومتى يحدث ذلك ؟

فى الوقت الذى تشغل فيه صحف العالم واذاعاته بمقتل «لوممبا» أو خطف «ابن بركة» وهما زعيمان يساريان !!

الخلود لهؤلاء !! والفناء لرجالات الاسلام وقادته وساسته ...

إننى أتوجه بالحديث إلى العرب المسلمين أسائلهم ما دهاهم ؟

إذا لم يرفعوا لواء الاسلام فما يرفعون ؟

وإذا لم يشتغلوا بدعوته فيم يشتغلون ؟

لقد استطاع الاستعمار أن يعلقهم بقوميتهم الخاصة ، وأن يجعل من خرافة البعث العربى ارتدادا جديدا عن الاسلام فى هذه الآونة العجفاء .

ألا يعلمون أن انسلاخهم عن الاسلام هو خزى الدنيا والآخرة .

وأن تجاهلهم لقضايا إخوانهم المسلمين فى المشارق والمغارب هو الذى سيحفر مقابرهم ويطوى آثارهم .

إننى أهيب بقومى أن يعودوا إلى الاسلام وأن يحسوا آلام اخوانهم فى كل قارة .

أننا معشر العرب لا نمثل أكثر من سدس المسلمين فى العالم، ولسنا أولى بالله من غيرنا، ولن يبال بنا الله إذا فرطنا فى أمره .

ومن حق مسملى العالم أن يستغنوا عن العرب ـ ولا كرامة ـ إذا استغنى العرب عن الاسلام، ولم يكترثوا لقضاياه ومشكلات أتباعه فى العالمين .

وندع هذا الحديث ذا الشجون ونعود للكلام عن القارة الاسلامية المفقودة داخل الاتحاد السوفيتى ..!!

إن تاريخ الاسلام وأهله هناك يحتاج إلى ايضاح كثير .

لقد دخل الاسلام القوقاز بعد سنين قلائل من دخوله فى مصر، وانتشر فى التركستان انتشارا كبيرا على عهد الأمويين.

ويمكن القول بأن التركستان اصطبغت بالعروبة فى وقت مبكر جدا . ونظرة سريعة إلى الذين خدموا الاسلام من أهل تركستان تشعرنا فى هذه

الأيام بغصة :

* فمنهم أمير المؤمنين فى السنة النبوية أبو عبد الله «محمد بن اسماعيل البخارى» صاحب الصحيح المشهور، وكذلك «الترمذى» و «النسائى»

* ومنهم شيخ المفسرين العلامة «جار الله الزمخشرى»، وكذلك «أبو البركات عبد الله بن أحمد النسفى» .

* ومنهم أئمة التأليف فى البلاغة واعجاز القرآن «الشيخ عبد القاهر الجرجانى» و «التفازانى» و «يوسف السكاكى» .

* ومنهم قادة الفكر الفلسفى فى الاسلام «الحكيم أبو نصر الفارابى» و « الشيخ الرئيس على بن سينا » .

* ومنهم علماء الرياضة والفلك «خالد بن عبد الملك» مدير مرصد المأمون الجغرافى الاصيل «أبو زيد البلخى» و «بنو موسى بن شاكر محمد وأحمد والحسن» علماء الجبر والهندسة والحساب .

* ومنهم «أبو ريحان البيرونى» المؤلف الكبير فى الملل، والنحل ، «وأبو منصور الماتريدى» الامام المعروف فى علم العقائد «وأبو بكر الخوارزمى» الأديب المترسل، «شمس الدين السرخسى» صاحب المبسوط أعظم كتب الفقه فى مذهب الأحناف، «والجوهرى» صاحب الصحاح فى علم اللغة... إلخ .

والعجيب أننا فى الأزهر الشريف نعتمد فى ثقافتنا الاسلامية على الكثير من هذه الكتب .

أفليس ما يدعو إلى الحسرة أن نجهل البلد الذى أنجب أصحابها ،

وأن نتركه فى صمت فرسة للشيوعية بعد ما أثخنته الصليبية ؟

فاذا تجاوزنا الفضل العلمى لهؤلاء الأئمة طالعنا فضل عسكرى آخر ينبغى التنويه به فى هذه الأيام .

فإن سقوط فلسطين وبيت المقدس فى أيدى الصليبيين الأقدمين إبان حملتهم، جاء نتيجة محتومة للنزاع المستمر بين الحكام العرب، ونكوص هؤلاء الحكام أمام تبعات الدفاع الشريف ..

ولو ترك أمر المنطقة للساسة العرب وحدهم، ما خرج الصليبيون منها.

فإن تحاقد هؤلاء، ودورانهم حول مصالحهم الخاصة، داء عضال..!!

ولكن الله قيض بطلا «كرديا» هو «صلاح الدين الأيوبى» التف حوله المخلصون من العرب وجماهير كبيرة من «التركستانيين» الشجعان فكان كفاح هؤلاء السبب الاكبر لطرد الصليبيين من الشرق الاوسط .. ولا تزال القاهرة تحمل أسماء تركستانية هى بقايا هذا الماضى المجيد.

فـ «حديقة الأزبكية» فى قلب القاهرة وعشرات المساجد الشامخة فى أحيائها ما زالت بأسماء بناتها الأولين من هذا الجنس المخلص لله ورسوله..

والمسلمون فى شمال آسيا وغربها، فى أجزاء كبيرة من شرق أوربا، أغلبهم من التتار، والاتراك، والشكير، والتركمان، والاكراد، القازاخ، والأوزبكيين .

ويلاحظ أن هذه البقاع هى التى تؤلف الآن جمهوريات الاتحاد السوفيتى مع الروس والسلاف وغيرهم ..

وتاريخ الاسلام داخل الامبراطورية الروسية محمر الجنبات ، كئيب الصحفات، وهو يمثل أسوأ ألوان الصراع التقليدى بين المسيحية والاسلام.

لقد كانت هذه الشعوب الاسلامية وثنية الأصل، وقد عانى الاسلام منها أشد الويلات، ومعلوم أن المغول فى جاهليتهم دمروا الخلافة الاسلامية، وأحالوا المدائن العظام ترابا، وقد فعلوا قريبا من ذلك بشرق أوربا، ثم خالطوا المسلمين والنصارى ، وتعرفوا على ما لديهم من إيمان وشريعة، وشاء الله أن يختاروا الاسلام، ويعيشوه بينهم ... وهنا تضاعف حقد الأوربيين عليهم ، وبيتوا لهم أسوأ النيات !!

وودت مع كثير من العقلاء لو انتهى العراك الدامى الناشب من قديم بين النصرانية والاسلام، وهو عراك يمكن أن تنطفئ ناره لو تخلصت الصليبية من رغبتها المجنونة فى محو الاسلام ووقف انتشاره .

إن فى الأرض متسعا للفريقين ، ومن الميسور فى ظل معايشة سليمة شريفة أن يبقى الاسلام وتبقى المسيحية ... ولكن قتل الآخرين بحجة الدفاع عن النفس نزعة لا يبقى معها سلام.

وقد كانت أروبا ـ كما رأينا ـ دويلة لا تعدوا مساحتها أربعمائة ألف كيلوا متر. وعندما كان المسلمون أقوياء استفادت من ارتقائهم العمرانى .

بيد أن عقدة الصليبية ضد الاسلام هاج غليلها منذ اعتنق التتار الاسلام وارتضوا الحياة فى ظلاله، وهنا أخذ الروس يتحرشون بالمسلمين، ويتربصون بهم الدوائر ..

وحانت فرصة الهجوم الروسى بعد وفاة السلطان «بركة خان» وانقسام مملكتة الواسعة إلى ثلاث دويلات «القرم» و«قازان» و«استرخان»

فإن هذه الفرقة كانت بداية الانهيار السياسى والعسكرى للمسلمين ، اذ استطاع القيصر «ايفان» الرابع أن يقود حملة صليبية ناجحة ظلت تشق طريقها حتى اجتازت الأورال وتغلغلت فى الأراضى الاسلامية الرحبة وراء جبالها ... ولم تمض فترة كبيرة حتى أصبحت مساحة روسيا لا «أربعمائة ألف كيلوا متر» بل «أربعة مليون كيلوا متر» على حساب الأقطار الاسلامية فى آسيا وأوربا ..!!

لقد نجحت هذه الحملة الصليبية أيما نجاح !!!

قد يقال فأين المدافعون ؟ وماذا قدموا لدينهم ؟

والواقع أن المسلمين فى هذه البلاد المعزولة لم يبخلوا بالدم والمال ذيادا عن أراضهم وعقائدهم، وقد قرأت تصريح «كارل ماركس» وهو يشيد بالمقاومة الهائلة الباسلة التى أظهرها المسلمون فى حروبهم الطويلة للقياصرة وجيوشهم .

ويقول الجنرال «تشرنايف» فاتح « طشقند » سنة ١٨٦٥ : «أن المدينة كانت مستعدة باكياس الرمال فى جميع الشوارع، وكانت المقاومة عنيفة جدا، وقد مات كثير من الناس وهو يهاجمون جماعات أو فرادى، ولم يستسلم أحد قط فقد فضل الكل الموت على أسنة الرماح، وعانى جنودنا الكثير وهم يجتازون الشوارع فى وجه قتال مر، ولم نضع أيدينا على مجتمع أو ناد إلا بعد أن سبحت جنودنا فى مجار من الدماء ...» .

هكذا سقطت «طشقند» المدينة الاسلامية البائسة، وهى نموذج لمئات المدن والقرى الاسلامية التى استقلت فى سبيل دينها ومستقبلها ..

وبدل أن نسأل : ماذا فعل هؤلاء للدفاع عن أنفسهم، نسأل العرب لم لم يردوا الجميل القديم ؟

فإن هؤلاء المسلمين القادمين من تركستان وما فوقها هم الذين أعانوهم على تطهير بيت المقدس وإحباط الحملات الصليبية ضد مصر والشام والحجاز !!

وعلى كل حال فإن الهزائم التى نزلت بالمسلمين لم تفقدهم الأمل فى غد أفضل، فظلوا فى القرم والاورال وتركستان والقوقاز وغيرهم متشبثين بعقائدهم متحاكمين الى شرائعهم ..

وكان القياصرة لا يفتأون يغتصبون أموالهم، ويصادرون حرياتهم وحقوقهم، ويحاولون جهد الطاقة فتنتهم عن دينهم ... وبقيت هذه الحال الكئيبة تنشر غيومها على أراضى اسلامية ذاهبة فى الطول والعرض المسلمون صامدون، والحكومة مصرة، والبغضاء تنفث سمومها حتى اندلعت الثورة الشيوعية سنة ١٩١٧، وهنا هب المسلمون فى أقاليمهم الرحبة ينشدون الحياة والأمان والحرية .

لقد وهت قبضة موسكو على أعناقهم ، وحانت فرصة ثمينة للنجاة بالعقيدة والنفس والدنيا والآخرة ...!

وكان البلاشفة يعلمون مدى ما أجرم القياصرة السابقون فى جنب المسلمين، بل كانوا - وهذا هو المهم - يريدون توفير ضمانات النجاح لثورتهم، واستثارة المضطهدين كى يخمدوا أنفاس القيصرية معهم .

قال الأستاذ محمد سامى عاشور : «لم تكن مهمة البلاشفة فى أول الامر بالمهمة السهلة الميسرة، فمن جهة كان جزء كبير من الشعب الروسى لا يزال مترددا فى معاونتهم، بل كان بعضهم يناوئ حكمهم ، ويجهر بعدائه لهذا الانقلاب الجديد .

«ومن جهة ثانية فشلت دعوتهم فى استهواء أفراد الطبقات العاملة فى غرب أوربا .. ولاسيما فى ايطاليا وفرنسا، فلم يسيروا فى ركابهم كما كان البلاشفة يؤملون .

«ومن جهة ثالثة فان قوات روسيا البيضاء المناهضة لهم كانت قد أخذت تستجمع قواها بمعاونة بعض الدول الاجنبية استعدادا للقضاء على الثورة البلشفية بقوة السلاح .

«ولذلك فلم يبق أمام البلاشفة بعد ذلك إلا أن يولوا وجوههم نحو مستعمراتهم السابقة فى الشرق يلتمسون من أهلها العون فى محنتهم، فلم يكد يمضى شهر واحد على استيلائهم على مقاليد الامور فى روسيا وعلى وجه التحديد فى ٧ ديسمبر ١٩١٧ حتى أصدر مجلس قوميسيرى الشعب البلشفى نداء له مغزاه موجها الى شعوب روسيا من المسلمين .

وكان من بين من وقعه لينين ، وستالين ، وقد جاء فيه :

«إن امبراطورية السلب والعنف والرأسمالة توشك أن تنهار، والأرض التى تستند عليها أقدام اللصوص الاستعماريين نارا، وفى وجه هذه الاحداث الجسام نتجه بأنظارنا اليكم أنتم يا مسلمى روسيا والشرق، أنتم يا من تشقون وتكدحون ، وعلى الرغم من ذلك تحرمون من كل حق أنتم له أهل .

« أيها المسلمون فى روسيا :

أيها التتر على شواطئ الفولجا وفى القرم :

أيها الكرغيز والسارتيون فى سيبيريا والتركستان :

أيها التتار والأتراك فى القوقاز :

أيها التشيشيين :

أيها الجبليون فى أنحاء القوقاز :

أنتم يا من انتهكت حرمات مساجدكم، وقبوركم، واعتدى على عقائدكم وعادتكم ، وداس القياصرة والطغاة الروس على مقدساتكم :

«ستكون حرية عقائدكم، وعاداتكم، وحرية نظمكم القوية، ومنظماتكم الثقافية مكفولة لكم منذ اليوم، لا يطغى عليها طاغ ولا يتعدى عليها معتد !!

هبوا إذن فابنوا حياتكم القومية كيف شئتم، فأنتم أحرار لا يحول بينكم وبين ما تشتهون حائل !!..

«إن ذلك من حقكم إن كنتم فاعلين !!..

«واعلموا أن حقوقكم شأنها شأن حقوق سائر أفراد الشعب الروسى تحميها الثورة بكل ما أوتيت من عزم وقوة وبكل ما يتوفر لها من وسائل، جند أشداء، ومجالس للعمال، ومندوبين عن الفلاحين .

«وإذن فشدوا أزر هذه الثورة . وخذوا بساعد حكومتها الشرعية !

«أيها المسلمون فى الشرق :

أيها الفرس والأتراك والعرب والهندوس : أنتم جميعا يا من وطئ الاوربيون القراصنة أرضكم، وتاجوا بأرواحكم وأملاككم وحرياتكم قرنا بعد قرن :

أنتم جميعا يا من يحاول اللصوص الذن أشعلوا نار الحرب أن يقتسموا بلادكم بينهم :

«إخلعوا عن أعناقكم نير هؤلاء اللصوص !

«أولئك الذين يستبعدون أهلكم ويستبيحون دماءكم وأرواحكم، فإن من المستحيل عليكم بعد الآن أن تظلوا قابعين لا تحركون ساكنا فى وقت تهز فيه الحرب عرش النظام القديم، وتشتعل فيه نفوس العالم كله حقنا على الغاصبين المستعمرين، وتمتد فيه شرارة الغضب فتصبح ثورة تأتى على كل شئ .

«حذر أن تضيعوا وقتكم دون أن تلقوا عن كاهلكم نير المستبدين، والظالمين الذين استبدوا بكم وبأوطانكم !

«إياكم أن تدعوهم يسلبونكم ما أوتيتم من خير بعد اليوم !

«وعليكم من اليوم أن تشيدوا صرح كيانكم بأنفسكم وبطريقتكم الخاصة، وفق ما تحبون وتختارون .

«فان من حقكم أن تفعلوا وانكم لفاعلون وما هو مستقبلكم فى أيديكم.

«أيها الرفاق ! أيها الاخوة !!..

«لنتقدم سويا فى عزم وصلابة نحو سلم عادل ديمقراطى !!..

«إن رايتنا تحمل معها الحرية للشعوب المظلومة فى أرجاء العالم !!..

«أيها المسلمون فى روسيا !!..

«أيها المسلمون فى الشرق !!..

«أننا ونحن نسير فى الطريق الذى يؤدى بالعالم الى بعث جديد نتطلع اليكم لنلتمس عندكم العطف والعون» .

ولا يجوز أن يمر هذا النداء دون تدبر ودرس ..

فإن حكام روسيا الجدد اعترفوا بما اقترفه الحكم الدينى السابق من دنايا وآثام فى جنب المسلمين ، وبشروا بانتهاء عهد الآلام والمصائب ..

ولما كانت الأمة الاسلامية المهيضة قد فقدت الرعاية السياسية العامة، وتعرضت فى أماكن كثيرة لاشد ضروب الفتك المادى والأدبى فمن حقنا أن نسأل :

هل وجد المسلمون ما ينشد لانفسهم من أمان وراحة ؟

إن هذا النداء الشيوعى ظهر سنة ١٩١٧ أى خمسين سنة ، فلنتجاوز هنية أحوال المسلمين فى روسيا من قبل ومن بعد، ولنرمق أحول المسلمين تحت الحكم الصليبى فى شرق أفريقية، وغربها، ووسطها، وفى أقطار أخرى كثيرة من آسيا وأوربا ، فماذا نحن واجدون ؟

التعصب القاتل يفرض سلطانة على كل شئ ..!! ووراء مؤامرة من الصمت حبك أطرافها المفغلون من ساسة المسلمين، والمكارون من ساسة الصليبية، بادت مجتمعات اسلامية، وهلك مجاهدن وانطوى تاريخ !!

ومازلت أناشد الجامعات الاسلامية الكبرى أن تعيد كتابة التاريخ الاسلامى الحديث ـ لا ـ بل تبدأ كتابيه فهو لم يدون بعد !! وعليها أن تكتشف الحقائق لمستخفية ، وتضع تحت أنظار المسلين المعاصرين ما عانى آباؤهم من هوان وإذلال فى سبيل العيش بدينهم والذود عنه !!

إن الجامعات الاسلامية فى «القاهرة» و «النجف» و «المدينة» وغيرها لا تزال مشغولة بمسائل تاريخية تافهة جرت أحداثها فى القرون الأولى ..

ومذهولة عن قضايا الموت والحياة التى توجهها اليوم !!

وليس ذلك فى مجال العمل السياسى فقط، بل فى حقيقة الدعوة

الاسلامية ذاتها ، وهذا هو البلاء المبين ...!!

ونعود إلى الشعوب الاسلامية المنكودة تحت الحكم الروسى القديم ، ماذا صنعت بعد أن سمعت النداء الموجه إليها من الساسة الحمر ؟؟

إنها بداهة لم تضع الفرصة السانحة، فسرعان ما أعلنت استقلالها، واستعادت سياستها على أرضها وشرعت ترسم الخطط لتصوغ مجتمعها وفق إدارتها ومصلحتها .. واتقدت مشاغل الحرية من سيبيريا إلى القرم ، وتكونت جمهوريات إسلامية عديدة فى هذه الاقطار المترامية ، واعترفت الدول المجاورة بهذه الحكومات الفتية ، وعقدت معها المعاهدات .

لكن روسيا فى ندائها السابق طلبت من مسلمى الشرق ـ خصوصا مسلمى المستعمرات الروسية، والعون والنصرة، فماذا تفعل هذه الجمهوريات الاسلامية المتحررة ؟

إن المسلمين حيث كانوا يمكن أن يساعدوا الشيوعيين فى ظروف إنسانية محددة :

ـ فإذا حاول الجنس الأبيض فرض سيطرته على الأجناس الاخرى ، وقرر إهانتها وإضاعتها، فإن المسلمين يقاتلون هذا البغى، يعاونون الشيوعيين على ردعه ...

ـ وإذا حاول الاستعمار نهب الاقطار المتخلفة، وسرقة ثرواتها، واستغلال أهليها، فإن المسلمين يقاتلون هذه اللصوصية، ويعاونون أى مخلوق على استئصال شأفتها ...

ـ وإذا جاشت الأحقاد التاريخية، واورودت أحلام الاستعلاء والبطر بعض المتآمرين فتآمروا على اجتياح قطر من الأقطار، وإبادة جنس من

الأجناس، كما يحدث الآن فى «فلسطين» و «إرتيريا» وغيرهما من البلاد الاسلامية، فإن المسلمين يضمون جهودهم إلى جهود الشيوعيين لمنعوا هذه الآثام فى المجتمع العالمى ..!!

ولا يقال عندئذ ان الشيوعيين كفار، والصهيونين والصليبيين أهل كتاب !!

فإن التحالف الصهيونى الصليبى عنما ارتكب جريمته، ومضى لغايته، كان لا يعرف ربا، ولا كتابا ، ولا حلالا ، ولا حراما .

كان لا يعرف إلا الأثرة والضغينة ، ومن حق المسلمين أن يقفوا هذا الطغيان بشتى الوسائل .. واستعانتهم بقوى الشيوعيين في هذا الميدان سياسة لا غبار عليها .. تلك أمثلة نظرنا لما يمكن أن يكون من تعاون بين الحكومات الاسلامية والشيوعيين !! غير أن روسيا فيما ظهر غير هذا !!

طلبت أن تكون الشيوعية صبغة لحكومات الاسلامية المتحررة قريبا منها .

فهل كانت الدول الاسلامية فى «القرم» و «والأورال» و «القوقاز» «والتركستان » ... إلخ ، مستعدة لهذا التحول ؟ كلا ..

لقد قامت استجابة لآمال المسلمين المقهورين، وتجسيدا لمشاعرهم، والنظام الشيوعى فى سبيل توطيد أركانه قتل حرية التدين وحرية التملك ، ووظيفة الحكومة الشيوعية وهى تباشر سلطتها أن تقضى التدين عن الحياة العامة، وأن تغرس مكانه الكفر بالله وشرائعه ..

لقد وعينا ما جاء فى برنامج المؤتمر الشيوعى الدولى السادس المنعقد سنة ١٩٢٨ : «إن الحرب ضد الدين ـ أفيون الشعب ـ تشغل مكانا مهما

بين أعمال الثورة الثقافية .

«ويلزم أن تستمر هذه الحرب باصرار وبطريقة منظمة، وحكومة العمال والفلاحين تعترف بحرية الضمير[1] ولكنها فى الوقت نفسه تستعمل كل الوسائل التى تملكها للقيام بالداعاية ضد الدين وتنظيم التربية على أساس التصور المادى للدنيا» .

هذه وظيفة الحكومة الشرعية، ومن السخف القول بأن الاسلام مكانا فى هذا الجو الوبئ .

نعم هناك نوع من الحكم يسمح بحرية المتناقضات، يسمح للإيمان والكفر، والطاعة، والعفة والزنا، والسكر والصحو، والتعليم الدينى والتعليم المدنى، والمحاكم الشرعية والمحاكم المدنية .. إلخ .

والديمقراطية الغربية تمنح شعوبنا هذه السعة ... وكثير من الذين تعلموا فى الغرب يودون لو كانت الحكومات العربية من هذا الطراز المرن .. وهم يرون أن هذا اللون من الحكم أفضل من الحكم الشيوعى ، وأخف ثقلا وأرحب فكرا ..!!

فلير هؤلاء ما يرون، لكنا نريد أن نقول لهم إن الحكم الاسلامى شئ غير هذا وذاك ، إنه حكم يسير فى عكس الاتجاه الشيوعى تماما ... فهو يرى الحاكم رجلا يؤمن بالله ، ويغرس الإيمان فى المجتمع، يصلى لنفسه ، ويؤم الناس فى الصلاة، ويخرج الزكاة، ويشرف على جمعها من الآخرين، يصوم رمضان ، ويرقب حرمة الشهر فى أرجاء المجتمع .. إلخ .

ثم أن الإسلام عقيدة فى القلب، وقانون فى الحكم، وقواعد فى

---

(١) هذا الاعتراف لون من النفاق السياسى والواقع ينفيه .

لاخلاق، ونظام فى المجتمع، ورباط عام بين أتباعه، وتقاليده تنظم البيت والشارع ، وتستغرق العمر من المهد إلى اللحد.. وقد فضل الكتاب الكريم والرسول الذى جاء به كيف يحيا المرء لنفسه ولأمته ولربه ..»

وظاهر من هذا الاستغراق والشمول أن الإسلام شئ، والبوعة الغربية شئ آخر، وأنه ـ من باب أولى ـ لا يمكن أن يلتقى مع الشيوعية فى تنظيم أو اجتماع ...

من هنا لا نعجب اذا رأينا المستعمرات الإسلامة الروسية بعد تحررها تنحاز بعيدا، وتحاول بناء كيانها وفق طبيعتها الدينية العتيدة .

على أن اليد التى أسدها الشيوعيون أول أمرهم لضحايا القيصرية البائدة كان لها أثر حسن فى نفوس الكثيرين .

ثم إن مبادئ العدالة الاجتماعية التى قدموها بين يدى ثورتهم كان لها بريق وإغراء، وقد هش بعض الشباب للشيوعية، يحسبها لا تغنى إلا هذا التحرر الاقتصادى، ولعله قارن بينها وبين ما فى الاسلام من ضمانات للعاملين ، وبرّ بالمعوزين ، فظن التقارب ممكنا ..

ولكن لم تمض قترة طويلة حتى تكشفت الحقيقة كلها، وبز الخطر على الكيان الاسلامى برمته ، فاستمسك الناس بدينهم وآثروه على أى نزعة أخرى .

وحاول نفر من المهيجين أن يثيروا الفلاحين والعمال على أصحاب الأرض والمصانع. بيد أن هذه الطريقة فشلت هى الأخرى، لأن أصحاب الأموال كانوا أرعى لله، وأحنى على عبادة من أن يظلموا عاملا، أو يحرموا بائسا، فلا وجود للحقد الطبقى الذى تنفخ الشيوعية فى ناره ، ما العمل إذن ؟

لابد أن يتدخل الجيش الأحمر ..

لابد أن تفرض الشيوعية بالسلاح على من يكرهونها أشد الكره !!

وقام الجيش الأحمر بهمته على شر وجه، وقضى قرابة ثلاث سنين سوداء وهو يحصد هذه الجمهوريات الاسلامية من شاطئ الهادى إلى جبال أورال .. وماذا عسى تملك هذه الجمهوريات الوليدة ؟

إنها ما كادت تسترد أنفاسها بعد ما عانت تحت ضغط القيصرية المتعصبة ، حتى بوغتت بهذا العدوان الجديد .

فقاومت جهد الطاقة ثم تساقطت دولة بعد أخرى، ولم تغن التضحيات عن جسامتها فى دفع هذا البلاء .

قال السيد نور محمد خان : «كانت الجيوش الروسية مدربة تدريبا حسنا، ومزودة بأحدث الأسلحة من طائرات، ودبابات، وسيارات، مصفحة، ومدافع بعيدة المدى، بينما كانت الحكومات الاسلامية التى .تمتد من سيبيريا شرقا إلى جبال الأورال غربا لا تملك منها شيئا، سوى جيوش مدربة أو أسلحة قديمة ...

«ما يجدى الايمان والحالة هذه ؟

«وفى ابريل سنة ١٩١٨ أصدر «لينين» أمرا بالزحف على البلاد الاسلامية دون إنذار سابق، فأخذت الدبابات تحصد المدن حصدا وتدك الحصون والقلاع، والطائرات تمطر البلاد سيلا من قنابلها دون تمييز بين عسكريين ومدنيين .

«وفى نهاية هذا العام كان الروس قد استولوا على جمهورية «ايديل زورال»، وشمال القوقاز، وحكومة «خوقند» فى تركستان، وتأخر الاستيلاء

على شبه جزيرة القرم لعنف المقاومة فيها .

«وفى سنة ١٩١٩ استولت روسيا على جمهورية «ألاش أوردو» .

«وفى أبريل سنة ١٩٢٠ انتهت من احتلال القرم ثم استأنفت الهجوم على جمهورية «أذربيجان» واستطاعت اخضاعها .

«ثم حاصرت جمهورية «خيوه» من ثلاث جهات فدافع عنها أهلها التركمان دفاع المستميت ولكنها سقطت فى نهاية عام ١٩٢٠ .

«فى سنة ١٩٢١ استأنف الروس الهجوم على جمهورية «بخارى» ودار بينهم وبين أهلها قتال مرير .

«ودافع أحفاد «البخارى» عن وطنهم بكل ما لديهم من بأس، فلما انهزمت جيوشهم المنظمة شنوا حرب العصابات نحو عشر سنين، ولكنهم فشلوا فى إدراك النصر لعدم وجود أية مساعدة خارجية من العالم الاسلامى !!» .

هذا هو الوصف السريع للقتال الذى نشب بين المسلمين والجيش الشيوعى المكلف بإخضاعهم والسيطرة على بلادهم .. وهو وصف لا نقف طويلا عنده لأن المحزن المبكى هو ما وقع بعده، فإن الروس الحمر شرعوا يوجهون جهودهم بنقل البلاد بما عليها ومن عليها إلى المذهب الجديد ، وهنا بدأت الكوارث الشداد .. فالمسلمون حراص على دينهم متمسكون بتعاليمه فى ظاهر أمرهم وباطنه .. ولقد صابروا الليالى فى ظل الصليبية المدبرة وها هم أولاء يلقون عدوا أكفر بالله، وأجحد لشرائعه فهل يستسلمون ؟ كلا ..

وعاد الصراع الجائر مرة أخرى، والثورات حين تريد فرض نفسها

وإثبات وجودها على واقع مخالف لا ينبض قلبها برحمة إزاء معارضيها ، فكيف إذا كانت هذه الثورات لا تعرف ربا ، ولا ترجو آخرة، ولا تخشى حسابا ؟

إن الشيوعيون يعبدون هذه الدنيا ، ويرونها وجودهم الأوحد ...

وهم يرون أعدائهم وكأنهم عوائق دون ثروات يجب أن يستمتعوا بها وخيرات يجب أن يضعوا أيديهم عليها .. ومن ثم ترى الواحد منهم يقاتل وكأنه يسترد حقا شخصيا سلب منه، فمن وراء قتاله نهمة للحياة لا تشبع وثأر عند الآخرين لا يهدأ ...

فإنا كان الإسلام ينتصب سدا معنيا أمام هذه المآرب، وإذا كان المسلمون يشكلون باسم دينهم مجتمعا أبعد ما يكون عن هذه الافكار فهيهات أن يلقوا من الشيوعيين مهادنة أو رحمة ..

وذلك ما وقع فى أسلوب تقشعر منه الجلود، كان التعذيب قديما يشبه أسلحة الحرب التقليدية من بنادق ومدافع، أما التعذيب الذى أخترعه الشيوعيون، أو افتنو فى تطبيقه فهو يشبه القنابل الذرية يمتد دمارها إلى نطاق بعيد ..

لقد قرر الروس الحمر أن يغيروا البلاد الاسلامية ويحولوا تاريخها كاه من مجرى إلى مجرى آخر .

فكانت تصدر بهجرات جماعية واسعة المدى يتحول بها الناس من وطنهم الأول إلى بلاد لا يعرفونها .. وتصور أمرا يصدر مثلا إلى المصريين كى يتركوا بقضهم وقضيضهم بلادهم الحبيبة ويسكنو «كينيا» أو «أنجولا» وأمرا آخر إلى سكان آخرين أن يحلوا محل المصريين فى الاقامة بربوع النيل .

هكذا شرعت الحكومة الشيوعية فى تغيير معالم البلاد الاسلامية ، وقطع الصلات بين حاضرها وماضيها .

فاستقدمت الألوف المؤلفة من الروس والسلاف والأكران، وشحنت بهم أذربيجان والقرم ، ونقلت جماهير المسلمين إلى برارى سيبيريا وأواسط آسيا ، وعند تنفيذ هذا المخطط الرهيب قاوم الفلاحون دون أرضهم ، وقاوم الكثيرون دون بيوتهم وحياتهم فكان الفناء الذريع وجزائهم .

ولا تسل عن تعداد الهالكين عند تنفيذ هذا البرنامج الفظيع ..!!

لقد كان هم الشيوعية الأكبر أن تفرض نظامها .

ولما كان المجتمع الذى يلتصق بالعقيدة الاسلامية يأبى كل ـ أو أغلب ـ ما تريده الشيوعية فكان لابد من فنائه لتبقى !!

ثم إن الأرض الاسلامية التى يعيش عليها جمهور المسلمين مليئة بخيرات زراعية ومعدنية ضخمة .

والشيوعية فى استعدادها لحرب عالمية حاسمة بحاجة إلى هذه الخيرات كى تغزز قدرتها العسكرية .. إن كل ما تستخرجه روسيا من بترول يسرق من جمهور «أذربيجان» الاسلامية، وانظر إلى ما فى تركستان فقط من ثروات معدنية . تعرف أن الروس يغترفون من كنوز لا تنفذ !!

ففى هذه الجمهورية الاسلامية «٥٢» منجما للذهب، «١٦» للفضة، «٤٦» للحديد، «٣٢» للرصاص، «٢٤» للبترول، «٧٠» للفحم، «١٣» الكبريت ، «٦٣» للصوديوم. هذا عدا عن «الأورانيوم» و «الفرام» و «الزئبق» «والنحاس» «والقصدير» «والبلاتين». وتوجد من المعادن الأخيرة مقادير كبيرة ..

وقد قسمت روسيا تركستان إلى عدة جمهوريات منفصلة إمعانا فى محو تاريخها ووحدتها .. ولا شك أن روسيا إذا فقدت الأراضى الاسلامية فانها تتحول إلى دولة من الدرجة التاسعة أو العاشرة، ونريد أن نرى القارئ صورة من صور التحول الاشتراكى للجمهوريات الاسلامية، أو بتغيير دقيق للمستعمرات الاسلامية التى استولى عليها الروس، وذلك بنقل الأحداث الكالحة التى وقعت فى شبه جزيرة القرم بعد ما هزمها الجيش الاحمر ..

تقع شبه جزيرة القرم على الشاطئ الشمالى للبحر لاسود ، وكان سكانها المسلمون يبلغون «خمسة ملايين»، وقد استطاعوا الظفر باستقلالهم أول ما استولى على السلطة فى موسكو، وسرعان ما انعقد مؤتمر وطنى من أعضاء انتخبهم الشعب المسلم انتخابا حرا - وفق ما يحدث فى الغرب - وتمكن هذا المؤتمر من وضع دستور يحكم البلاد وفق نصوصه ، ولم تترك روسيا الشيوعية أهل القرم يستمتعون بحريتهم الدينية والسياسية فوجهت جيشها للقضاء عليهم ، ويقال انها كانت ترمى الى جعل القرم وطنا قوميا لليهود بدل فلسطين .

وليس فى ذلك من عجب فان أول لجنة للشيوعية فى موسكو كانت كثرتها من اليهود - ستة أعضاء من عشرة - ، وعلى أية حال فان مسلمى القرم قاوموا العدوان الروسى ببسالة فائقة.

اعتصم الجيش بالجبال ودفع دفاع الأبطال ، وأعانه الأهلون بما يمكلكون من زاد وقوة ، فلما رأى الروس أن حبل المقاومة طويل ، لجأوا إلى حرب التجويع فنقلوا ما فى الجزيرة المكافحة من أقوات وتركوا سكانها للضياع !!

وهنا تعرضت البلاد لمحنة لم تخطر بال . فان العسكريين والمدنيين

والأطفال والرجال أشرفوا على الهلاك طلبا للاقوات المفقودة، وقيل أن بعض الاشخاص أكلوا أولادهم ..

وقد نشرت جريدة «ازفسنيا» فى عددها الصادر ١٥ يوليه سنة ١٩٢٢ تقريرا للرفيق «كالينين» عن مجاعة القرم جاء فيه : «بلغ عدد الذين أصابتهم محنة الجوع فى شهر يناير «٣٠٢٠٠٠» !!.. مات منهم: «١٤٤١٣» وارتفع عددهم فى شهر مارس إلى «٣٧٩٠٠٠» !!.. مات منهم «١٩٩٠٢» وبلغ فى إبريل «٣٧٧٠٠٠» !!.. مات منهم «١٢٧٥٤» وفى شهر يونيه بلغ ٣٩٢٠٢٧. ولم يذكر عدد الموتى إلا أنه قال : ان أكل لحم الانسان لم يكن من الحوادث التى يستغرب لها ، أو تبدو عجيبة فى بابها .

والروس فى نظرنا مسئولون عن هذه المأساة ، وسياستهم بعدما سادوا الجزيرة المثخنة بالجراح، والمتهالكة من الاعياء يدل على ذلك، فقد جردوا المسلمين من أملاكهم وما لديهم من ثروات، وشرعوا يهدمون المساجد والمعاهد الدينية فلم يبق من ١٥٥٨ مسجدا بالقرم إلا آحادا تافهة، أما جمهرتها الكبرى فقد أزلت أو تحولت الى أندية وقهوات ودور ولهو واصطبلات للخيل وحظائر للماشية .

ثم بدأت عملية محو المعالم الاسلامية عن طريق اجتثاث الجذور ، أو نقل السكان أنفسهم على ما ذكرنا آنفا فماذا كانت النتيجة ؟

كان سكان القرم خمسة ملايين مسلم سنة ١٩١٧ فأمسوا سنة ١٩٤٠ «٤٠٠٠٠٠» فقط أى أقل من عشر السكان !!

أين ذهب أولئك المسلمون الذين توارثوا أبا عن جد عمارة هذه الأرض ، وتكونت لهم فيها صبغة خاصة وحضارة معينة ؟

أمسو عمالا هائمين على وجوههم فى فيافى سيبيريا وغيرها، ليست لهم أسرار، ولا ذكريات، ولا أواصر تاريخية، ولا روابط روحية ، ولا أذان ولا جماعات ..ولا .. ولا ..

لقد صدرت الأوامر بنقل أهل هذا القطر إلى قطر آخر ، لا. بل بتشريدهم فى أقطار أخرى فمن عاش عاملا مسخرا عاش، ومن هلك هلك!! والقرم نموذج لشتى المستعمرات الاسلامية التى تعرضت لمثل ذلك المصير الأشأم ، وإذا كانت المساجد رمزا للعبادة الاسلامية فقد تجاوز ما دمر منها عشرات الألوف ، أما بقية ما يكون الشخصية الاسلامية فقد تلاشى أو هو فى طريقه إلى الفناء ...

وليس هذا حال المسلمين تحت الشيوعية الروسية وحدها، كلا، ففى كل دولة قام فيها الحكم على هذا النحو الكفور، وتعرض الاسلام وأمته للذوبان والمحق ، وراء ستار حديدى من الصمت .

أنه تنافر حقيقى بين نزعتين ووجهتين ، وشرعتين !!

ولم يكن عجبا أن ينجو بنفسه من يستطيع النجاة من هذا الجحيم ، ومن عشرات السنين ونحن نرى مسلمين ممن استولى الشيوعيون على بلادهم يعيشون بين إخوانهم فى القاهرة ودمشق وبغداد ومكة والمدينة، وكانت قلوبهم تبكى وزلسنتهم تروى، عنهم سجلنا ما سجلنا من حقائق ، وفى أحد الايام اتفق الشيخ «محمد عبد اللطيف دراز»[1] مع نفر من هؤلاء المهاجرين أن يبعثوا بشكاه موجزة الى هيئة الامم المتحدة كى تحقق فيها وتنصف ذويها .. وكتبت الشكوى وأرسلت إلى «مستر تريجفلى» سكرتير الأمم المتحدة. وتلقى السياسى العالمى الشكوى ثم أرسل إلى الشيخ

(١) الوكيل الأسبق للجامع الأزهر والوكيل السابق لجماعة الشبان المسلمين .

«دراز» هذا الرد :

«تلقينا شكواكم غير المؤرخة وأمرنا بتوزيع نصها على الأعضاء ..!!»

لكن الهيئة التى أكلت عرب فلسطين مستعدة لأن تأكل مسلمى آسيا وإفريقيا جميعا ، إن مستر «تريجفلى» نفسه رجل صهيونى !!..

والأعضاء الكبار فى هيئة الامم المتحدة هم دهاقين الاستعمار العالمى، والصليبية الحاقدة ، فأى خير يرتجيه المسلمون من هؤلاء ؟

وإلى القرآن نص الشكوى[1] التى أرسلها وكيل الجامع الأزهر السابق ورئيس جماعة الكفاح الاسلامى :

«نتشرف برفع هذه الشكوى إلى هيئتكم الموقرة ، باسم الشعوب الاسلامية التى ترسف فى أغلال الذل والعبودية تحت وطأة الحكم الشيوعى الذى امتدت سلطانه حتى شملت البلاد الواقعة بين شبه جزيرة البلقان والمحيط الهادى .

«ويقيم على هذه الرقعة أكثر من «مائة مليون» من المسلمين فى أحوال وظروف تفوق فى فظاعتها وقسوتها أظلم عصور التاريخ الغابرة .

«حتى أن الأجيال المقبلة ستستحى وتخجل من مدنيتنا الحديثة المعاصرة ومن نظمنا السياسية والخلقية والفلسفية جميعا ، عندما تذكر هذه الظروف القاسية التى يعيش فيها « مائة مليون » من بنى الانسان ، دون أن تتحرك الهيئات العالمية لنجدتهم .

«تلك الهيئات التى أسست لحماية الكرامة الانسانية، ولضمان أبسط

---

(١) كتبت هذه الشكوى بلغة رديئة ، ولم تسرد الوقائع بترتيب دقيق ، ويبدوا أن الحقائق أخذت سرداً عاماً من أفواه اللاجئين .

الحريات التى نؤمن وتؤمنون بوجوب توفرها للناس أجميع، من غير نظر إلى دينهم أو جنسهم أو لونهم أو لغتهم ..

«فإن هناك قاسما مشتركا بين بنى البشر جميعا ، وهو الانسان .. أننا نجأر بالشكوى لدى هيئتكم الموقرة ضد نظام الحكم المفروض بقوة السلاح على هؤلاء الناس ..

«وهو نوع من الحكم يسعى إلى هدم كل ما بنته يد الانسان منذ آلاف السنين، ويحاول أن يدوس بأقدامه كل ما قدسته الانسانية منذ القدم، ليخلق عالما جديدا خاليا من الاعتقاد بالله ! لا عبادة فيه إلا للقوة الغاشمة والمادة الفانية ..!!

«وخليق بنا فى هذا المقام أن نذكر أن التجارب والحوادث الواقعة أثبتت بما لا يدع مجالا للشك أن لا فرق بتاتا بين الشيوعية القومية والشيوعية العالمية .

«وأن الدول التى تفرق بين هذين النوعين من الحكم ، رنما تزعزع إيمان الأحرار فى كل مكان، وتخلق بلبلة عامة فى الأفكار .. لأنها باظهار سخطها على الشيوعية العالمية ومساعدتها غير المشروطة للشيوعية القومية تظهر للعالم بأسره أنها لا تناوئ الشيوعية كمبدأ هام، وإنما تعارضها كحكم سياسى ينافسها فى السادة العالمية .. إن أكثر من مائة مليون من المسلمين مهدد كيانهم فى بلاد كانت يوما مركزا للحضارة الاسلامية بل الحضارة العالمية جمعاء .

«وسنوجز هنا الطرق التى دأبت الشيوعية على سلوكها فى سبيل اضطهاد المسلمين ، ومحو معلم دينهم ومدنيتهم ، مدعمين كل طريقة منها بالأمثلة الحية من الوقائع والحوادث الثابتة :

(١) ـ الإبادة الجماعية أو نفى جزء من الشعب أو الشعب كله من وطن آبائه وأجداده إلى سيبيريا أو الى مناطق أخرى حيث يفقدون الصلة بوطنهم الأصلى ويضيعون بمرور الزمن ..

ونستدل على ذلك بالوقائع الآتية :

(أ) * قتل الشيوعيون فى التركستان وحدها سنة ١٩٣٤ مائة ألف مسلم من أعضاء الحكومة المحلية والعلماء والمثقفين والتجار والمزارعين .

* وفيما بين سنة ٣٧ / ١٩٣٩ ألقت روسيا القبض على ٥٠٠ ألف مسلم، وعددا من الذين استخدمتهم فى الوظائف الحكومية، ثم أعدمت فريقا ، وأرسلت فريقا آخر إلى مجاهل سيبيريا .

* وقتلوا سنة « ١٩٥٠ » : سبعة آلاف مسلم ونفوا من التركستان سنة « ١٩٣٤ » ثلاثمائة ألف مسلم .

* وقد هرب من التركستان منذ سنة ١٩١٩ حتى اليوم مليونان ونصف مليون من المسلمين .

* وفى سنة « ١٩٤٩ » هرب ألفان من التركستان الشرقية ولاقى حتفه من هذا الفريق الهارب « ١٢٠٠ » وهم فى الطريق إلى الهند .

* وفى سنة ١٩٥٠ هرب من التركستان ٢٠٠٠٠ من المسلمين التجأوا الى البلاد الاسلامية فى الشرق الأدنى .

* ومن سنة « ١٩٣٢ / ١٩٣٤ » مات ثلاثة ملايين تركستانى جوعا نتيجة استيلاء الروس على محاصيل البلاد وتقديمها الى الصينيين الذين ادخلوهم إلى تركستان .

* ونتيجة لقانون مزج الشعوب فى الاتحاد السوفيتى ، نفت روسيا «٤٠٠٠٠٠» مسلم تركستانى إلى أوكرانيا وأواسط روسيا فاندمجوا فى تلك الشعوب وفقدوا وطنهم الأصلى .

* وفى سنة «١٩١٥» ألقى القبض على ١٣٥٦٥ مسلم فى التركستان وأودعوا المعتقلات .

(ب) * أبادوا فى القرم سنة «١٩٢١» مائة ألف مسلم بالجوع وأرغموا خمسين ألف مسلم على الهجرة فى عهد «بلاكون» الشيوعى الهنغارى الذى نصبوه رئيسا للجمهورية القرمية الاسلامية .

* .. وفى سنة «١٩٤٦» نفوا شعبين اسلاميين كاملين وهما شعب جمهوريتى القرم وتشيس الى مجاهل سيبريا وأحلوا محلهم الروس .

* .. وقد قلد الشيوعيون فى شرق أوربا رفاقهم فى الاتحاد السوفيتى، فأبادوا فى يوغسلافيا بعد الحرب العالمية الثانية مباشرة ٢٤ ألف مسلم (١٥ ألف من مقاطعة طولاز ، ٣ آلاف فى مدينة سراييفوا ، ٦ آلاف من ماكيدونيا وكوسوفا - أتوا بهم الى مدينة دويرونيك ثم آبادوهم) .

(٢) - هدم المساجد وتحويلها إلى دور للهو واستخدامها فى غايات أخرى واقفال المساجد الدينية ...

(أ) * قد بلغ مجموع المساجد التى هدمت أو حولت إلى غايات أخرى فى التركستان وحدها ٦٦٨٢ جامعا ومسجدا منها أعظم المساجد الأثرية مثل « منارة مسجد كالان » فى مدينة بخارى و « كته جامع » فى مدينة قوقان و « جامع ابن قتيبه » و «جامع الأمير فضل بن يحيى » و « جامع خوجه أحرار » فى مدينة طشقند .

* ومجموع عدد المدارس والكتاتيب التى اقفلوها فى التركستان يبلغ «٧٠٥٢» مدرسة منها « ديوان بيكى مدرسة » فى مدينة بخارى و «بكلريك مدرسة » و « بران خان مدرسة » فى مدينة طشقند وغيرها من المدارس التاريخية التى كانت يوما ما مناهل للعلم والعرفان .

(ب) ـ وفى القرم طمسوا معالم الاسلام بما فيها الجوامع الأثرية فى مدينة « باغجة سراى » عاصمة القرم الجميلة مثل « جامع خان » وجامع «طوز يازار» و « جامع أصماقويو » وغيرها جميعا .

(جـ) * وهدموا فى مدينة زغرب فى يوغوسلافيا جامع عظيما شيد رمزا لوحدة عنصرى الشعب الكرواتى المسلمين والكاثوليك .

* وأغلقوا فى مدينة سراييفو «الاكاديمية» الاسلامية العليا للشريعة لاسلامية ، وجميع المدارس الدينية باستثناء واحدة فقط أبقو عليها للدعاية .

(٣) ـ قتل رجال الدين، أو نفيهم، أو الحكم عليهم بالاشغال الشاقة ، أو منعهم من الحقوق السياسية، بل والحقوق الانسانية، وإيجاد أية عقبة أخرى تحول بينهم وبين مزوالتهم لمهنتهم :

(أ) ـ لقد قامت روسيا بعدة حملات على رجال الدين المسلمين فى التركستان وغيرها من المناطق الاسلامية الشاسعة المندمجة فى امبراطوريتهاالحمراء، وقتلت كثير منهم ومن ضمنهم فضيلة الشيخ «برهان البخارى» قاضى قضاة، وفضيلة الشيخ «خان مروان خان» مفتى بخارى ، والشيخ الجليل «عبد المطلب داكلا» والشيخ «محسوم متولى» ، والشيخ «عبد الأحد داد حان» ، والشيخ «الحاج ملا يعقوب» ، والشيخ «ملا عبد الكريم»، وغيرهم كثيرون !!..

(ب) كذلك عملوا فى القرم حيث أضافوا إلى وحشيتهم مع رجال الدين ، حرق المصاحف الكريمة فى الميادين العامة .

(جـ) وفى يوغرسلافيا قتلوا مفتى كرواتيا فضيلة الشيخ «عصمت مفتيتش» ، والعالم الفاضل «الشيخ مصطفى يوصولاجيتش» .

* وحكموا بالاشعال الشاقة مددا مختلفة على «١٢» عالما دينيا بعد محاكمة صورية فى مدينة سراييفو ، ومنهم فضيلة الشيخ «قاسم دوراجا» شيخ علماء البوسنه والهرسك ، وفضيلة الشيخ «عبد الله دروبسيوفتش» ، وكلاهما من علماء الأزهر الشريف .

(٤) قتل الزعماء السياسين أو نفيهم من أمثال ذلك أن الشيوعيين قتلوا فى التركستان الشرقية سنة ١٩٣٤ الحاج «خوجه نياز» رئيس الجمهورية، ومولانا : «ثابت» رئيس مجلس الوزراء ، «وشريف حاج» قائد مقاطعة آلتا، «وعثمان أوراز» قائد مقاطعة كاشغر، «ويونس بك» وزير الدولة، والحاج «أبو الحسن» وزير التجارة، «وطاهر بك» رئيس مجلس النواب، «وعبد الله داملا» وزير الأشغال وغيرهم كثيرون لا يتسع هذا المقام لذكر أسمائهم .

* .. وكلما أحس الشيوعيون ببوادر أية حركة قومية أو إسلامية بين التركستان قاموا بحملة التصفية وهى حملة يراد بها القضاء على كل من تحدثه نفسه بما خالف تعاليم آلهة الشيوعيين «ماركس» «لينين» «ستالين» .

(ب) وفى القرم قتلوا سنة «١٩٢٨» «ولى ابراهيم» رئيس الجمهورية مع جميع وزرائه. وفى سنة ١٩٣٠ قتلوا «محمد قوابى» رئيس جمهورية القرم مع هيئة وزرائه جميعا، وفى سنة ١٩٣٧ استدعوا إلى موسكو «الياس طرحان» رئيس جمهورية القرم أثناء محاكمة المارشال

«تحاتشنفسكى» وأعدموه رميا بالرصاص مع أعضاء حكومته.

جـ - وفى يوغوسلافيا حكمت محكمة «اسكوب» فى ماكيدونيا سنة ١٩٤٧ على سبعة عشر زعيما ألبانيا من الالبانيين المقيمين فى يوغوسلافيا وفى نفس السنة حكمت محكمة «بريشتينا» على «٣٧» من الأعيان الألبانيين ثلاثة منهم بالاعدام والباقى بالأشعال الشاقة. وفى سنة «١٩٤٩» أى بعد انفصال يوغوسلافيا من دول الكومنيفروم حكمت محكمة سراييفوا على ١٣ زعيما من المنتمين إلى « جمعبية الشبان المسلمين » المنحلة أربعة منهم بالاعدام والباقى بالأشغال الشاقة .

(٥) منع المسلمين من التمتع بالنظم الاسلامية فى دائرة الأحوال الشخصية، فقد ألغيت المحاكم الشرعية فى جميع أنحاء الاتحاد السوفيتى، وفى يوغوسلافيا نشرت جريدة Novodobe الصادرة فى سراييفوا بتاريخ «٢٢ مارس سنة ١٩٤٦» قانونا بالغاء المحاكم الشرعية فى جميع أنحاء يوغوسلافيا، ومعنى ذلك خروج الأسرة الاسلامية من دائرة توجيه الشريعة الاسلامية إلى دائرة القوانين الشيوعية التى تنادى بالاباحية التامة وبانحلال الروابط الطبيعية بين أعضاء الاسرة الواحدة .

«هذا إلى جانب نهب البلاد الاسلامية ونقل ثروتها الى مقاطعات أخرى وتمزيق أوصال بلد اسلامى واحد وخلق قوميات مستقلة على أساس لهجات لغة واحدة بقصد تشتيت المسلمين من نفس الجنس واللغة وخلق منازعات مصطحنعة بينهم، كما قسموا تركستان الى ستة جمهوريات على هذا الاسلاس الواهى .

«ثم نذكر أن الشيوعيين يقومون بشتى أنواع الدعاية اللادينية من غير أن يسمحوا بالدعاية الدينية .

«من أمثال ذلك : قيام الشبيبة الشيوعية وجماعة الملحدين الرواد بمظاهرات لا دينية صاخبة فى مواسم الأعياد الاسلامية وإهانة كل ما يقدسه المسلمون .

«بناء على كل ما سبق تتشرف برفع هذه الشكوى إلى هيئتكم الموقرة رجاد بحثها واتخاذ قرار فيها يرد «لمائة مليون» مسلم حقوقها الطبيعية والانسانية ويفع عنهم هذه المظالم البشعة ليتمكنوا من الاشتراك مع غيرهم من بنى الانسان فى بناء عالم أفضل يسوده العدل والحرية والمساواة ويكون آساسه تمتع كل شعب بحق تقرير مصيره .

هذا وتفضلوا بقبول فائق الاحترام ...

وقد أخذت هذه الشكوى طريقها إلى سلال المهملات ، فما اهتم لها عدو ولا اكترث لها صديق !! أما الأعداء فقد سرهم ما تلقاه الأمة الاسلامية من هوان ، وما تتعرض له من إبادة ، تلك أمانيهم ..!!

وأما الأصدقاء فقد أخرسهم الرعب وقيد حركاتهم ، وآثروا النجاة وحدهم ...!!

ولعل النزعات القومية الضيقة التى سيطرت على العالم الاسلامى وقسمته دويلات شتى لا تهتم دولة بأخرى ولا تتدخل فى شئونها الخاصة !

... لعل هذه النزعات بعض ما أطفأ حماس العقيدة الدينية وجعل الأخوة الاسلامية أثرا بعد عين، فوقعت هذه المذابح بين مسلمى آسيا، ووقف جيرانهم الأقربون والأبعدون مكتوفى الايدى بازائها .. ولست ألوم خصومنا فنحن أولى بالملام !!.. إن مصابنا جاء من عند أنفسنا قبل أن يجئ من الضائقين بنا ، والحاقدين علينا .. وحتى نلتقى مع ديننا يكون الفلاح ويتحقق وعد الله ..

الفهرس